الآداب
مجلة شهرية تعنى بشؤون الفكر
بيروت
ص.ب ٤١٢٣ ـ تلفون ٣٢٨٣٢
AL-ADAB REVUE MENSUELLE CULTURELLE
BEYROUTH. LIBAN B.P. 4123
Tél. 32832

العدد الثالث
آذار (مارس) ١٩٥٩
السنة السابعة

No. 3, Mars 1959
7 ème année

رئيس التحرير والمدير المسؤول
الدكتور سهيل ادريس
Rédacteur en chef et directeur
SOUHEIL IDRISS

ذكرى الوحدة

بقلم الدكتور سهيل ادريس

يوم تحققت اروع امنية كان يحلم بها الانسان العربي ، اذ تنفست الوحدة بين جزئين من اجزاء وطنه الكبير ، بلغ من الفرحة والابتهاج ان ساوره الاشفاق والخوف ، حتى انه اقام ينتظر مرتعشا ملهوفا ، خشية ان يطيح بهذا الحلم الرائع الذي يتحقق ، ريح عاصفة تذروه هباء ، فلا تخلف منه الا الغصة في الحلق ، والدمعة في العين . .

وظل قلب الانسان العربي يخفق لهذه الوحدة ويكلأها بنور عينيه حتى انقضى على مولدها عام ، فحق له ان يتنفس ، وان يطرح الخوف والاشفاق ليهتف من اعماقه ان قد نجا الطفل الوليد من كل خطر ، وكتبت له الحياة رحيبة مليئة بالوعود .

هذه الوحدة الطفلة قد ترعرعت في مدى عام حتى بلغت سن النضج بعد ان غذاها لبن امها القومية العربية غذاء سليما من كل جرثومة ، لانه يستمد نسغه الدافق من الارض العربية الخيرة .

وسوف تنمو هذه الوحدة وتنمو، ولن تلبث طويلا حتى تضم اليها سائر اخواتها المتناثرات في طول هذه الارض العربية وعرضها ، لتؤلف في اخر المطاف أفتى دولة في العالم، ولتخط للدنيا قدرا جديدا لم تحلم به الدنيا .

ان جيل الاباء الذي شهد الثورة العربية الاولى كان ممتلىء الصدر فخرا بانه شارك في اول خطوة تحريرية خطاها العرب وان بوسعه ان يغمض عينيه لينام قريرا ، ولكنه سرعان ما انتفض من سباته ، وظل يفرك عينيه طوال سنوات وهو يرقب انبثاق نور عجيب ، ولم يصدق عينيه اذ شهد في أشراق هذا النور تجسد ابعد احلامه واقصى امنياته، هذه التي كان يرجو ان تتحقق لجيل احفاده من بعده .

هكذا احرقت الوحدة المراحل ، ووثبت فوق جسور الطريق وثبا ، لان ارادة الامة العربية كفت عن ان تؤمن بالتطور البطيء ، واعتنقت الثورية الواعية كما اشار الى ذلك رائدها العظيم وبطلها الملهم جمال عبد الناصر ، هذا الذي جمّع كل ما في تلك الارادة من طاقات كامنة وفجرها في ضمير الانسان العربي ، وفي وجه كل اعدائه ، فرد للعربي ثقته بنفسه ، وحذر عدوه من ان يمضي في إستعباده واستغلاله ، وشق بذلك طريقا لاحبا لا يمكن ان يؤدي الا الى الوحدة ، هدف كل جيل عربي منذ منتصف القرن الماضي .

وفي مدى عام ، صمدت هذه الوحدة بين مصر وسوريا صمودا دلل على اصالة معدنها وحيوية الينبوع الذي تتدفق منه ، صمدت ضد كل ريح أتتها من الحدود او حتى من الداخل ، وازرت بكل صعوبة واجهتها ، وهزئت من كل مدع راح يتذرع ببعض مشقات عاناها هذا الاقليم او ذاك من الجمهورية العربية المتحدة ليقيم البرهان على ضعف البيان الوحدوي ، كأن المفروض في هذا العمل الانصهاري العظيم ان يتم من غير جهد ولا تضحية ولا عرق، او كأن هذا الشعب الذي ارتضاه بل فرضه فرضا لم يكن يدرك انه لن يطل على النعيم الا بعد ان تلفحه النار .
وهل ترتضي امة لنفسها مذلة العبودية الى الابد بحجة ان الاستقلال سيكلفها تضحيات كان الاستعمار يزعم أنه يوفرها عليها ؟ افيكون تحقيق الاستقلال اقل مشقة وتضحية وعناء من تحقيق الوحدة ؟

لقد كان هذا العام كافيا لاثبات انتصار الواقع الوحدوي، وما كان له ان يكون الا كذلك بفعل الارادة الجماعية التي تحدوه وتكمن وراءه . فليست هذه تجربة يقدم عليها

المعنى العقائدي لقيام الجمهورية العربية المتحدة

بقلم الدكتور حسن صعب

قيام الجمهورية العربية المتحدة حدث تاريخي فريد في غنى معناه العقائدي . والمعنى العقائدي للحدث التاريخي، او للموجود الاجتماعي السياسي الذي ينبثق منه ، يمكن ان يستكنه من طبيعة هذا الموجود ، او ان يستخرج من النصوص التي ترافق ولادته وتطوره . والنهجان يبرزان الغنى العقائدي العربي . والنهجان نسلكهما هنا معتمدين مفهوما شاملا للعقائدية يسع الدين والفلسفة والايديولوجية. وبذلك نرد للعقائدية كامل اعتبارها ، ونعيد لها مراتبها الميتافيزيقية ، والخلقية التي تحاول الايديولوجية المادية ، شرقية كانت او غربية ، ان تنزل بها عنها ، فتجرد بذلك الانسان من اعمق وانبل ما فيه ، نعني قابليته الروحية لان يتجاوز نفسه وكونه ، لما يستطيع هو ان يتصوره او ان يراه اسمى وارفع منهما .

والمناسبة التاريخية التي نتحدث فيها اليوم هي المناسبة المثلى لرد هذا الاعتبار الشامل للعقائدية . فالجمهورية العربية المتحدة باقليميها الجنوبي والشمالي مهد وقلعة للاديان السماوية الثلاثة ، التي تعودنا ان ننظر اليها كلها نظرة احترام ، ان لم يكن نظرة تقديس . وهذه الاديان الثلاثة تلتقي في وجود الله وحقيقته ، وفي تصور الانسان مخلوقا على صورته او خليفة له على الارض ، وفي تصوير البشر جميعا افراد اسرة انسانية واحدة كلها اسرة الله ، واذا قيمنا هذه التصورات تقييما دينيا روحيا ، او فلسفيا، او خلقيا ، او تراثيا ، فانها عندنا تصورات ازلية ، لا نرى الانسان الا من خلالها ، ولا نبصر العربي الا في نورها ، ولا نستطيع ان نتخيل الجمهورية العربية المتحدة الا انعكاسا حيا لها .

والجمهورية العربية المتحدة كما وصفها رئيسها الفذ بالامس مولد ارادة اكثر مما هي مولد دولة ، اي ان مولدها يعبر عن تفتح امكانات عقلية وارادية خلاقة ان انصبت اليوم على بناء دولة واعادة تنظيم مجتمع وتحرير وطن وصيانة قومية ، فانها متجاوزة في غاية وجودها ومقاصدها الاخيرة ، هذه الاهداف الاولى الى ما هو اوسع منها . ان الشعب ليختبر قابليتها للنجاح او للاخفاق . ان ايمانه بها من العمق والقوة بحيث ان امكانية اخفاقها امر يشككه بقيمة حياته نفسها ، وهو انما ارجأ الاقدام عليها طوال هذه المدة لان قوى خارجة عنه كانت ابدا تحول بينه وبينها ، وقد ظل يقاوم هذه القوى حتى استطاع ان يزيح عنه كابوسها ، فالتقى بالوحدة وعانقها ، كانما يلتقي بقدره الذي ضل عنه ردحا من الزمن .

ولم يكن الشعب العربي في مختلف ارجاء وطنه ، من المحيط الى الخليج ، بحاجة الى ان ينتظر هذا العام ليحكم على نجاح ما يسمى بالتجربة الوحدوية ، فليس في هذا الشعب من لا يعتبر الوحدة هدفه الاسمى الذي يناضل لبلوغه منذ اجيال . واذا كان ثمة بعض افراد او بعض فئات تظهر انها غير مقتنعة بهذا الهدف ، فانما هي مضللة او مدفوعة بايد اجنبية او مقيمة على اطماع شخصية . ولن ينتظر الشعب العربي طويلا حتى يطيح بهؤلاء الافراد وهذه الفئات التي تعمل على عرقلة اسمى غاية تستكن في النفوس العربية منذ قرون . لن ينتظر الشعب العربي طويلا في العراق والاردن والسودان وتونس وفي كل تربة عربية اخرى ليهدم كل سد ينصبونه في وجه التيار الوحدوي الواعي، وليطيح بكل رجل يتخذه الاستعمار صنيعة له ليكبت هذا الايمان العميق الذي أصبح المبرر الوحيد للوجود العربي الحي .

*

لقد كان تحقيق الوحدة بين مصر وسوريا استجابة منطقية وطبيعية لارادة الشعب العربي في الاقليمين ، وقد كان يضر ضررا جسيما بهذه الوحدة ان يتأخر تحقيقها فترة اخرى من الزمن ، كما يضر بها الان ان تعمل بعض العناصر المدخولة على تأخيرها في اقطار اخرى مستقلة من الوطن. ولكن الوحدة ماضية في طريقها تحقق لنفسها كل الثمرات والمكاسب التي تنشأ بالضرورة عن مقتضياتها الواقعية . انها تحقق ثوريتها تحقيقا رائعا في الميدانين الخارجي والداخلي ، فتنصب حولها نطاقا حديديا متينا يحميها من اطماع الاستعمار والصهيونية ، وتقيم في داخلها نظاما اقتصاديا سليما يهدف الى ازالة سيطرة الاقطاع والى رفع مستوى العامل والفلاح بفضل تأسيس مجتمع اشتراكي ديموقراطي تعاوني يشيع العدالة الاجتماعية ويرد للمواطن كرامته الانسانية ويقيه غوائل الظلم والفقر ، ويتيح له ان يمارس حرياته في ظل العدل والقانون .

لقد كان انتصار الوحدة في عام يتناسب والامل العظيم الذي كان الانسان العربي يعلقه عليها . فلتمض في طريقها الصاعد : انها لن تتعثر ولن تتقهقر ما دامت الارادة العربية تحدوها وتدفعها ، مؤمنة بان هذه الوحدة هي قدرها الحقيقي، وان عظمة هذا القدر تكمن في انها هي التي اختارته ورسمت طريقه .

سهيل ادريس

غاية وجود هذه الامكانات المتفتحة بعث الذات العربية بعثا جديدا ، لتشارك في عملية سيطرة الانسان على الكون ، وعلى الطبيعة ، ولتسهم في عملية اعادة تنظيم المجتمع البشري ، اسهاما روحيا وعقليا خلاقا ، يؤدي لتوفير الحرية لا لكل عربي فحسب ، بل لكل انسان .

والجمهورية العربية المتحدة ، بجامعاتهاالقديمة والحديثة هي الامنية الاولى على التراث الثقافي العربي . وهذا التراث انفتح ما بين القرن السابع والرابع عشر ، اي حينما كان الانغلاق والانعزال القاعدة الوجودية الغالبة على المجتمعات ، انفتح التراث العربي اي العقل العربي في ذلك الحين على الاقل على كلية التراث السامي الروحي ، وعلى تراث اليونان العقلي ، وتراث فارس الحكمي الخلقي، وتراث الهند الرياضي والروحي ، واحتواها كلها حتى في قواعد السلوك الحياتي ، ونظمها اجزاء في مركبه الثقافي الجديد. والامانة الحقيقية لهذا التراث اليوم ، ليست لحروفه ونصوصه بقدر ما هي الامانة للعقل الحر ، والانسان الخلاق، اللذين كانا قوام وجوده . وما اتصور الجمهورية العربية المتحدة الا الحاملة الفخورة لهذه الامانة .

والجمهورية العربية المتحدة اسيوية وافريقية التركيب الجغرافي ، ولكنها عالمية الموقع . وهذا ما يحملها مسؤولية عقائدية ليست عربية ولا افريقية ولا اسيوية فحسب ، ولكنها انسانية الابعاد ، ويلقي عليها تبعة النفاذ الى جوهر العقائديات الانسانية المتصارعة في عالم اليوم . ان جوهر العقائدية العربية التشوق لتكون جديد حروشامل وسعيد. وجوهر العقائدية الاسيوية والافريقية نزعة عاصفة الى التحرر جمحت اخيرا حتى بابن الكونغو . وجو العقائديات الغربية صون حرية الفرد ، والحرص على الماضي حتى ما كان زائلا منه . وجوهر العقائدية الشرقية الشيوعية التطلع الصارخ لمزيد من العدالة الاجتماعية الجماعية ، والتشوف الحاد للمستقبل ولو تشوفا توهميا .

هذه صورة بسيطة لعالم اليوم العقائدي الذي تقع في قلبه الجمهورية العربية المتحدة . وهي صورة لا يمكن ان ترى على حقيقتها الا اذا نظر اليها من خلال ما يجابه العالم الان من تحديات العلمية الذرية البعثية او الافنائية ، والا اذا احيط بها في اطارتها التاريخية السياسية والاقتصادية المتحركة . ومعنى كل هذا ان جوهر موقف الجمهورية العقائدية الان ، هو ان تستطيع العقائدية العربية عن طريقها ان تتفاعل مع جواهر هذه العقائديات الانسانية تفاعلا خلاقا وخيّرا في نفس الوقت الذي يتفق فيه مع سلامة الجمهورية وسلامة الاماني العربية .

والجمهورية العربية المتحدة تحصر بين شمالها وجنوبها بلدا يقوم على عقائدية الحقد . نعم ان مركب الحقد على ما انزل العالم الغربي والشرقي من اضطهاد بالاسرائيليين ، والقالب القومي العصبي الذي صبه فيه هرتزل ووايزمان، هو المسؤول النفسي عن قيام اسرائيل وبقائها حتى الان . وما يقوم على الحقد سلبي وهدام ومدمر في النهاية ، ايا كانت الاشكال البنائية التي يتخذها في البداية او الدعاية . وقد هدمت اسرائيل حياة شعبنا العربي الفلسطيني ، وهي بعقائدية الحقد هادمة كل شعب عربي تمكّن منه . والجمهورية العربية المتحدة سد منيع ، والقومية العربية رد تحرري وتحريري بنائي على عقائدية الحقد الاسرائيلية الهدامة . ولن يكون لنا اقرار حتى تنسخ عقائدية التحرر البنائية عقائدية الحقد الهدامة نسخا نهائيا .

واخيرا فان الجمهورية العربية المتحدة هي من صنع الطبقة المتوسطة مدنية وعسكرية . والعقائدية المختلجة فيها ، هي الان عقائدية هذه الطبقة . والانسان قد اخضع الكون الطبيعي المتحدي له ، وصيره جزءا حيا من تاريخه بالعمل والعقل . اي ان العامل والمفكر هما محررا الانسان من الطبيعة ، وهما صانعا التاريخ الحقيقيان . وبالعامل نعني كل من اصطنع الجهد العقلي سبيله لمعرفة اقوم ولحياة سواء كان عمله في الارض او المصنع او المكتب . وبالمفكر نعني كل اصطنع الجهد العقلي سبيله لمعرفة اقوم ولحياة افضل له وللاخرين . ولذلك نتصور الجمهورية متطورة عقائديا وكيانيا من جمهورية الطبقة الوسطى الى جمهورية العمل والعقل،اي جمهورية العدالة والحرية معا، وهذاهومفهومنا الحركي لتطلعها الى المجتمع الديموقراطي الاشتراكي التعاوني . بل وهذا هو مفهومنا لتطور جميع العرب ، ان لم يكن جميع البشر ، من حالات العبودية الظاهرة والمستترة الى حال الحرية الحقة .

حسن صعب

الشمس عندي لا تغيب

(هدية الى الوحدة في ذكراها الاولى)

في غرفة تسكنها الشمس وتلعب في نواحيها الرياح
طفلي ينام .. ولدته من غصة الاهات ، من نبع الجراح
من جهد اعوام ومن دوامة الماضي القريب
طفلي ينام ... ابوه يحرسه ويبني بيته العالي الرحيب
طفلي ينام .. ابوه وفىّ نذوره او كاد ، حقق وعده المر الرهيب .

***

كم عاودته وهو مشدود بدائرة الكفاح
ذكرى طفولته الوحيدة ، رحلة الصحراء ، فرسان كقضبان الرماح
«الريح تضرب خيمة البدوي، حضن ابي، واجفان النعاس
ترخي علي ، اروح احلم بالنسور الجارحة
بصهيل نهر من خيول جامحة
تحتي جواد نافر من بينها صعب المراس
وجماعة الفرسان حولي اخوتي ، شيم السلالة واضحة.
واذا افيق اود لو احمل اما ارضعتني من ينابيع الجراح
وابي الذي عدى دروب العمر منكسر الجناح
اهلي ، مدائننا التي عاشت بلا ريح تصول ولا صباح
لمضارب البدو التي حضنت ثراها الشمس واستولت
على رحبات ساحتها الرياح »

***

طفلي ينام ... ابوه هدهد خوفه ... ما عاد ترعبه النمور الضاريه
ماعاد يكسو خضرة الاحلام ارضا عاريه
فابوه روى ارضه خصبا واطلق في مدائنه رياح البادية

***

طفلي ينام.. ابوه غسله بضوء الشمس، عمّده باشواق السنين
عرق الجباه ، ضمير اجيال من المتعذبين
هذيان طفل نام ما صدّق ان الريح تلعب في خيام البدو حره
احلام جندي صحا من غفوة الروح المصره
نذر رهيب شد عن عينيه اجفان النعاس
نهر من الفرسان اطبق حوله ... عزم وباس
وجواده مستنفر من تحته صعب المراس
والشيب في فوديه قبل أوانه ... تتدفق الكلمات من شفتيه مـرة

***

طفلي ينام مؤمنا ، ما عاد يحلم انه طفل وحيد
لا ظهر يسنده ولا زند حديد
مرج الفوارس ضاق عن فرسانه
ومن الشمال ، من الجنوب تدفق السيل العتيد

***

السيل عال والخيول تغسلت بالريح واندفعت على اشواقها
وبوارق الشرر الجموح يشع من احداقها
بلعت حدود البحر وانطلقت الى الافق البعيد
ريا الخزامى في خدود الشرق مقصدها العنيد

***

طفلي ينام ... فدى الجفون الغافية
تعب أكلناه واجفان يرويها الشحوب
فافتح نوافذنا المطلة للشمال وللجنوب
طفلي يحب منازل الريح اللعوب
طفلي يحب الشمس شلالا من الدفء السكيب
شرّع نوافذنا الطليقة ، بيتنا عال رحيب
هذا الهواء مشبّع بالملح مكتنز بدفق العافيه
والشمس عندي لا تغيب

سلمى الخضراء الجيوسي

لبنان والوحدة

بقلم جوزيف مغيزل

من الطبيعي في مثل هذا اليوم الى جانب الفرح والابتهاج ان يتبادر الى الاذهان هذا السؤال الخطير : ترى ما هو موقف اللبنانيين بالضبط من قضية الوحدة وهل من المؤمل ان يشترك لبنان يوما مع باقي البلدان العربية في الوحدة ؟

ان لبنان سواء في اللغة او في الفكر القومي او في الاقتصاد او في التاريخ او في الحقل الدولي أو في التكوين الاهلي او في التفاعل الاجتماعي ذو وجود عربي مرتبط بباقي اجزاء الوجود العربي ارتباطا عضويا داخليا وليس ارتباطا عابرا خارجيا .

وقد اخذ هذا الترابط يزداد نموا ولحمة منذ بداية القرن العشرين وبوجه اخص منذ الاستقلال . فلبنان الذي يحيا ويعيش ، لبنان الذي يعمل ويتطور في كل مظاهر حياته ومعيشته وفي كل مراحل عمله وحركته ، لبنان الواقع والحياة ، هو بلد عربي . اما لبنان الذي ينكر عروبته فلا نعلم اين نجده لان ليس له نشاطات ومظاهر كافية خارجة عن العروبة ، هو لبنان يكاد يكون ، ذهنيا ، غير ملموس . ولكن ما دام الامر على هذه الدرجة من الحسية والوضوح فلماذا هذا الصراع الداخلي ، لماذا يستمر قسم من اللبنانيين في نفورهم الجافي من العروبة ، ومن القومية العربية والوحدة العربية ؟

ان اللبنانيين المحجمين يتنحون عن الحركة العربية لانهم يعتقدون ان العروبة تعني سيطرة اكثرية دينية على أقلية دينية ، انها تمييز وامتياز بسبب الفارق الديني بين مواطن ومواطن ، انها انغلاق على العالم المتقدم وانكفاء على الذات الشحيحة المفتقرة وتضحية بالمكتسبات الثقافية والروحية والاقتصادية .

هي اعتقادات راسخة في اذهان اللبنانيين ولدتها حقبات ماضية من الحكم العثماني والانتدابي بمشاركة المستغلين من الوطنيين ، وتوارثها الاحفاد من الاجداد والابناء من الآباء

اجل ان لبنان لا يزال يتطلع الى العروبة اليوم خلال رواسب الماضي وسلاسله وليس خلال بشائر الحاضر ونوافذ الغد وآماله ، وقد تحول ذلك الماضي الى عقدة نفسية فردية وجماهيرية من خلالها تطلق الاحكام ، وتتكون الاراء وترسم المخططات والسياسات ، فتكتسي صيغة ردة فعل عفوية شبه غريزية ضد كل ما هو عربي .

اما العروبيون في لبنان فقد قابلوا هذا الوضع – لسوء الحظ – بردة فعل معاكسة ، باجفال مشابه وجفاء مماثل وعقدة سوية ، فلم يكلفوا نفسهم عناء التحليل والتفهم لابل ألبسوا العروبة كل ما ليس هي ، بل كان يتنافى مع حقيقتها كالتعصب والانطواء ، كرفض الاتي من الحضارات الخارجية صالحا كان ام طالحا دون تمييز ، والتسليم بالواقع المبعد كانه منزل محتوم .

وهكذا انتصب الجدار الصفيق بين اللبنانيين وتعطل التعامل الصحيح بينهم تولدت مرحلة تاريخية ، جمدت خلالها الفوارق في المؤسسات وتحجرت النفوس والقلوب واغلق باب التخاطب الحر ونشأت تقاليد قتالة سامة قلبت المقاييس وهدمت القيم وافسدت المفاهيم واخضعت الحياة العامة لمعايير واسس وقواعد تخرج على كل اصالة وحقانية وتشل الرسالة التي ارادها لبنان لنفسه في الشرق وفي العالم .

وما هو اخطر من ذلك انتقال سلبية الجهة العربية في لبنان الى الجوار بالعدوى فاصبح لبنان اللاعربي في نظر الراي العام العربي الخارجي حجر عثرة ومجلبة هموم ومتاعب مما زاد في شقة البعاد بين لبنان والحركة العربية جمعاء ، وكما تعطل التخاطب بين شطري لبنان الداخلي تعطل ايضا التخاطب بين لبنان والبلدان العربية الاخرى .

وكانت النتيجة ان تخلي لبنان عن دوره في المجتمع العربي وتخلى العرب عن معركتهم في لبنان . لقد تخلى لبنان عن رسالته لانه في موقفه المحجم لم يعد بوسعه ان ينقل شيئا الى العرب لان الرسالة اية رسالة لا يمكن ان تتم الا بالمحبة والتغلغل والانفتاح على الغير . والاشعاع الحضاري لا يمكن ان يحمل لواءه لبنان منكفيء ، منعزل ، بل لبنان منطلق معطاء متفهم متفاعل .

وحقل الرسالة اللبنانية في ما تتضمنه من حرية وحضارة او انفتاح على العالم من ثقافة وعلمانية وروحية ، ان حقل هذه الرسالة ليس اوروبا واسيا القصوى وافريقيا بل الدنيا العربية ، بل ابناء لغتنا وتراثنا الفكري وابناء ارضنا. ونداؤنا بلزوم هدم ما يبعدنا عن العرب من فروقات في مستوى الحياة لا يتم بابتعادنا عنهم بل بانطوائنا في نضالهم فلبنان لا يسعه ان يكون ما يطمح اليه بدون العروبة وتخليه عن العروبة تخل عن ذاته لان المدى اللبناني الافضل هو المدى العربي الاكمل .

ومن جهة اخرى لقد قابل التخلي اللبناني تخل عربي عن معركة لبنان في داخله وفي خارجه . اجل لقد وقف العرب دون المصاعب التي واجهتهم في لبنان وأعرضوا عن معالجة الوضع بتعقداته معالجة واثقة صابرة محبة .

وكاد يخفي هذا الموقف حقيقة كبرى وهي ان لبنان جزء هام من المجتمع العربي المتحرك لا لعدد بنيه بل لنوعيته . فالعرب بحاجة الى لبنان الذي يبعد عنهم خطر الاستسلام الى الذات السهلة والذي يقيهم التباس المفاهيم كالتباس التبعية القومية بالتبعية الدينية أو الولاء للوطن بالولاء للطائفة

فلبنان هو درب العلمانية العربية وامتحان الامكانيات العربية في التغلب على معضلاتها الداخلية وحقل اختبار الذات العربية الانسانية .

فالعرب لا يسعهم ان يكونوا ما يطمحون اليه بدون لبنان. وكما ان تخلي لبنان عن العروبة فقدان للبنان وخسارة ، كذلك فان تخلي العرب عن لبنان فقدان للعروبة وخسارة .

ومن الناحية العلمية يقتضي نضالنا الايجابي في لبنان ما يلي :

(١) تحقيق الوحدة الداخلية لان طريق لبنان للوحدة العربية هي وحدته الداخلية

(٢) الايمان بوحدة اللبنانيين العضوية المتكاملة والقضاء على اسباب التصدع والتفرقة ومن ثم وجوب انتزاع محبة اللبنانيين جميعا لدعوتنا

(٣) محاربة النزعة القائلة بالتخلي عن الفئات والاجزاء التي لا تندفع عفويا نحو العروبة ومحاربة النزعة الدائبة على كيل التهم والتعيير دون تمييز ولا تفريق لكل من لا يماشي التيار العربي تماما كما ننكر على اولئك الذين يدعون احتكار لبنان والتكلم باسمه باخلاص واصالة وحدهم ادعاءهم المخطىء لاننا نعترف بحق كل مواطن وحريته في ان يعالج مصير امته وقومه معالجة قصية كلية عندما يملي عليه ذلك اخلاصه واقتناعه ووعيه .

(٤) تسلم المبادرة في كسب سائر اللبنانيين الى الحركة العربية التقدمية وبالتالي وكالة القيادة الى الطليعة المتحررة الفاهمة القادرة .

(٥) توضيح الحركة العربية توضيحا تاما وفقا لاسسها ومعطياتها الصحيحة عنيت كونها :

عنيت بكونها :

– علمانية آخذة بالقيم الروحية والخلقية

– علمية ساعية نحو المساهمة في التحقيقات العلمية الكبرى والافادة من انتصاراتها

– اشتراكية ناشطة صعداً نحو بناء مجتمع افضل

– منفتحة على العالم الحضاري متفاعلة معه اخذا وعطاء!

– سلمية محبة للمجتمع البشري متعاونة معه بكرامة واحترام .

– تقدمية متمسكة بالمقاييس والمفاهيم الانسانية الخيرة .

وقد يتصور البعض ان ما نطلبه هو من الخيال والتفاؤل الوهمي والحق ان ثقتنا بصحة دعوتنا وانطباقها على كل انحاء مجتمعنا العربي يجب ان تعني ان القومية العربية قادرة على تذليل صعوبة تعترضها في اي بلد عربي وقادرة على حل كل معضلة تقف بوجهها في اي بلد عربي .

لا بل اذهب ابعد من ذلك ، فالقومية العربية في مواجهتها المصاعب الداخلية ، ضمن اطارها انما تمتحن نفسها وتختبر طاقاتها على حل معضلاتها ، تختبر ميزاتها كقومية علمانية، تقدمية حرة انسانية ، فالقضية اللبنانية امتحان للعروبة ، امتحان للحركة العربية ، امتحان لقوميتنا العربية .

هلا نقدر ان نتغلب على احجام اللبنانيين واجفالهم ونتمكن من انتزاع ارادتهم ومحبتهم نحونا ، هل نستطيع اجتذاب قلوبهم وعقولهم الينا ؟

ان ثقتنا الوطيدة بحيوية القومية العربية ، بحقانية دعوتها وجذورية اصالتها ، تعني ثقتنا الوطيدة بطاقتها على النجاح في معركة لبنان .

عندئذ نعيد عيدنا الاكبر ونفرح ، ويفرح معنا ابناء الجمهورية العربية المتحدة (*) .

جوزيف مغيزل

(*) هذه الكلمة وكلمتا الدكتورين ادريس وصعب السابقتان القيت في مهرجان متخرجي المقاصد الاسلامية ببيروت يوم ٢٢ شباط الجاري

الغد الباسم

الى رائد امتي

*

غدا في غد سينبض قلب الحياة الصدي
بشعر ندي
غدا لن ترى الف طفل شريد
بكل صعيد
واناتهم من بعيد
تذيب الجليد
والف مهاة تبيع صباها
لتحيا حيـــاة العبيـــد

غدا لن يكون شعاع العيون
لليل السجون
ولن يحمل الشيخ عبء الحياة
وهم الرغيف
وينهار بيت الضعيف

غدا تبسم الجدة الناخره
بوجه الحفيد
غدا تزرع الشهب كل الدروب
وتشرق كل القلوب
بأمن رغيد

غدا لن تنام الجياع لتحلم بالدفء والعافيه
ويسكر فنّاننا بدمعته الغاليه
ونرمي بازهارها الى الهاويه

غدا لن تطول القصور بأنفاس عمالها
وتعثر ذات الجمال اليتيم باسمالها
فتخطر كل الهموم الكبار على بالها

غدا لن يعيش المريض بغير غذاء بغير دواء
غدا لن يبيع الفقير الدعاء الى الاغنياء
غدا باحتضار الشقاء – تعيش السعاده
فقلبي عبادة
غدا يا غد نغرد او ننشد
ويبتسم بين شفاه الهوى
موعد

دمشق

عزيزة هارون

الجزء الثاني من «دائرة معارف» البستاني

بقلم رئيف خوري

... وها هو المجلد الثاني من دائرة المعارف التي يشرف على تجديدها دكتور الشرف فؤاد افرام البستاني يتبوأ مكانه من رفوف المكتبات . وقد كنا رأينا رأيا في المجلد الاول عند ظهوره ، ونبهنا على شروط لا بد منها في تأليف دوائر المعارف حرصا على ان يأتي العمل أوفى بالمراد ، فنستغني عن اعادة بذل الجهود ، او نحن — في الاقل — نستغني عن التفكير دائما في اننا ما زلنا مفتقرين الى دائرة للمعارف بلغتنا العربية تسد حاجة المثقف العربي .

وحبذا لو كان الامر يعني الاستاذ فؤاد افرام وحده ، ولكن هذه الدائرة قد رصدت لها الدولة اللبنانية مقدارا ضخما من المال ، فضلا عن ان النسخة منها تباع بيعا حتى لمؤسسات الدولة الثقافية بثمن كبير ، وتباع للقراء ايضا بثمن غير يسير ، ثم يعلم الله وحده اين تذهب هذه العائدات كلها ، فما نظن الا بعضها ، لا كلها ، يذهب الى السادة بائعي الورق ، والسادة الطابعين والسادة المشاركين في الابحاث . فاذا كانت هذه الدائرة تصدر على حساب خزانة الدولة ، فقد اصبح ، اذن ، من الحق المادي لكل مواطن — ان لم نقل الحق المعنوي ، العلني — ان يطالب بأن يأتي العمل على اكمل وجه تستطيعه الطاقة البشرية . وليس هذا هو الواقع مع الاسف الشديد .

فهذا المجلد الثاني الذي اخرجه الاستاذ فؤاد افرام مبتدئا فيه بمادة «الاب» منتهيا بمادة « ابن الخطاب (حمد) » لا يمثل تقدما ملموسا على المجلد الاول ، ولا محاولة افادة من كثير من النقد الصائب الذي وجه الى المجلد الاول .

هذا لا يعني اننا ننكر في عمل الاستاذ فؤاد ، كل فضل ، او اننا ننفي عن الابحاث كل قيمة ، وبعضها ابحاث قيمة حقا في موضوعها (١) ، وانما يعني ان ثمة نقصا واضحا كان ممكنا تداركه ، ويجب تداركه ، فعلام لا يتدارك ؟!

اما مرد هذا النقص كله فالى سبب واحد ، هو فقدان مخطط اساسي يتفق وغاية الدائرة ، وتبنى عليه الدائرة بناء محكما متسقا بحيث لا يتضخم منها جانب ويهزل جانب آخر ، وبحيث لا يذهب الحذف او السهو بما يجب اثباته .

نحن نتساءل ، وكل قارىء يتساءل : لماذا تكلف الاستاذ المشرف على الدائرة ان ينسق في اولها جدولا بأسماء المشاركين في الابحاث ، اذا كان ينوي أن يترك الكثير من تلك الابحاث غفلا من التوقيع ، وبينها ابحاث يشهد المجال الذي ابيح لها بأن الاستاذ يعير موضوعها اهمية خاصة كالبحث في الشاعر العباسي ابن حازم الباهلي ، وهو في نحو ستة اعمدة ، وغيره وغيره ؟

ثم يتساءل ، ويتساءل معنا كل قارىء ، لماذا اغفل الاستاذ ذكر المراجع ، او المصادر في كثير من الابحاث ، مع ان ذكرها شرط لا يصح الاخلال به في كل دائرة للمعارف تحترم ذاتها ؟ وكيف حصل ان ذكرت هذه المراجع والمصادر في بعض الابحاث دون بعضها الاخر ؟ وهل يصح في دائرة للمعارف تحترم ذاتها ترك مثل هذا الامر لهوى كاتب البحث ، وبخاصة حين يضن بتوقيعه ؟ افلا يدل ذلك على ما نوهنا به من فقدان المخطط الاساسي الذي يجب ان يلتزم في بناء الدائرة ؟

الدكتور فؤاد أ. البستاني

ثم لماذا أهمل ذكر بعض المواد التي كان ينتظر القارىء ، ومن حقه ان ينتظر ، ورودها في الدائرة ؟ فحين يدفع الى القارىء بمجلد من دائرة المعارف يشمل المواد من «الاب» الى « ابن الخطاب » فان للقارىء ان يتوقع بحثا في الفيلسوف الكيميائي المشهور ابن حيان (جابر) (١) ولكنه مع الاسف لا يجد مثل هذا البحث ، ولا اشارة ترده الى مكان تال من الدائرة يجد فيه مثل هذا البحث ، كأن يقال له : « انظر ، او اطلب مادة جابر » . واذا كان المثل « طعماه ابره خرياه مسلي » يجد لذكره وشرحه متسعا في هذه الدائرة (ص ٢٠٥) ، فان ابن حيان (جابر) يحق له ان يجد ولو مثل هذا المتسع على الاقل ، بعد أن اصبح في زمننا موضوعا لابحاث كثيرة ، وبعدما أعاره المؤرخون كالدكتور جورج سارطون اهمية في تاريخ العلم . ومهما يكن من امر فان اهمال ذكر ابن حيان يعود بنا الى ما ذكرناه من فقدان المخطط الاساسي ، ولا يدل على الجد في تقصي المواد .

وبعد هذا ، كيف وقع ان اضطرب كثير من الابحاث هذا الاضطراب ، فظهر على بعضها طابع الاستعجال مع ما في ذلك من تجاوز التأكيد على المهم ، بينما ظهر على بعضها الاخر حب الاطالة مع ما في ذلك من اثبات لغير المهم ، حتى خرج الامر في احيان من نطاق بحث رصين ينشر في دائرة للمعارف ، الى فصل ينشر في مجلة او جريدة للترفيه او التسلية .

هذا ابن حيان (اثير الدين) الاندلسي مثلا ، كان في رأي المجهول الذي كتبت عنه الفقرة المقتضبة في الدائرة « محدثا فقيها مفسرا اديبا شاعرا لغويا » وكان مرجعا « في الفقه والتشريع والتفسير » . ولكن ما هي تآليفه بعد هذا التكريم كله ؟ يكفي القارىء « ان له تآليف قيمة ! » واين يجد اسماء هذه التآليف القيمة ، وهل طبع

(١) تنوه منها خصوصا بابحاث الاستاذ بطرس البستاني ، ففيها من طابع الرصانة والبعد عن الاستخفاف بالقارىء ما يجعلها حقا لائقة بدائرة للمعارف .

(١) ابو موسى جابر بن حيان بن عبد الله الكوفي ، من اعلام القرن الثامن الميلادي ، الثاني الهجري . قيل : كان من اصحاب جعفر الصادق ، وانقطع الى جعفر بن يحيى البرمكي . وقيل : كان صوفيا ، وكان عالما من علماء الكيمياء القديمة ، وله فيها كتب كثيرة ذكرها ابن النديم في الفهرست ، ومنها ما طبع كأسرار الكيمياء وغيرها .

منها شيء ، واين ، وما افضل طبعاتها ، ام تراها باقيــة مخطوطات ، واين ؟ كل ذلك قد يجده القارىء في اي مكان الا هذه الدائرة !

وهذا ايضا ابن الاثير (عز الدين) صاحب كتاب الكامل في التاريخ . لا يخرج القارىء من هذا البحث السريــع الذي كتبه فيه استاذنا الدكتور اسد رستم بما ينــوه بالحقبة التي عاش فيها المؤرخ ، وعــرف احداثها ودون اخبارها ، وكان تاريخه مصدرا اوليا منمصادرها . ثــم لا يخرج القاريء برأي في مدى ما يستطيع ان يولي ابــن الاثير من ثقة في اخباره .

ولا حاجة لتذكير استاذنا الدكتور رستم بان قيمــة اكثر المؤرخين القدامى انما تنحصر في هذه الانحاء .

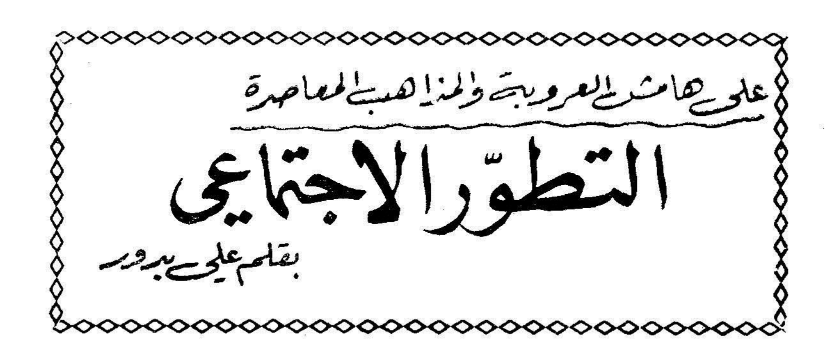
واغرب مما وقع لابن حيان (اثير الدين) ولابن الاثــير (عز الدين) ما قد وقع في هذه الدائرة لمنكود اسمــه ابراهيم الرومي ، فقد جعل اسمه عنوانا لعشرة اسطــر ليس فيها مما يتعلق به سوى سطرين ونصف السطــر ، اما الباقي فيتصل بامرىء القيس الشاعر الجاهلي ، انــه ذهب الى القسطنطينية ، وان الامبراطور يوستيانــوس اكرم وفادته ، وأمره على فلسطين ، ولكنه اصيب وهــو عائد بمرض كالجدري فقضى نحبــه في انقره ، ولقب بذي القروح ، ولم يتمتع بامارته على فلسطين ، كما لــم يتمتع ابراهيم بن الرومي بهذه الترجمة له في دائــرة معارفنا !

اما ابراهيم الموصلي المغني فقد اوتي حظا في حيــاته بما اغدق عليه الخلفاء ، ثم سعد بهذا المنزل الرحيب الذي وفرته له الدائرة ، اذ أنزلته في اربع صفحات طــوال عراض ، ويسرت لنا ان نقرأ — على مهل — ثلاثا من نوادره وحكاياته المستفيضة احداها ما وقع بينه وبين ابن جامع ، والثانية ما كان بينه وبين تلميذه مخارق والبرامكة، وثالثها ما اتفق له مع ابليس الذي علمه الغناء ! والانكى ان ناقــل هذا البحث في ابراهيم الموصلي يعتبر نفسه قد « اكتفى » مضطرا بهذه النوادر التي يحفل بها كتاب الاغاني ممــا يطول سرده .

وهكذا يكون الاكتفاء ! والا فقد كان الواجب يقضي بــان يعاد في الدائرة طبع كل ما ورد في الاغاني عن المغنــي المشهور !

واخيرا فليعذرنا الاستاذ فؤاد افرام . وليأذن لنا باسم العلم ان نطالبه ، منذ اليوم ، بان يضع مخططا اساسيــا للدائرة يلتزمه بنفسه ويلزم جميع الباحثين في المجلدات التالية . ذلك اجدى في ميزان العلم من ان تأخذه العــزة ، ويأنف من كل نقد ، ويكتب الردود ، باسم تلاميذه . فليس لنا من غاية سوى تدارك نقص يمكن ان يتدارك ويجب ان يتدارك . ونحن على يقين ان الاستاذ المشرف على الدائرة لو اعار هذا المخطط اقل انتباه ، لما اقحم في هذا المجلد بحثا في الشاعر حافظ ابراهيم ، تحت مادة « ابراهيم » ، مع ان الظاهر انه يعتمد الاسم الاول لا الثاني من اسمــاء الاشخاص بحيث ينتظر القارىء ان يصادف البحث فــي حافظ ابراهيم تحت مادة « حافظ » لا مادة « ابراهيم » .

رئيف خوري



على هامش العروبة والمذاهب المعاصرة

التطوّر الاجتماعي

بقلم علي بدور

هناك وهم كبير يحيط بمشكلة تطورنا الاجتماعي، ويتجلى هذا الوهم اكثر ما يتجلى في اننا امة لا تتطور . غير اننا في الحقيقة نتطور ، وبسرعة ، ولكن العلة ليست في تطورنا او عدمه ، بل في كيفية هذا التطور ومداه . وقبل ان نجيب على هذا السؤال نود ان نستعرض بشيء من التفصيل والتحليل ، تطور المجتمع العربي حتى عام ١٩٥٢ ، موعد الثورة العربية في ارض الكنانة .

***

يتأثر(١) تطور الامم بمجريات الحوادث حولها . ويكون لمقدرتها الذاتية على السير في ركب الحضارة اثر لا يغفل . وكذلك فان لوضعها السياسي علاقة وشيجة بنوعية هذا التطور ، وبخاصة اذا كان تاريخها القومي نفسه قد شوه او استعيض عنه بامجاد جديدة . وكانت هذه الامة كامتنا العربية التي غفت على حضارتنا ، ثم استفاقت على ريح حضارة جديدة ، ومفاهيم جديدة في الاجتماع والسياسة والحكم .

اين وقف تطور الامة العربية ؟

فلو تساءلنا الان عن المدى الذي وقفت عند حدوده امتنا العربية منذ التماع مجدها حتى انطفاء جذوة تحررها وسلطانها لكانت الاجوبة على سؤالنا هذا متعددة . اذ هي - الامة العربية - من حيث وجودها السياسي قد تفككت الى اقاليم من المحيط الى الخليج ، واضحى كل اقليم يكاد يكون وحدة خاصة به من جراء عزلته عن الاقاليم الاخرى. وبعد ان كان العالم العربي يتحدد في لفظين هما : المغرب والمشرق ، يذوب فيهما ملايين العرب ، وملايين الكيلومترات المربعة ، وسط ارض مترامية تدخل في ثلاث قارات اضحى عند بدء يقظته الاخيرة في اوائل القرن العشرين ، يسع نيفا وعشرين قطرا ، ويخضع لحكومات متباينة ، مختلفة ، متنابذة ، تقتتل فيما بينها بدلا من اقتتالها مع الاجنبي العادي عليها . وفقدت - نتيجة للتجزئة السياسية - روح العدالة التي كان يقوم عليها مبرر الحكم ، واضحى الشعب في اكثريته يقاسي المرض والجهل والفقر ، والخضوع الى حكومات ظالة ، وكان من جراء تسلط الاستعمار التركي اكثر من اربعة قرون على الامة العربية ، ان جمد تقدمها الفكري ، فجمد عطاؤها الحضاري ، وتفككت شخصية العرب القومية الى اقاليم ودويلات وتسلطت عجمة القول والفكر والعمل على الحياة العربية . وبات للعروبة جسد قائم ، قد خلا من الروح والعقل ، حتى اضحى واقع المجتمع العربي ، سيئا الى درجة من الصعب التفكير معها بالخلاص من هذا الجمود الروحي والعقلي ، دون تعريض الواقع العربي الى هزة شديدة ، تخلصه مما علق به من علق الاقوام الغازية والقرون المظلمة ، ومحن الفكر التسليم التي لا تطاق .

اثر العزلة عن روح الحضارة العربية

وما ان اطل القرن التاسع عشر حتى استفاق العرب على هدير مدافع نابليون في معركة الاهرام ، واستبانت للعرب خرافة قوة السلطنة العلمية امام جحافل الغرب الغازية ، فلما رد الغرب على اعقابه ممثلا في القنصل الشاب نابليون ، وضحت للعرب طريق الخلاص . ولكن ماذا بقي لهم من معين هذا الخلاص ؟

قد يعيب الزمان امة من الامم بكل شيء ، ولكن هذه الامة تنتصر ذات يوم ، اذا بقي فيها وجدانها القومي سليما ، وتمثلت لها صورة واضحة المعالم عن كيانها الفكري .. الذي هو روح هذه الامة وسر بقائها . ولقد كانت الامة العربية ذات وجدان قومي سليم يعتمد على عاملين : العروبة، واللغة العربية . ففي عامل العروبة ، حفاظ لها من الانقراض امام حركة التاريخ المستمرة . وفي عامل اللغة العربية يكمن سر العظمة العربية وسر بقاء الوجود العربي وسر تماسك الشخصية العربية : مكانا وزمانا واحساسا بالوجود .. وفرضا لهذا الوجود على العالم . ولقد كان تأثير العزلة عن روح الحضارة العربية « العروبة - اللغة العربية » بالغ الضرر في حاضر الامة العربية ومستقبلها . اذ ان الاستسلام الى عامل الدين جعل مهادنة الاتراك المسلمين وبالا على المسلمين والعرب اجمعين . وتسلط الاتراك السياسي واعتماد اللغة التركية لغة رسمية - ولو كتبت بأحرف عربية - قيد من تطور اللغة العربية طيلة اربعة قرون .. وبالتالي قيد التفكير العربي نفسه والوجدان العربي نفسه عن التفاعل في الحياة العربية الواحدة والمجتمع العربي الواحد . فاصاب العرب ما يصيب الارض المروية التي انقطعت عنها الماء ، فتشققت .. وبانت مقسمة من داخلها ، مجزأة الى قطع متباعدة او متقاربة ، لا تنبت زرعا الا اذا عاودها الري ، وتعهدتها الايدي الامينة النظيفة .

التلاقي مع الحضارة الغربية ومداه

وكان لا بد للحضارة الغربية بعد ان اكتملت في ديارها طيلة ثلاثة قرون ، ان تخرج من حدودها : المكانية والنفسية لتلتقي بأمم الارض قاطبة . ولقد تم هذا التلاقي عن طريقين ، اولهما ان العرب ، التقوا بالحضارة الغربية عن طريق الاتراك . وكان الاتراك ياخذون من الحضارة الغربية ما يلائم وضعهم الاجتماعي فلا يتغير ، ونضالهم السياسي فلا

---

(١) يراجع من الاداب (١٩٥٧) : « العروبة والمذاهب المعاصرة - العدد السادس » - و « الثورة بين النظرية والواقع - العدد التاسع » و« مرض القيادة - العدد الحادي عشر » .

ويراجع من الاداب (١٩٥٨) : «مرض السيادة القومية - العدد الخامس»

يزول ، وتسلطهم على الامم الاخرى فلا تنفض هذه الامم عنها نير ظلمهم وعبوديتهم . اما وقد بلغت النهضة في اوروبا اوجها وبدأت تنتفض الشعوب على نظامها القديم ، ممثلة في فرنسا الثورة ، فقد امتد نطاق هذه الانتفاضية الثورية حتى شمل شرقنا العربي ، نتيجة لتعبير النهضة الاوروبية عن نفسها واتماما للنهج الاستعماري في استعباد الشعوب الذي بدأ منذ القرن السادس عشر . فلما جاء الغزو الفرنسي لمصر اثــار العرب ــ دون قصد مباشر منه ــ بعد ان اثارتهم حضارة الغرب عن طريق الاتراك . وكائنا ما كان غرض نابليون من غزو مصر وكائنا ما كان غرض محمد علي ،من الانتفاضة على حكم الاتراك والسعي لمحاربتهم في مصر وبلاد الشام وطردهم من هذه البلاد ، ودخول المسالة الشرقية بــاب التاريخ آنذاك ، فقد تولد هاجس جديد من هواجس الاحلام في الانتفاضة على استعمار القرون ، واعادة مجد هذه المنطقة العربية ، ولكن بايــدي ابنائها انفسهم ... لا بايدي الولاة .. وولاة الولاة من التابعين .

على ان هذه اليقظة القومية ان راودت باطيافها خيال الامة العربية في القرن التاسع عشر ، فقد انطفت فجاة بسبب اليقظة الرجعية ان صح التعبير في تركيا والميل للحكم المستبد ، مضافا الى ذلك مهادنــة تركيا للدول المستعمرة ، فرنسا ، انكلترا ، المانيا ، ضد روسيا القيصرية، فكان ان تسرب من جراء هذه المهادنة الغرب المستعمر الى ديارنا فعرفها وخبر كل ما فيها : الشعب ، الحضارة ، التراث ، الاثار ، وجــاءت اضطرابات ــ ١٨٦٠ ــ في لبنان مصحوبة بامتيازات خاصة لجبل لبنان ، وكان للغرب ما اراده من تسلطه على الثقافة بارسالياته ومدارســه وكلياته ، مما ادى الى فتح باب القضاء على الفكر العربي على مصراعيه ، وتجزئة خصائصه الموضوعية ومقوماته الحضارية ، لتسهل محاربة هذه الخصائص والمقومات منفردة بعضها عن بعض .

الاستعمار وسياسة السيطرة

عندما تعلم العرب لغة اليونان في عصر المأمون ليترجموا روائع الفكــر اليوناني الى العربية ، لم يكونوا كالعرب الذين تعلموا الفرنسية او الانجليزية في ظل الحكم التركي وسيطرة الفكر الغربي على وجدانهم القومي وحسهم الاجتماعي . واذا كان الروس اليوم يدرسون اللغة الانجليزية في ديارهم ، وكذلك قد يفعل الانجليز ، فانهم لا يشعرون بعقدة النقص التي يشعر بها كل انسان عندما لا يجد امامه من سبيــل للثقافة سوى اتقان لغة هذا السيد او ذاك . انها ستطلعه على الجديد ، ستصله بالحضارة ، ستفتح عينيه وقلبه ، ولكن لغة الام ان كانت غائبة عن قلبه وعينيه ، وعي الحياة بلغة ليست لغته ، وانساق هو والملايين معه، في تيار جديد ، قد يقلب كيانه رأسا على عقب ، فيما اذا نسي تاريخه القومي بالذات ، وتعلق بامجاد جديدة ، ما دام اهمال اللغة الام ،سيؤدي الى اهمال التاريخ القومي ، ويؤدي الى تسلط عشرات بل مئات مــن الجهلة لتاريخهم القومي ، على هذا التاريخ بالذات ليدونه باقتضــاب وتشويه وتحريف ، ولكنهم اذا تحدثوا عن تاريخ الغرب .. عن تاريخ لغات الامم التي حذقوها ، لم يتركوا ريشيليو ولا مازاران ، ولا لويــس او نــابليون ، ولا حــرب الوردتين اوكرومويل ، وكــل امجاد فتــح الهند واستعمار افريقيا ، وتسلط الحضارة الغربية على رقاب الملايين باسم صفاء العنصر ورقي الفكر ونقاء السلالة .

ولقد كان الاستعمار ذكيا فوجد ان خير وسيلة للقضاء على العروبة : لغة وتاريخا ، ان ينشر ثقافته ويحارب الثقافة العربية من حيث هــي وجدان حي وروح فاعلة ، وشخصية عربية متماسكةالجوانب . وان يجتهد في التنقيب عن كنوز هذا الشرق واستهواء الاجيال بحضارات قديمــة واعتبارها بداية لتطور هذه الشعوب وقطع مرحلة التطور العربي الاصيل طيلة الف وخمسماية سنة ، وحصرها في صحراء محدودة لا تنبت امجادا ولا حضارات .. حتى اذا اشرق القرن العشرون ، وقامت الحرب العالمية الاولى ، كان نصف العالم العربي قد آل الى قبضة المستعمرين بعد ان آل اليهم نصفه الاول خلال القرن التاسع عشر ، من امارات الخليج في الجنوبي العربي ، الى مصر .. الى السودان ، فالمغرب باكمله . وبدأت السياسة الاستعمارية تنفذ خطتها ضد الامة العربية ، ضد المجتمع العربي للقضاء على اسباب نهضته الواعية فلا يجدها ذات يوم .

السيطرة على الثقافة وسياسة الانحراف

سيطر الاستعمار على الثقافة في لبنان ابتداء من منتصف القرن التاسع عشر . وعلى مصر بعيد توطيد حكمه في وادي النيل . وفي اكثر الاقطار العربية ابتداء من اخضاع هذه الاقطار للسيادة الاجنبية منــذ احتلال الجزائر عام ١٨٣٠ .. حتى الحرب العالمية الاولى، وادخال العالم العربي في التبعية الاستعمارية : السياسة الاقتصادية ، والفكرية ، وهي توأم كل تطور اجتماعي صحيح . وكان الهدف من ذلك كله : محاربة اللغة العربية ، وبالتالي محاربة امجاد الامة العربية والتي لا يمكن لها ان تعرف الا باللغة العربية لادامة التماسك العام لتطور الاحداث والزمان مــن خلال حياة الاجيال الصاعدة . بالاضافة الى محو تاريخ العرب القومي في

ــ البقية على الصفحة ٦٢ ــ

رسالة الى أبي

بقلم رجاء النقاش

بدأ يبكي بصوت خفيض، ثم ارتفع صوته شيئا فشيئا حتى ملأ جوانب الحجرة، واصبح بكاؤه اشبه بالصراخ او العويل ... ولم يكتف الطفل الصغير بدموعه وصوته المرتفع، بل اخذ يدب في ارض الحجرة بقدميه، ويضرب الحائط بقبضة يده الرقيقة الصغيرة. وفي الحجرة كان الاب والام يوشكان على النوم، فالليل قد انقضى ثلثه الاول، وحان الموعد الذي تعود الاب ان ينام فيه. وكان هذا الاب واحدا من الرجال الذين يفرضون ارادتهم على افراد البيت ... انه قوي الشخصية، حاسم الكلمة، لا يحب معارضة الاخرين ولا يقبلها، أما عاداته فثابتة راسخة، وعلى الجميع ان يقبلوها وان يحاولوا التلاؤم معها ... وعلى العكس من ذلك كانت الام: انها رقيقة عاطفية، ومطيعة لزوجها، ولا تعارضه على الاطلاق، وهي تدلل ابناءها وتداعبهم كثيرا اذا ما كان الوالد بعيدا عن البيت، اما في حضوره فلا كلمة الا ما يقول، ولا صوت اعلى من صوته ... انها تنسى شخصيتها لتكون مطيعة لذلك الاب، منفذة لاوامره ...

واشتد بكاء الطفل، فقام ابوه اليه، وساله في شدة وحزم:

- ماذا تريد؟

- لا شيء ...

- اذن لماذا تبكي؟

- اريد ان اشرب.

وقدم له الاب كوبا من الماء، ولكن الطفل لم يكف عن البكاء.. اخذه والده ووضعه في سريره، وطلب منه في كلمات قاسية حازمة ان ينام، ولكن الطفل استمر في بكائه وصراخه.. وعاد اليه الاب، ولم يتكلم هذه المرة «وانما اخرج الطفل من سريره، وحمله الى الشرفة حيث تركه بعض الوقت وحيدا، وليس على جسده الا رداء رقيق، واغلق باب الشرفة» تاركا ذلك الطفل بين الفزع والظلام، والاحساس الغامر بالقسوة ... اما الام، فقد وقفت موقفا سلبيا.. لم تعترض ولم تقاوم، ولم تستطع ان تنزع الطفل من يد ابيه، بل لم تفكر في أن تعبر عن سخطها على تصرف الاب.

امتلأت نفس الطفل بالرعب، وكف عن البكاء، ووقف في شبه ذهول، وقف في ظلام الشرفة لفترة من الوقت، ربما كانت قصيرة، ولكنها كانت بالنسبة اليه طويلة قاسية.

وكبر الطفل، واصبح شابا معروفا بشخصيته الخاصة، وميوله المتميزة.. كان اسمه «فرانز كافكا». وأصبح «فرانز» بعد ذلك اديبا وكاتبا كبيرا.. لقد تقلبت عليه الاحداث بعد ذلك، وحملته الايام الى مراحل جديدة من العمر غير مرحلة الطفولة، ولكنه لم ينس ابدا ذلك الحادث الذي وقع له في طفولته.

ربما لو وقع هذا الحادث لطفل غير هذا الطفل، ومن اب غير هذا الاب، لكانت الايام قد استطاعت ان تمحوه، وان تجعل منه ذكرى طريفة من ذكريات الوعي الاول بالحياه ... ولكن الحادث الصغير كان جزءا دالا من سلوك الاب وشخصيته العامة، ولم يتغير هذا الاب عندما تغير ابناؤه وتقدم بهم السن واصبحوا في مرحلة الوعي الذاتي المستقل، بل ظل يتبع نفس السلوك، ويعامل اولاده وعلى رأسهم «فرانز» نفس المعاملة القاسية، التي لا تعرف اللين، ولا تعرف الحنان، والتي تدل على شخصية واثقة بنفسها ثقة سدت عليها منافذ الايمان بالاخرين.. فليس هناك في نظر هذا الاب من يدرك الامور ادراكا صحيحا الا هو، وليس هناك من سلوك صائب الا سلوكه، وليست الحياة كما يفهمها اولاده ويحبونها، ولكنها كما يفهمها هو، وكما يشعر بها ... فاذا اختلف معه أو اختلف عنه واحد من ابنائه، فان هذا الاختلاف ليس له معنى الا الخطأ، وسوء التقدير والشعور. وكانت شخصية الوالد مدعمة بعدة عناصر ... فهو تاجر يهودي، بدأ حياته من السفح ثم اصبح باجتهاده ومثابرته وقسوته على نفسه تاجرا ناجحا غنيا، ولم يكن ضعيف البنية، بل كان قوي الجسم، ممتد القامة، عريض الصدر.. وكان تفوقه الجسماني واضحا الى ابعد الحدود، ومن هذه العناصر، او من هذين العنصرين على وجه التحديد اكتسب الاب ثقة كبيرة بنفسه، واصبح يرى في شخصيته مثلا اعلى ينبغي ان يحتذيه الابناء، كان هذا الاب يقول لابنائه: «انكم تعيشون حياة جميلة أكثر مما يجب..»

ثم يعقب على ذلك قائلا: «حين كنت في السابعة من عمري كنت اتنقل من قرية الى قرية، دافعا امامي عربتي الصغيرة، كنا ننام جميعا في حجرة واحدة، وكانت تملأني السعادة حين نعثر على البطاطس لنتعشى.. كنت البس في زمهرير البرد ملابس ممزقة خلقة حتى ان القروح التي اصابت اطرافي ظلت سنوات طويلة لا تلتئم ... كان يتعين علي بعد ان صرت صبيا ان اذهب لاعمل في احد المحال التجارية.. لم يكن اهلي يعطونني شيئا من النقود، بل انني كنت ارسل اليهم ما يحتاجون اليه منها بعد ان التحقت بالجيش ... ولكن من يدرك هذه الحقيقة في هذه الايام؟ هل يستطيع ابناء اليوم ان يفهموا ذلك؟»

بهذه الطريقة كان الاب «هرمان كافكا» يتحدث الى اولاده.. انه معتز بنفسه، فخور بها، مندهش بضعف

شخصية اولاده ، وعجزهم عن بلوغ ما بلغه هو من تقدم وتفوق في مجال الحياة العملية .

ولكن « فرانز » الابن خرج الى الحياة اديبا فنانا ، ولم تكن علاقته بالادب والفن عن طريق القراءة والكتابة فحسب بل كان أحساسا عميقا سيطر على شخصيته كلها .. لقد كان يعالج امور حياته بتلك الحساسية المرهفة الدقيقة ، الذكية في نفس الوقت ، واستطاع عن هذا الطريق أن يصل الى مستوى كبير رائع من الفن ، فاصبحت رواياته وقصصه القصيرة من اروع ما انتجه القلب البشري في القرن العشرين ، واصبح فن كافكا شاهدا من ابرز الشواهد واصدقها على ما يعانيه الانسان الحديث من آلام وتمزقات ومآسي عديدة . وينظر النقاد الى ادب كافكا على انه مثال لما يسمى « بالادب الاسود » اي ادب التشاؤم والحزن ، أدب الكآبة والاسى .. على ان احزان كافكا ليست نابعة من السطح ، وليست نابعة من الآلام العادية القريبة وليست نابعة من العجز . ولكنها احزان عميقة قادرة ، تمزق الستار الخادع الذي كانت الحياة تضعه على نفسها أمام الناس في القرن العشرين ، فاذا ما ظهر فنان قادر حساس ، استطاع ان يمزق ذلك الستار ، واستطاع ان يقول : ان حياة اوربا في النصف الاول من القرن العشرين هي تمزق .. هي مأساة .

هذا الفنان الذكي الحساس لم يخدع نفسه لحظة بوهم ، ولذلك فقد واجهه الفشل بعد الفشل في كثير من مشروعات حياته ، وانتهى به الامر الى ان مرض بالسل حيث مات وهو في الواحدة والاربعين ، في سنة ١٩٢٤ ..

وكانت هناك ثلاث قضايا رئيسية في حياته : الاولى هي قضية الحياة في المانيا في مطلع القرن العشرين ، لقد كانت حياة مريرة ، يسيطر عليها التنافس الفردي ، وليس في قلوب الناس نحو بعضهم أي من الحنان ... الناس كالسمك ، يأكل الكبير الصغير ، وياتي القادر على الضعيف، وليس هناك حدود للثراء ، وليس هناك حدود للفقر .. تستطيع ان تصبح صاحب ملايين باي طريقة من الطرق ، سواء كان عليها علامة الشرف ، ام كانت خالية من هذه العلامة ... وينتج عن هذا بالطبع نوع قاس مر من انواع الحياة ، ولا يمكن ان تستريح الحساسية المفرطة الذكية لهذه القسوة ، ولهذا الصراع الخالي من الجانب الانساني السليم .

هذه هي القضية الاولى من حياة « كافكا » ، اما القضية الثانية فهي قضية حب .. فقد خطب فتاة بعد حب ، سنة ١٩١٤ ... وبعد فترة قليلة تمزق حبه .. ويمكننا ان نتصور هذه الهوة التي حدثت بينه وبين حبيبته وخطيبته ... لاشك ان الاختلاف بينهما كان اساسيا ، هو يفكر في كل شيء ، ويشعر بكل شيء . وكان « كل شيء » على غير ما ترتضيه الفطرة الانسانية الحساسة السليمة في مثل ذلك المجتمع الالماني القاسي الذي كان يعيش فيه « كافكا » ... ولكن ماذا يعني الفتاة من هذا كله ؟ .. ان « كافكا » في نظرها محام ، وكاتب ، وهو ابن لرجل صاحب ثروة كبيرة واسعة .. ماذا يعنيها اذا عاشت هي سعيدة الا يكون الناس سعداء ؟ ماذا يهمها من آلام الدنيا ما دامت هذه الآلام لا تستطيع ان تبني لنفسها عشا في سماء حياتها ؟ .. انها تفكر في نفسها وفي خطيبها وحسب، اما هو فيفكر فيما هو ابعد ، انه يرى الدنيا تحت «ميكروسكوب » حساسيته ، فيرى كل شيء ، ويراه حزينا قاسيا فيفكر ويتأمل ويأسى ... وتكون النهاية بالطبع ان « يفشل » حبه ، وتتركه خطيبته الى حيث تجد كوخا فيه طمأنينة ، وليس في ذلك القلق المخيف العنيد ، ومرة ثانية يحاول ان يتزوج ، ويجد حبا جديدا ، ولكنه سرعان ما يفشل ، وعند فشله الثاني يكتشف انه مريض بالسل .

فقضية « الحب الفاشل » قضية رئيسية هامة في حياة هذا الانسان ..

تبقى قضية ثالثة ، هامة واساسية ، هي قضية « علاقته بوالده » .. تلك العلاقة السيئة المريعة ، التي خلدها « كافكا » في رسالة ذات يوم كتبها الى ابيه .. وسلمها لوالدته الرقيقة النبيلة لتعطيها لهذا الوالد القاسي المعتز بنفسه ... ولكن الام اخفتها حتى مات الاب ، وحتى مات الابن أيضا ، وذهب صديق الفنان ورفيقه الناشر المثقف «ماكس برود » ليجمع اوراقه ، ويقرا وصيته ، واستطاع ان يجد الرسالة في هذه الاوراق ، فنشرها ، وكانت طويلة كبيرة في حجم كتاب صغير ... اما الوصية التي تركها

« كافكا » قبل ان يموت لصديقه « ماكس برود » فهي ان يحرق كتبه كلها ، ويحرق اوراقه جميعا ، فليس فيها فائدة ولا نفع ، وليس لها قيمة في نظره .. ولم ينفذ « ماكس » وصية صديقه الراحل ، بل كان احرص الناس على نشر انتاج كافكا وتقديمه الى مسرح الثقافة الاوروبية ، بل والثقافة العالمية حيث احتل « كافكا » مكانا كبيرا في الادب الحديث ، وخصوصا بعد وفاته ..

ان رسالة « كافكا » الى والده هي درس كبير من دروس الحياة الانسانية .. انها موجة في الظاهر الى والد كافكا ، ولكنها في حقيقتها موجهة الى كل والد ، ولو قراها الاباء لتعلموا الكثير عن فن الابوة ، وعرفوا الى اي حد يمكن ان يكونوا في حياةابنائهم شيئاجميلا رائعافي بعض الاحيان ، وشيئا قاسيا مؤلما في احايين اخرى . فدور الاب يبدأ في حياة الانسان منذ اللحظات الاولى لخطواته في طريق الحياة بل ان اول « عالم » يلقاه الانسان هو « عالم الاب » ، فاذا كانت الام هي مصدر بقاء الابن لانها تغذيه وترعاه وتساعده على النمو والاستمرار ، فان الاب هو الواسطة بين الابن والمجتمع ، ان الاب هو الذي يمثل العالم الخارجي ، فتصرفاته وسلوكه ومعاملته لابنائه هي الخطوط الاولى الاساسية التي تعطيهم « فكرة الحياة » .. وعلى مدى نضج الاب وسلامة شخصيته وتصرفاته تتحدد شخصية الابن في المستقبل ، ونموذج « والد كافكا » نموذج شائع معروف في شتى المجتمعات .

ولنعد الى رسالة كافكا لنرى فيها تجربة ذلك الفنان العظيم مع والده . انه يبدا الرسالة بقوله : « منذ عهد غير بعيد سألتني عما يخيفني منك ، فلم ادر كعادتي معك بم اجيب ، ويرجع ذلك من ناحية الى نفس ذلك الخوف الذي يملك علي نفسي ازاءك ، والى ان دوافع ذلك الخوف كثيرة متعددة يصعب الكلام عنها في دقة وتفصيل » .. فالعلاقة بينهما تقوم على الخوف .. خوف الابن من ابيه وهذا هو الاساس الاول الذي ادى الى عدد من النتائج على جانب كبير من الخطورة ، ومن ناحية اخرى نتيجة لسلوك الاب وشخصيته الخاصة .

فالاب لا يحاول ان يفهم نفسية الطفل فهما صحيحا ، بل يعامله كما لو كان ندا له والمثال على ذلك تلك القصة التي رويناها في اول هذا المقال ، عندما اراد كافكا ان يشرب فبكا وصرخ ، وكان عقابه ان وضعه ابوه في الشرفة ، وسط الظلام والبرد دون رحمة او حنان ، ولنسمع كافكا يقول عن تلك الحادثة في رسالته الى ابيه :

« من المؤكد ان العطش لم يكن الدافع الوحيد للبكاء ، ولكنني كنت ابكي لكي اثيرك من ناحية ، ولك اتسلى من ناحية اخرى ، ولما لم تفلح تهديداتك العنيفة المتكررة في اسكاتي اخرجتني من سريري وحملتني الى الشرفة حيث تركتني بعض الوقت وحيدا ، وليس على جسدي الا رداء رقيق ، واغلقت باب الشرفة دوني . »

هذا هو الطفل الحقيقي .. انه يبكي احيانا للاثارة . واحيانا للتسلية .. انه يريد ان يثير انتباه الاب ، يريد ان يشعر بوجوده وبشخصيته من خلال اهتمام الاخرين . وهذا حق من حقوق الطفل ، بل وجزء من الطبيعة البشرية السليمة في تلك المرحلة من العمر ، وعلى الاب ان يقدرها تمام التقدير ، ويعالجها بطريقة سليمة . اما اذا عالجها على ان الطفل يبكي بدون سبب ومعقول فان النتيجة تكون ان يقف منه موقف العقاب ، وقد يشتد هذا العقاب ويقسو ، فيؤدي الى اثار سيئة ضارة .

ما هي تلك الاثار السيئة الضارة ؟ ان كافكا يجيب

على ذلك في رسالته :

« لقد كان ذلك كافيا ولا ريب لكي يجعل مني مخلوقا مطيعا في الظاهر ، وان كان قد سبب ضررا اخر خفيا ، فلم يكن ذهني في ذلك الوقت يستطيع ان يدرك العلاقة بين طلبي للماء بدون مبرر ، وبين اخراجي الى الشرفة ، والامر الاول كان يبدو طبيعيا جدا في نظري ، ولكن الثاني كان مريعا مخيفا ولا شك ، وقد ظللت سنين طويلة اتالم في مرارة كلما تذكرت كيف ان ذلك الرجل الجبار الذي هو ابي ، وهو الملاذ الاخير لي ، كان يستطيع ان يخرجني من السرير بدون مبرر قوي اثناء الليل ليتركني في الشرفة مدللا بذلك على تفاهتي وضآلة شأني »

« بيد أن هذا الشعور بالتفاهة الذي كان متواضعا اول الامر والذي كنت استمده من تأثيرك علي ، استفحل خطره فيما بعد حتى سيطر تماما على شخصيتي . »

ان فهم نفسية الطفل مسألة هامة الى ابعد حد ، واذا كان ذلك مطلوبا من المتصلين بالطفل عموما فهو مطلوب على وجه الخصوص من الاب ... انه واجبه الاول ، ومسؤوليته الكبيرة .. والنقطة التي يشير اليها كافكا . وهو عدم الثقة بالنفس ، والاحساس الذاتي بان الانسان لا قمية له ولا اهمية .. هذا النوع من الشعور الذي يسيطر على الشخصية ينشأ عادة في الطفولة ، وهو ينشأ على التحديد نتيجة لعلاقة الاب بابنه والشعور بالتفاهة ، وانعدام الثقة بالنفس ، شعور مدمر قاتل قد يؤدي الى انهيار الشخصية تماما وهو يؤدي احيانا الى نوع مرير من التمزيق والقلق ، مثل ذلك الذي سيطر على كافكا وادى في النهاية الى مرضه بالسل ، والى وفاته في الواحدة والاربعين ، وفي بعض الاحيان يصبح انعدام الثقة بالنفس مفيدا لانه يدفع الى العمل والاجتهاد رغبة في تعويض النقص الموجود في الشخصية ، ولكن ذلك لا يكون اذا ما كان شعور انعدام الثقة غائرا عميقا في النفس .. ان قدرا محدودا معقولا من هذا الشعور هو وحده الذي يفيد الحياة الانسانية السليمة ، اما الاسراف فيه فدمار ، او طريق الى الدمار

وربما ترجع مسؤولية هذا الشعور الى الظروف ، او الى التجارب ، ولكن مرجعها الاساسي في حياة الانسان هو : شخصية الاب ، ومن هنا كان واجب الاباء كبيرا . ان عليهم ان يفكروا كثيرا في علاقاتهم بابنائهم وان يتخلوا عن جعل الابناء حقلا للتجربه او مجالا لتعويض ما ينقصهم في حياتهم .. كان يتحول الاب المستضعف في المجتمع الى ديكتاتور مع ابنائه .. انه تعويض مريض » اما التعويض السليم فهو ان يلتمس الاب قوته تقويه ابنه ومساعدته على الحيه الطبيعيه . ونقطة اخرى على غاية من الاهمية يثيرها « كافكا » في رسالته الى ابيه ، يقول الكاتب الفنان :

« لقد كان محرما علينا نحن ان تعرق العظام ، اما انت فكنت تعرقها ، ولقد كان محرما علينا نحن ايضا ان نلعق الخل ، اما انت فكنت تلعقه ، كنت ترى انه يجب تقطيع الخبز قطعا متساوية نظيفة ، ولكنك لم تكن تتورع عن تقطيعه بسكين ملوث بالصلصة ، كنت تحذرنا من ان يقع الفتات منا على الارض ، ولكن عقب الطعام كنا نرى كثيرا متناثرا حيث كنت تجلس . كنت تقول ان المرء يجب ان يتفرغ على المائدة للاكل فقط ، ولكنك كنت تنظف اظافرك فتقلمها وتبري الاقلام وتنظف اذنيك بالخلال التي تستخدم لتنظيف الاسنان بعد الاكل »

واذا كان هذا المبدأ سليما في كل الامور ، فهو اكثر سلامة في ميدان الابوة ، فالاب هو المدرسة الاولى والكبرى التي يتعلم فيها الابن ، وقد لا يتمكن الابن من اكتشاف التناقض بين القول والعمل في حياة مدرسه ، او في حياة زميله ، او جاره .. ولكنه سيتمكن حتما من كشف هذا التناقض في حياة والده لانه يعيش مع والده وقتا طويلا ، وفي الظروف تمكنه ان يعرف اذا ما كان ابوه صادقا فيما يقوله ، ام ان اقواله ليست الا مجرد ادعاءات .

لقد مات كافكا حزينا متألما ، بعد ان قاسى حياة مريرة حزينة .. لم يهنأ فيها بعالم سليم ، ولم يهنأ فيها بحب ، ولم يهنأ فيها بأب يتعاطف معه ويحترمه .. وبعد ان مات كافكا بسنوات جاء « هتلر » الى الحكم ، فقرر ان يحرق كتب كافكا ويصادرها ، ونفذ هذا الامر بالفعل . وكان السبب الحقيقي هو ان كافكا يصور الظلام النفسي الذي يمزق الناس ، وكان هذا التصوير هو التعبير الحقيقي عن واقع الناس في المانيا قبل ايام هتلر وفي ايامه ايضا . اما السبب الظاهر فهو : ان كافكا يهودي والحقيقة التي كان يعلمها هتلر تماما هو ان كافكا كان انسانيا ، شامل النظرة ، بعيدا كل البعد عن الافكار الضيقة المحدودة

لكن عذاب كفكا قد منحنا اشياء عظيمة ... لقد منحنا عزاء نفسيا ، ودعوة الى الحياة في انسجام وتناسق وكراهية للمتناقضات المفزعة التي يغلف بها الناس حقيقة الحياة .. اما رسالته الى والده فهي عمل فني صادق ، وهي الى جانب ذلك درس أجتماعي ذكي يعلمنا فن الابوة الحقيقي ، على أنه فن من الفنون السامية الصعبة الخطرة في نفس الوقت ، انه فن يحتاج الى جهد ومثابرة وتواضع حتى يكون اساسا لخلق اشخاص ايجابيين اصفياء لا طريقا الى التعقيد النفسي والدمار وضيعة الانسان في الحياة .

رجاء النقاش — القاهرة

مدينتي العجائب

(تحية الى مؤتمر الشباب الاسيوي الافريقي الذي انعقد في القاهرة)

مدينتي
تفتحت كل الزهور
وكل ام ودعت رفاق
ليلتقوا في ظلك العملاق
وعانقت سماءك الاعلام
والارض تحت وابل الاقدام
تصيح في الاحرار لن تعود
اسطورة العبيد
واشتبكت سواعد الشعوب
مدينتي
يا ملتقى الحياة بالانسان
رياح آسيا تحمل العبير والثمار
رياح آسيا في الطريق
لن يرجع القرصان
اشلاؤه نهب النسور
في الصين ، في الفتنام ، في كوريا
عظامه كفنها الجليد
تموت بلا وداع
بلا قرابين ، بلا زهور
وفي نوافذ الشروق
وجه غلام اسود صبوح
يدق باب الشرق للجموع
ويمسح الدموع
ودوت الغابات والانهار والجبال
بلعنة الحياة للبغاه
وصيحة السجين بالجلاد
واحترقت مناجم من الغضب
والموت كالاعصار ، كاللهب
يذرو معاقل الطغاه
ويصهر الاغلال والحجب
ماد السفين في الخضم
وانفجر البركان بالحمم
يهدر كالنذير :
افريقيا تمردت
افريقيا تثور
وخضب المياه طائر جريح
نمت على دمائه البذور
واساقط المطر
وانطلق الرعيان للسفوح
لا موت ، جفت الدموع

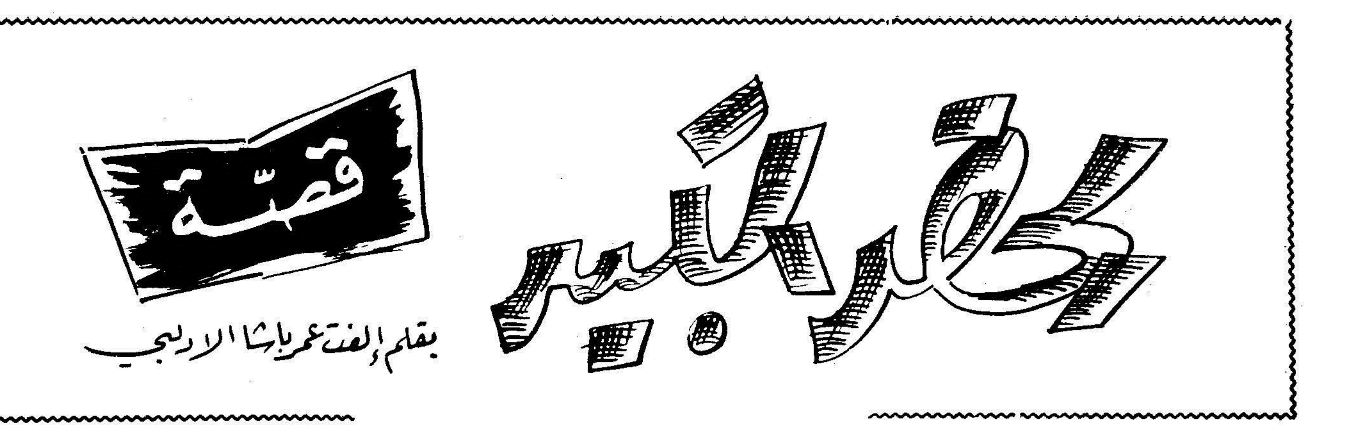
...

مدينتي ، ما اروع اللقاء
وضجة السواعد السمراء في الافق
وفي المدى صدى هدير
مصانع تدور
ورفة النوار في الحقول
تضوع بالعبير
ويرتمي عصفورها على الشفق
طفل نزق
مدينتي تهاجر الطيور
الى شتائها الضحوك
اوراقها لا تعرف الخريف
مدينتي ربيع
الشمس في المروج لا تغيب
تسبح في ومض العيون السود
في قطرة العرق
ويمسك الاطفال في مياهها القمر
مدينتي تهوى القمر
تحيي اماسي السمر
تعب انفاس السحر
مدينتي اعياد حب
مآزر هفهافة تطير
والزهر من العقود كالنجوم
وموجة العيون تغمر الافق

...

اي الوجوه اقبلت ؟
اي الجباه لوحتها سمرة الجنوب
وصفرة الشعاع في الغروب ؟
اي الوجوه شفها برح الكلال ؟
جاءت تحيي عصرها الابناء ..
وتحت اقواس انتصار العائدين
تدفق النهر العظيم بالوفود ..
من قمم الجبال ، من مشارف الوديان
من يانع الجزر
من وهدة الشعاب بين الغاب والنخيل
من مشرق الضياء في مرافىء البحار
من ملتقى السحاب بالحياة في التلال
من هزة الزلزال ، من تمرد البركان
من صرخة الجياع بين اللص والطوفان
من مطلع الثوار ، من مغارب الغزاه
مواكب ، مجامع ، حشود
نشيد في مدينتي جسر انتصار
وتنشر الانوار في الافق
مدت سواعد ، واشرقت عيون
دوت اناشيد الجموع
رفت حمائم السلام للبشر
واينعت حدائق الحياه
كل الرفاق يعملون
كل الصغار يحلمون
كل الضحايا يسألون
دماؤنا في الارض لم تجف
فلتضربوا على يد الجلاد
ولتشرق الحياة للاجيال :
(لا موت بعد اليوم
لا طفل يحترق
لا نار ، لا غبار ، لا دمار
لتنطلق مواكب العمال في شواطىء البحار
لتتحد منابع الانهار
ويولد ابن الارض من جديد)

القاهرة — **حسن فتح الباب**



ما كنت احسب ان تلك الذكرى المؤلمة ستظل قابعة في اعماق نفسي دائما ابدا ، حية لا تموت مهما بعد بها العهد . يثيرها مرأى كوب من الحليب ، مجرد كوب صغير من الغذاء الذي عافته نفسي منذ ما اصبح مرآه يبعث كوامن الاسى في قلبي ، كنت كلما وقع نظري عليه تمثل في خاطري ابو حامد بياع الحليب الجوال بقامته القميئة المائلة قليلا على وعاء الحليب المعلق على كتفه ، ثم سرواله الازرق وقد شد عليه زنارا احمر ، وارتدى فوقه ميتانا مخططا بالابيض والاسود ، وعينيه الصغيرتين اللامعتين تحت حاجبيه الكثيفين ، وقد التفح بكوفية بيضاء . ثم صوته الحنون وكأنه يرن في اذني الآن وهو ينادي بنغمة ممطوطة : حليب ، حليب ...

كان الصوت يتناهى الي كل يوم وانا قابع في فراشي تحت اللحاف فيصلني خافتا عميقا عندما يكون ابوحامد قد وصل الى اول حارتناالطويلة المنحدرة من ذيل قاسيون حتى حي الصالحية . ثم يبدأ الصوت يعلو ويعلو ، وعندما يصل ابو حامد الى امام بيتنا كانت ساعتنا العجوز المثبتة على حائط الليوان ، والتي وعت جيلين او اكثر من اسرتنا تبدأ دقاتها الرتيبة فتدق دقات متتابعات كانها والحلاب على ميعاد لا يتخلفان عنه ابدا . فاهب عندئذ من فراشي يدفعني نشاط سن العاشرة الذي كنت فيه ، واهبط الدرج راكضا فاثير ضجة قوية توقظ اهل البيت جميعا ثم اتناول ابريق الحليب من المطبخ لاملأه من الحلاب. كانت هذه هي الوظيفة التي اناطتها بي امي كل يوم . وعندما افتح الباب كان يطالعني ابو حامد بابتسامته التي تضفي على وجهه طيبة وحنانا . ثم يكيل لي ثلاث كيلات من الحليب . كانت عيناي تستقران دائما بكثير من الفضول على يده الكتعاء التي تقلصت اصابعها و تجمعت في راحة الكف ونتا الابهام كانه قطعة خشب يابسة . كان يخطر لي دائما ان اسأله عن سبب عاهته تلك ، ولكن الخجل كان يعقد لساني عن الكلام. ثم يتحول ابو حامد الى باب جارنا ويصرخ : « حليب » بصوته النغوم فينفتح الباب فورا وتبرز منه صبية صغيرة شقراء في مثل عمري هي جارتنا سنية فتحييني ضاحكة فاشعر ان الدنيا تضحك لي باسرها واظل واقفا انملى من وجهها الصبيح حتى يملأ لها ابو حامد الوعاء الذي بيدها فاذا اغلقت بابها انكفات انا الى داخل البيت وانا ارشف رشفات صغيرة من السائل اللذيذ . وهكذا كان يبدأ نهاري كل يوم بداية طيبة . فاذا تحلقنا حول المائدة اسمع امي تقول وهي تصب لنا الحليب : ابو حامد حلاب ممتاز، الله يبارك له ، صاحب ذمة ودين ، ومايغش الحليب ابدا ، فيرد ابي قائلا:

مسكين انه رجل طيب فقير وابو عيال يذهب كل يوم ماشيا قبل شروق الشمس الى الغوطة ليبتاع حليبه من ثدي البقر مباشرة . » فاشعر انا نحو هذا الرجل بشيء من العطف والشفقة ، ولكن هذا الشعور مالبث ان تحول ذات يوم الى اكبار واعجاب ، يوم رايت ابي يهب منفراشه كلما سمع صوت الحلاب ويخرج معي لمقابلته فيستطلع منه اخبار الثوار في الغوطة . كان يسأله اسئلة ذات بال ويحسب اني لا افقه مما يقولون شيئا . كان يقول له مثلا :

كيف حال الجماعة اليوم ؟

فيجيب ابو حامد وهو يكيل الحليب بصوت خافت ولهجة كلها ثقة : « بخير والحمدلله . المعنويات طيبة » ثم يهمس وعيناه تلمعان : « اليوم وصلت كمية كبيرة من السلاح . ولكن آه يا اسفي يا افندي .. في معركة البارحة استشهد ثلاثة من اولاد الميدان وخمسة من اولاد الشاغور وسبعة من الغوطة . انا اعرفهم جميعا كل شب والله مثل النخلة ، ولكنهم قتلوا كثيرا من الفرنسيين . هؤلاء الشهداء يا افندي هم شباب اهل الجنة يا ليتني اصبح واحدا منهم .» ثم يمد يده الكتعاء ويقول : هذه اليد يا افندي احرقت كبدي ، لو كانت سليمة قادرة على استعمال السلاح لكنت والله تركت العيال في رعاية الله والتحقت بالثورة لاجاهد في سبيل الله. ثم يردف قائلا باسف شديد :

« ولكن الله لم يشأ ان يكتب لي هذه السعادة » ثم يتحول الى باب جارنا ويصرخ « حليب ، حليب » ...

سمعته ذات يوم يقول لابي وهو يكيل الحليب كعادته :

هجم البرد يا فندي ! اكثر الثوار يا حسرة ليس لديهم عباءات !! والنوم في البرية بلا عباءة أمر صعب . كان الله في عونهم .

ويهز ابي راسه فياسف دون ان ينبس بكلمة . ثم يدخل البيت ويتحادث مع امي طويلا بصوت خافت . ويبدو على امي انها كانت مهتمة بالحديث اهتماما شديدا . واشعر برغبة ملحة لافهم ما يدور بينهما من حديث .

في المساء اخذت استرق السمع من خلف الباب فسمعت امي تقول : طفت اليوم جميع بيوت جارتنا فما تخلف بيت واحد عن الدفع ، الاغنياء والفقراء على السواء . فاستطعت ان اجمع ثمن خمس وعشرين عباءة اتدري ان ثمن العباءة الواحدة سبع ذهبات ؟

ويقول ابي : « اعرف ذلك . الافضل ان تشتري انت العباءات . حاولي ان تشتري من كل دكان عباءة واحدة كي لا تلفتي اليك الانظار . فالفرنسيون يبثون الجواسيس والخونة في كل مكان ثم يقول :

« اتدرين ان ابا حامد نكفل بايصال العباءات الى الثوار معرضا نفسه للخطر ؟ » فنقول امي: انه صاحب مروءة ونخوة . ويرد ابي : سيأخذ كل يوم عباءة واحدة حتى لا يثير اي شبهة . ومنذ ذلك اليوم صار ابو حامد يمر على بيتنا كل مساء ثم يخرج منه وعلى منكبيه عباءة جديدة ثم يعود في الصباح وهو عار منها ليأخذ غيرها . وهكذا الى ان اختفت ذات يوم كومة العباءات التي كانت تختفي تحت سرير امي.

في صباح ذلك اليوم المشؤوم عندما دقت ساعتنا العجوز دقاتها الست لم اسمع صوت الحلاب الحنون كما هي العادة . فبقيت قابعا في فراشي اشعر بشيء من الغم والحزن حتى سمعت امي تناديني فقمت متكاسلا وتناولت فطوري دون كوب الحليب المفضل .

تساءلت امي قائلة :

ماذا جرى لابي حامد يا ترى ؟؟ ما كان ليتخلف عن المجيء ابدا .

ويرد ابي والقلق باد على وجهه : من يدري لعله مريض ؟؟ .

عندما انصرفت من المدرسة في اصيل ذلك اليوم بالذات رايت بعض التلاميذ قد تجمعوا في منعطف قريب وكأنهم يتحدثون بامر خطير. فانخرطت بينهم وسمعت كبيرهم يقول : تعالوا يا اولاد ننزل على المرجه نتفرج . يقولون ان الفرنسيين يعرضون فيها جثث الثوار الذين قتلوهم في معركة البارحة ، ويبدو الوجوم والجزع على وجوه الصبية ، ويقول بعضهم : لا تصدقوا ذلك ابدا . الفرنسيون يكذبون كثيرا ويقول الكبير تعالوا نر اذن . ويسير امامهم فيتبعونه دون اي اعتراض واجدني اتبعهم انا ايضا مأخوذا ذاهلا . كنت الاحظ ان الناس كانوا يسيرون في ذلك اليوم عجلين منكسي الرؤوس تبدو على وجوههم الوجوم والانقباض. ولما وصلنا المرجة هالنا ما رأينا . كانت خالية من المارة على غير عادتها كأن الناس كانوا يتحاشون المرور بها فيحولون عنها طريقهم . وقد صفت حول النصب التذكاري القائم في وسطها جثث بشعة مشوهة ، ممزقة الثياب ، ملطخة بالوحول والدماء . وكان بضعة جنود من الفرنسيين يحرسون الجثث، وكان ضابطهم ينظر الينا ويشير بيده الى الجثث وهو يضحك ويقول برطانة اعجمية ثوار ، ثوار .

لقد بدرت مني صيحة قوية عندما وقع نظري على جثة ابي حامد الحلاب بين الجثث . كانت سحنته قد تغيرت كثيرا ولكني عرفته من البسته ومن يده الكتعاء وقد تمددت الى جانبه وكانها برهان قاطع يثبت ان صاحبها لم يشترك في معركة ، وهو عاجز عن استعمال السلاح في وجه الاعداء . وراح الصبية يتراجعون في صمت رهيب ، وكأنهم قد شعروا بفداحة غلطتهم . كان يجب عليهم الا يأنوا نكاية بالفرنسيين كما يفعل الكبار . ولما ابتعدوا قليلا قال كبيرهم بصوت مرتجف خافت وقد بدا عليه الندم والخزي كانه هو المسؤول عن مجيئهم :

صدق من قال ان الفرنسيين كذابون ، ليس بين هؤلاء القتلى ثائر واحد. انا اعرف الثوار ، كل هؤلاء من الفلاحين ، والمساكين والعجزة» فهز الصبية رؤوسهم دون ان ينطقوا بكلمة واحدة . كانت وجوههم مصفرة كالحة ، كانها مكهربة وعينهم متسعة محمرة تحملق في كل شيء، وافواههم مفتوحة يسيرون واقدامهم تضرب ضربات مضطربة قوية كانهم رجال حاقدون .

واحببت ان اتكلم لاويد كلام الكبير فاقول لهم :

اني رايت جثة الحلاب وهو ليس بثائر ، ولكن لساني لم يسعفني بالنطق كانه قد يبس في حلقي ، وشعرت بحاجة ملحة الى البكاء لانفس عن صدري ولكن الدموع التي طفرت الى عيني انحبست في محجري وابت ان تسيل وكانها قد تجمعت كلها في حلقي.

اسرعت الى البيت فرايت امي جالسة على كتف الليوان تبدو شاردة الذهن ترفأ من حين لاخر دموعها المنهمرة . فوقفت امامها مرتاعا وسألتها بلهفة اين ابي ؟؟ . قالت وهي تهديء صوتها المضطرب لتطمئنني : ابوك سافر الى الضيعة وسيعود بعد ايام قليلة فاقتربت منها ونظرت في عينيها وقلت لها :

لماذا تخفين عني الحقيقة ؟ انني اعرف انه التحق بالثورة وتركنا في رعاية الله كما كان يتمنى ان يفعل ابو حامد الحلاب قبل ان يقتله الفرنسيون . فضمتني الى صدرها بعنف وقالت :

يا خبيث من اين تعرف كل هذا ، انك تتكلم مثل الكبار تماما اياك ان تذكر امام اي شخص كان ان اباك التحق بالثورة ، ولو درى الفرنسيون لهدموا بيتنا . قلت مرتاعا :

ايهدمونه ونحن فيه ؟؟ قالت : يعملونها يا بني لقد هدموا كثيرا من الدور على رؤوس سكانها . فاخذت التصق في صدرها واوصالي ترتعد من الخوف . كنت اشعر انني كبرت كثيرا ، وعرفت اشياء كثيرة ، الم ار الموت في ابشع مظاهره لاول مرة في حياتي ، الم اعرف الكثير عن فظاعة الفرنسيين ؟

في تلك الليلة نمت نوما قلقا مضطربا ، كانت تقطعه احلام مخيفة رهيبة . كنت احيانا ارى جثة ابي ملطخة بالوحول والدماء ملقاة في ساحة الشهداء الى جانب جثة الحلاب . فأصحو على صراخي المزعج فارى امي واقفة امام سريري تهدهدني وتسكن روعي حتى اهدا قليلا . فاذا عدت الى اغفاءة بعد جهد طويل رايت بيتنا ينهار تحت قصف القنابل وانا وامي نتراكض من غرفة الى اخرى بين الدخان والغبار . ثم تعاودني رؤية الجثث ولكنها كانت هذه المرة لجنود فرنسيين اعرف بينهم ضابطهم الفرنسي اللئيم الذي كان يضحك بوقاحة ويشير بيده الى الجثث فاشعر بشيء من ارتياح الشماتة .

عندما بزغ الفجر كانت اعصابي قد تعبت تماما فاستسلمت لنوم عميق . ثم صحوت على صوت ناعم ندي ينادي في اعلى الحارة حليب حليب كانت له نفس النغمة المطوطة والجرس الحنون . ولكنه كان ينتهي بانة حزينة مرتجفة فعرفت الصوت حالا : انه صوت صديقي حامد الابن البكر للحلاب الشهيد . فعضضت شفتي من الغيظ ورحت اتخيل رفيقي المسكين المتفوق في مدرسته كيف هجرها قبل الاوان وودع اماله الحلوة ليعيل اسرته الكبيرة فخلع عن عاتقه مرغما محفظة الكتب لتحل محلها دبية الحليب التي ربما لازمته مدى حياته كما لازمت اباه من قبل . وتنهمر من عيني دمعتان ساخنتان ومنذ ذلك الحين راح ينمو في اعماقي حقد كبير مرير .

الفة عمر باشا الادلبي

الثقافة ونهضة الشعوب

طرحت السيدة الماس الدويك الاسئلة التالية على عدد من المفكرين في لبنان :

١) ما هي الدعائم الاولى لتطور نهضة الشعوب ؟
٢) هل العلم وحده مبنى لها ؟
٣) هل الثقافة دعامة فيها ؟
٤) ما هو الارتباط بينهما ؟
٥) ما هي الانظمة المعمول بها لتحقيق مظاهرها ومعانيها ؟

وهذه هي الاجوبة التي تلقتها :

جواب الدكتور كمال الحاج

١) يدلنا التاريخ على أن مطلق نهضة لشعب من الشعوب لا تحصل الا بموجب ثلاثة عوامل اساسية : تحد من الخارج ، وعي من الداخل ، وزعيم يجسم هذا الوعي المستنفر ، ومؤسسات فيما بعد قائمة على احترام العلم

ان التحدي من عدو في الخارج هو بمثابة استفزازلوعي الشعب قومية امته ، فيتمسك حينئذ بارضه ، ويمني اقتصاده ، ويذود عن تاريخه ، ويقدس لغته . هذا الوعي يتمظهر في زعيم تتوافر فيه شروط القيادة ، حتى اذا ما زال الخطر واستقرت الامة ، تحولت الزعامة من الفرد الى مؤسسات تعمل في سبيل العلم الصحيح.

٢) العلم لا يكفي وحده ، لانه يتناول في الانسان ناحية الذاكرة والذكاء فقط . على حين أن الارادة هي ابرز ما في الكائن البشري ، اذ عليها تقوم شخصيته . والارادة هي من باب الاختلاقيات . ولهذا قيل ان العلم الخالي من الاخلاق هو تدمير للنفس .. وبالتالي للشعوب .

٣) اجل ان الثقافة دعامة في النهضة . ولكنها ، كالعلم، لا تكفي وحدها . اذ هي تتناول في الانسان الناحية التي يستوعب عن طريقها معلومات ، تقوي ملكة الذاكرة والذكاء، فقط . ان الطبيب المثقف هو الذي يلم بغير الطب من العلوم .. هو الذي يبحث في التاريخ ، والسياسة،والفن والادب ، الى جانب الطب مادته الاولى . ولكن الثقافة لا تعني الاخلاق .

٤) اذا مثلنا العلم ببعد العرض ، فاننا نمثل الثقافة ببعد الطول ، والاخلاق ببعد العمق .

٥) في تقديري ان النظام الديمقراطي الاشتراكي ، القائم على أساس العدالة لكل لناس ، هو احسن نظام معمول به لتحقيق مظاهر النهضة ومعانيها . هو النظام الذي يجمع بين الفرد والمجموع .

★———————★

جواب الدكتور زكي النقاش

١) مما لا شك فيه ان وعي الشعوب لحقيقتها وادراك الفئة المختارة فيها لواقعها واحساس الكثرة من افرادها بوطأة ما ترسف فيه من ذل الجهل وتتردى فيه من مهاوى الفقر وما تعانيه من الوان المرض لتعد كلها من اولى دعائم نهوضها وتطورها تطورا ينسجم مع ما تبتغيه من رفعةوعزة وسؤدد .

٢) ان هذه الدعائم التي عرفناها بالوعي والفهم والاحساس لتتطلب ان يسبقها يقظة فكرية يبعثها في افراد الشعب علم تتنور به افكارهم ويصبحون بفضله قادرين على ان يميزوا الخبيث من الطيب والصحيح من الزائف .

٣) لما كانت الثقافة تتمثل في جماع ما يتكون لدى الانسان من عادات ونزعات واتجاهات تتبلور عنده وتظهر في تصرفاته بعد ان يكون قد نسي الكثير مما تلقنه من قواعد العلم ودساتيره ، وما سبق له ان وقف عليه من دقائق المعارف وتفاصيلها ، كان هذا بالذات ما يجعله ان يستحق لقب مثقف بعد ان كان مجرد متعلم .

لذلك نقول ان كثرة اللبنانيين قد تكون متعلمة ، غير ان القليل بينها مثقف . وهذا ما يدل عليه دلالة واضحة ارتضاؤهم لانفسهم ذل العبودية احيانا اكثر من عزةالحرية، مع الاسف الشديد نقول هذا ...

٤) هو ذلك الروح، الذي يتمثل في تصرفات الشخص المتعلم ، بعد ان يكون قد نسي ـ كما قلت اعلاه ـ دقائق ما تلقنه من العلم وما سبق له ان وعاه من تفاصيله وانقطع عن ممارسة قواعده ودساتيره .

٥) ان الامم الحرة لتضع من الانظمة ما يحرم على الاجنبي عنها ان يقوم بعملية التربية والتعليم للناشئة من ابنائها وبناتها ، ولتأخذ نفسها بانظمة آخرى تفرض عليها ان تحرص الحرص كله على ان لا يتعهد ابناء الجيل عندها الا من سلمت منه النية وطاب عنده حسن الطوية مع ما يجب ان يتحلى به من علم صحيح ، وخبرة ناضجة والا اذا تركت الامور تجري في غير اعنتها ، كما تفعل بعض الحكومات العربية في الوقت الحاضر ، كان مثلها كمن يترك قطعانه في أرض مسبعة فتتعرض للموت المحتم .

★———————★

جواب السيدة فايزة معلوف انتيبا

١) الدعائم الاولى لتطور نهضة الشعوب هي :
أ ـ حرية الفكر والقول والاختبار .
ب ـ تقدم العلم وانتشار المعرفة

مِن مُذكرات الضياع

بقلم محيي الدين صبحي

١ ــ مع الرفاق

يلتمع امام عيني بريق ونشيش صدوع ، كأن جرارا من الصدق تنهال وتومض ، وانا استشف الظلام من خلال الغرفة المضيئة . يصل الى اذني بعض الحوار :

ــ يتجه الرسم الى الالوان والخطوط مهملا للمعاني .

ــ هذا اتجاه الفن الحديث الذي يتخلى عن الموضوعية . يطلب واحد سيكارة وهو يقلب دفتر الرسوم ، باعثا عن خطوط اولى تصور جسدي رجل وامرأة . نخرج اخر الليل نشرد في الدروب واصوات المدينة تلاحقنا بعار لا ينقطع :

ــ عودوا الى بيوتكم وادرسوا لكي تنجحوا فقيمتكم هي ما تملكون من مال .

ــ كلا أيتها السيدة صاحبة العطر والدخان . قيمتنا ما نعرف لا ما نمتلك .

ويدور الحديث نحو الادب ــ نتحدث عن الهتنا : كامو ، سارتر، دوستويفسكي: اولاء كشفوا الانسان وفضحوا قلقه.

ــ كفوا . تلكم احاديث بورجوازيين . علينا ان ننظم العالم .

ــ نظم شعر راسك يا عبيط

نتشاور في كأس بحجة انك لا تستطيع ان تجابه العالم دائم الوعي . ثم نفترق ، في فم كل واحد دخان وليس في رؤوسنا احلام . لقد كبرنا .. كبرنا كثيراً ومالنا على الحب طاقة . الحياة صعبة بلا احلام .

٢ ــ وحيدا

ليل بلا نجوم .. حالك كله ، وسار في الدجى يؤنسه وقع قدمه او توحشه صور سود لاجساد بغايا . حتى السيكارة ..جال راسها رماد السنين . ذكريات علاقات بدون معنى . الصبح يلقي رداءه الرمادي ويلف الارض بدفء الحياة .

ــ أيها السائر في الدرب تمهل . سوف تعيش من جديد وتبعث ، لا في صورة ملاح تائه ولا افاق مغامر .

ــ ذاك حلم قديم . .

ــ انه تجدد :

معطفها الازرق . معطفها الازرق الشفيف . سوف يلقي على عينيك فتبصر . وسوف تحضن وجهها الابيض بيديك تقرا في وجنتيها الناصعتين سورة الخلاص . وسوف تلقي برأسك المجهد على صدرها وتغني :

« يا غدي ، يا فرحة عمر ي
« ها انا مقبرة الدخان والسهر
« أنشد في حضنك امن الليالي . »

ــ اسكتي يا جوقة الامل ، انها مترددة بشأني .

ــ سوف تراها في الغد .

ــ سوف احييها واحدثها عن الله وعن معنى الخيبة في حياة الانسان ، حتى اذا مر الوقت « وقال للذات اللقاء : ترحلي » (١) اشعلت سيكارتي وعدت الى غرفتي الباردة احدق في الفراغ واسترجع حديثها « يا طيفها والثلج في جبهتي »(٢) وحين يعود المساء.. أجتمع بالرفاق فنتحدث عن الفن !

٣ ــ غب البوح

يملأ دنياي اليوم عطوف ينهل من همس الجفون . انا مذ بحت بالحب ــ بحبي ــ تشيلني نثرة ضوء الى افاق الصحو . ترى كيف يضع الشاب مستقلبه بين يدين صغيرتين ؟

وذلك سر خطير عرفت امره في ثوان معدودات ، عرفته ذلك السر ــ في ثوان كثيفة لاهثة ضمخها الخفر . وخفر عذرائي ذات الجدائل الكستنائية وخيوط الحرير المسبلة على الكتفين .

كنت احكي بصوت هامس احاول الا تظهر ارتعاشاته .

(١) شطر لشاعر قديم

(٢) شطر للشاعر فؤاد رفقه

ج ــ توفر الامكانيات الطبيعية والبشرية .

د ــ التمسك بالمباديء الانسانية والقيم الروحية الاخلاقية

٢) العلم هو عامل جوهري واساسي في تطور النهضة ولكنه ليس العامل الوحيد ، من الضروري أن يقرن العلم بثقافة أنسانية عامة وان توجد الامكانيات والدعامات المعنوية اللازمة .

٣) الثقافة هي دعامة اساسية وضرورية ولا تتم نهضة شاملة بدونها .

٤) ان وجه الارتباط بين العلم والثقافة هو أن العلم يكون المادة الخام التي تعمل بها الثقافة والثقافة تضمن انتشار العلم وتكيف شخصيات الافراد وفقا لمبادئه وروحه .

٥) ان الانظمة المعمول بها حاليا لتحقيق مظاهر نهضة الشعوب ومعانيها هي :

أ ــ المؤسسات الروحية الاخلاقية

ب ــ الانظمة التربوية والاجتماعية والثقافية الوطنية والدولية .

ج ــ النظم الاقتصادية والتعاونيات الزراعية .

د ــ المنظمات الصحية .

ر ــ الانظمة السياسية التي تؤمن بمبدأ احترام الافراد واحترام حقوقهم وحرياتهم الاساسية .

لكن اناملي المصبوغة بصفرة الدخائن رجفت .. فضحتني اناملي المرتجفة . كانت اناملي طموحة لان تنغمس في ذلك الاخلاص الابيض ، فيتم بذلك عمادي.. واتطهر من رجس وحدتي الخرساء.

★

... الكلمات .. يالها من صديق خائن ! كلماتي العزيزة لم تنجدني حين اعوزتني الحاجة . قفز وجودي شابا لدن الهتي الرشيقة . هب قلبي يتنفض من سباته البارد ، ثم اقبلت اصداء السكون .. السكون الخصب تغزله العيون حين تلتقي بصمت بعد زوغان طويل .. وغرقت في بحر الزرقة ، في هدوء تتأكله الحيرة .

ما يفعل المحبان بعد بوح خجول ؟ يلهثان قليلا من ركض الحياة في الاعراق ويرتبكان مندهشين:

هي من مفاجأة قذفتها الى مطلق الحياة
وهو من جراة قذفته الى اعالي الافاق

ثم يهيمن الصمت الربيعي ويرتبكان . ما اسرع ما تلتقي العيون وتشرق الشمس ملء صدر الامل ، فيبتسمان خجولين وتعود الثرثرة تناغي القلبين كغناء نهر غزل ...
تباركت يا حب يا اخلاص يا امل. يجتمع الحبوالسكون في نظرة .

يجتمع الخوف والرغبة في بسمة . يجتمع العقل والجنون في صبوة . والخوف والسكون والرغبة والعقل ، والحب والجنون .. كلها تمحي غب بسمة البوح .

وتلملم الحلوة الحسناء أشياءها لتنصرف : تضع الكتاب في الحقيبة السوداء . تربت بانملها الخمس — شمعات معبد — على الشعر الكستناوي . وتضع شالها المصفر على جيدها المشرئب كيفما اتفق — فهي عجلى — وتسير مياسة القد شامخة بأنفها الصغير ، وهي تصطنع الوقار .

تبارح المكان بخطى سريعة فتكاد قدمها الصغيرة لاتلامس الارض ، بل تطير . وقد تختلس نظرة الى الذاهل المطير الفؤاد . لكنني لا ادري بماذا حدثها قلبي حين رمقتني .. فانا لم اصدق انها ذهبت بل هي باقية معي ، ولم يزل وجودها يملأ حياتي حيثما أسير .

٤ — الفاتح الاعزل

انا صاحب البحار السبعة . لي عرائسها ودرها وكل شراع فيها . املكها كلها ، بقطرات الماء وذرات الرمال . لكن فوق البحار السبعة نجمتين لا املك نورهما الحنون ولا معاني الصحو في سمائهما .

شحذت أسلحة الغزو ورفعت الشراع ، فخبت وعدت العن الرياح . لم يطاول طموحي السماء قبل الان . كنت املك الارض وما زلت .. لكني اريد هاتين النجمتين يغدقان النور لي حدي.

★

سهرت اعواما طوالا أرصد النجوم . كسرت اسلحتي ونبذتها في العراء . اقبلت حاسر الرأس عاري القدمين تاركا بحوري ومجدي العريض . حملت قلبي على يدي فارتعش تحت النور وبدأ يدعو :

« يا عينيها .. يا صحوا ازرق
« يا جزرا فرت من جنة
« يالونا .. يا نكهة مستقبل . »

وجثوت حيال الطيف خاشع الطرف ابتهل :

« يا ربتي ، هذا انا عاريا وبلا سلاح
« يكسو ني الحب ويحميني الامل .
« دعيني أهتدي بنور تينك العينين
« بنور نجمتين
« تخصبان غدي فاسير في الطريق
« وصحوة الاماني . »

٥ — الموعد الضائع

الصبح موعدنا .. والشمس يغسل نورها . غمرتني الثواني حتى غرقت في بحر الانتظار .. عبثا اتطلع ، فلا عشتار مرت ولا فم الفنج باد . اشلائي تسقط على المقعد البليد كميت يئس من البعث .

من يدري ؟ قد تكون امها المريضة احرجتها .. او زيارة صديقة . وقد تكون تركتني عن عمد لما سمعت عني فيتوجب عندئذ على الملاح ان ينشر شراعه ويعود ضاربا في عرض البحر ، يأكل الدخان ويشرب الليل ، قلقا من مغزى وحدته ، فارغا في معنى واقعه ، اشد سوادا واحلك ليلا . ويكون حتى الحب قد لفظني ، فأنا لم اقتنع لحظة ان في الحب الخلاص . لكنني ظننت أنه يخفف اليأس والوحدة ، ويزيد في تعاطف الانسان مع الحياة .. ويعطي الصراع معنى : فأنت تكافح من اجل اثنين .

هذه الافكار وحدها تثبت انني جاد في مطلبي وشريف القصد . وان لم تشأ حمامتي الزرقاء ان تقتنع فلست مراهقا حتى افكر بالانتحار او اعجن الشعر بالدموع . ولست بالحيوان الاجتماعي لابهرها باناقة اللفظ والثياب. فاذا لم تشفع لي النية الحسنة سوف اعود الى كهوف التوحد . اغني صمتي في ذهول :

يا ساعة التمزق ابتسمي
يا غول الوحدة تحفز
يا دروبا لا تنتهي ابشري
فلقد دعاد العبد الآبق ذليلا
عاد من جديد ، ليقيء الحياة اكثر من قبل

دمشق

محيي الدين صبحي

أغاني الشعوب

(القيت في مؤتمر الشباب الافريقي الاسيوي في القاهرة)

كان حولي الليل مجنون العواء
وغفا ... فوق شظايا من رجاء
وطواني ـ واللظى في مهجتي
مأتم للنور مذبوح الضياء
هذه الارض التي ضمت ابي
بعد ان فجرت ثأر الشهداء
والتي مدت الى الكبرياء
لم نعد نحيا عليها غرباء

***

ذلك القيد الذي اعمى خطايا
لم يعد من ذكره الا بقايا
قد حطمناه ولكن لم يزل
حول ايدينا من القيد شظايا
ابقها .. نذكر بها مستعمراً
ملء برديه ذنوب وخطايا
امسنا المجروح في ظلمائه
صرخة النور واشراق الضحايا

***

اي ذئب خدعته مقلتاه
فمضى ينسج اوهام الطغاه
عصبة للشر مست صرحنا
فتردت فوق انياب القناه
قزمت احلامهم لما رأوا
وحدة العرب واصرار الاباه
ثم فجرنا هنا قومية
حملت كل أغاريد الحياه

***

يا اخي هيء حياتي للمنون
لم يزل تحت سمائي مجرمون
في فلسطين ذئاب شردت
مجد اهلي ... ثم قالوا لاجئون
يا فلسطين ... وما احلى الندا
لا وحق الحب ... ارضي لن تهون
وغدا نزحف نارا ولظى
ونغني ... عائدون عائدون

***

يا شباب الشرق .. والعمر الشباب
ايقظوا الفجر وطوفوا بالصحاب
وتخطوا مسبح الشمس ففي
مهجة الذرة للعلياء باب
في دجى الماضي شعاع هاتف
فاحملوا الشعلة ينداح الضباب
حطموا الليل وغنوا للسنا
يا شباب الشرق ... والعمر الشباب

***

ان يكن في كفك القيد استعر
فاصنع التاريخ وثاب الصور
جبهة السيد ان قدستها
دس عليها وتوشح بالشرر .
وامض للقمة مشبوب الخطى
صاخبا كالنار وضاء الفكر
ثر كبركان .. كرعد قاصف
انت ان ثرت فرب وقدر

***

يا اخي الانسان في كل البقاع
ادن مني .. لا تقل حان الوداع
قد غرسنا الخير في اعماقنا
وحصدناه حنينا والتياع
خذ وهات الحب .. فالدنيا لنا
وثبات وانطلاق ومتاع
ملء دنيانا زهور وجنى
لم نبنيها سجونا وقلاع

***

هذه الارض ملاناها عداء
لم لا نحيا عليها اصدقاء
ان في اعماق سفاك الدماء
لهفة الحب وتحنان الاخاء
وارتعاشات تغني للمساء
نغم الفجر واحلام الضياء
يا اخي في كل ارض وفضاء
مد لي كفيك نحيا سعداء

***

هكذا « باندونغ » قالت للشعوب
قد غفا الفجر على نوح الغروب
فاجعلوا النار ضياء لغد
فالسلام الحلو ريان الدروب
انما الناس لحب وارف
لا للون او لقيد او حروب
فازرعوا الكون سلاما وجنى
هكذا « باندونج » قالت للشعوب

***

نحن حطمنا من الكون المحال
وصنعنا كل مجد بالنضال
واستحم النور في افراحنا
وتغنى بصليب وهلال
بعثتنا للعلا قومية
تتأبى عن سجود او سؤال
ففرسنا في الربى حرية
تتغنى ... يا جمال يا جمال

القاهرة **ابراهيم عبد الحميد عيسى**

أنيس النصولي : من رواد الوثبة العربية

بقلم وداد سكاكيني

في ضجة الخطوب العالمية وغمرة البشائر بالوثبة العربية الحديثة فقدت بيروت علما من اعلام الفكر والثقافة ، وقلما من اقلام الموهوبين الذين نذروا حياتهم للعروبة وبشروا بالثورة والحرية التي اعدت الجيل الصاعد في لبنان ليومه الكبير

يموت المرء دون اختياره ويترك لاهله وذويه لوعة وفجيعة ، لكن الادب حين يؤدي رسالته للافذاذ يترك الرزايا للنساء ويتلقاها التاريخ بالتمحيص والتأويل ثم يصهرها حتى تصبح ذكريات وأحاديث او سيرا وامثالا ، فاذا طوى الموت انيس النصولي قبيل الثورة في موطنه وخلف لاهله حسرة ممضة فقد فتح التاريخ له صفحات مشرقة بالمجد ليثبت فيها ذكريات هذا الفقيد العظيم ويجعل منها مثلا رفيعا لبناة الجيل ورعاة القومية العربية بداب وتجرد ومعرفة .

لقد لاحت ملامح النبوغ والطموح في هذا الرائد المجاهد على الحداثة والصبي ، منذ تعهد هذه المخايل والتباشير والد مثقف فاضل لم تشغله التجارة الكبيرة عن براعم نبته وازاهير روضه ، فلما ضمت المدرسة فتاه الانيس في الجامعة في بلده بيروت كان في دراسته وسيرته غرة الشباب والطلاب ، واخذت حماسته للعروبة والقومية تبدو في مطارحاته وثقافته ، وفي مقالاته الاولى التي دلت على وجهته ومأتاه ، وكانت مطالع العهد العربي الجديد بلبنان بعد زوال الحكم التركي سانحة الخلاص والرجاء ، وفاتحة الكفاح لفتيان العرب الذين فتحوا الاعين على فظائع الاستبداد والعدوان وتظلم المفجوعين والمنكوبين الذين طال ارتقابهم لتلك المطالع التي تحولت وتبدلت فيما بعد ، وكان النصولي من هؤلاء الفتية المبكرين الذين هاجت اشواقهم للحرية والسيادة التي تدارسوا حوادثها واطوارها واحسوا الحاجة اليها وهم على مقاعد الدرس فانطلقت مشاعرهم متلهفة من وراء الجدران نحو الافاق الشريدة التي كانت تنتظر بوادر البطولات العربية الحديثة .

ففي ابان الدراسة الجامعية اخرج الطالب الاديب انيس النصولي كتابا عن « معاوية بن ابي سفيان » تحدث في فصوله القصار عن المعية هذا البطل العربي الداهية ، الذي ادخل على الحكم الاموي والحياة العربية المتفتحة حضارة وتجديدا وفتحا مبينا ، وكم كانت الآثار الاولى عميقة النقوش فيما ترادف من العصور وبعيدة النفوذ في معالم الافذاذ والتاريخ ، فقد اصغى النصولي المعتز بجوهر امته وقوميتها وميراثها الى هتاف معاوية من دارات امية ، وكان حكم الترك يلملم اذياله وينسحب معها خزية وبهتانه لينحسر عن عالم متبرم تواق الى عروبته التي اضناها الظلم والهوان ، فراح الصدى يتردد في تلك النفس الكبيرة التي تعب في مرادها جسم النصولي منذ فرضت على روحه الجهاد والتفاني في معركة الفكر والبناء .

كانت تلك الاثارة العميقة انطلاقة النضال في الطالب الجامعي انيس النصولي ، بل لعلها كانت نقطة المسير في عمره الذي لم يدر ان سيكون قصيرا وان امتلأ بالخطوب والتبعات في جهاده الانساني والعلمي الذي بدأ منذ كان تلميذا في المدرسة والجامعة ، فكان له من البواكر المتعجلة كتاب « النهضة العربية في القرن التاسع عشر » وهو بحث قيم حاز من اجله الجائزة المالية من الجامعة في بيروت وقد نشرته مجلة الكلية فيها ، ومجلة الجامعة المصرية بين سنتي ١٩٢٤ – ١٩٢٦

ومن مؤلفاته المبشرة بتفكيره العلمي وعروبته الثائرة « الدولة الاموية في قرطبة » واني اذ اتصفح اليوم هذه الكتب ارى النضج فيها قبل الاوان ، وارى المنهج المسدد الذي يقود دراساتنا العربية المعاصرة ، فاعجب لهذا المؤرخ الثبت السباق الى هذا النسق القويم الذي كان عدة وطبيعة ظهرت في تأليفه واسلوبه وهو في مقتبل العمر وكأنه من صنع امثاله اليوم على تواتر السنين والتجاريب وتمازج الثقافات والحاح المناهج الجامعية والموضوعية في التصنيف والتاريخ .

على ان المتتبع لما كتب انيس النصولي في مستهل حياته الفكرية يحس نداء عربيا بعيدا حل فيه وصفى اليه ليقوم بالدعوة لوثبة العروبة في كل ارض جزأها الاستعمار واستعداه اعوانه على الاحرار والمخلصين ، واصطنع لحكمه ومطامعه الطائفية البغيضة والاقطاعية الطاغية حتى تغلبت على اجزائه القطيعة المصطنعة ، وشرد الشرفاء أو غيبهم الاضطهاد والتراب .

وكان انيس النصولي يأنس بنفسه تلبية الدعوة ، وتلمس اسبابها فوجد ان العلم وحده هو الوسيلة الى الحرية والحقيقة ، والنفوذ الى العقول والنفوس لتغيير ما فيها من اوهام وفساد وبناء مجتمع جديد على اساس الانبعاث والمحبة والتربية والتجاوب مع التطور الذي تتطلبه الحاجة

الزمنية والانسانية ، واننا لنستطيع ان ندرك مواجد هذا الرائد على الحاضر القلق في مقدمة كتابه « عشت وشاهدت » فان من يقرأ الاهداء فيه والمقدمة ثم يمضي في سطوره التي عاش في حروفها ومعانيها يعجب لقلب حر وقلم ملك الحجة والموهبة فعبر فيه بصدق وشعوره وقوة تفكيره عن ملابسات النضال في مراحل الثورة العربية ، وكانت كلماته مرآة لحاضرنا فقد تاقت نفسه « منذ نكبة فلسطين لرؤية العرب في عزة ترفع شأنهم وسيادة تجمع شملهم وتاريخ يوحد همومهم واما لهم وتوحي اليهم حوادثه القريبة بان يتنكبوا طريق الانانية والطائفية والاقليمية ليستطيعوا ان يتعارفوا ويتحدوا في ظل الوطن العربي الاكبر » (١)

وكانت دعوة النصولي « امنية حياته وان لم يشهد تحقيقها فان ابناءه واخوانه سيشهدونها ويعيشون فيها وحينئذ يراها باعينهم ويحيا بوحدتهم ولو كان ترابا في لحد موحش »

لقد بدأ الدعوة في وطنه لبنان الذي ضاق به فانطلق بثقافته وطموحه وايمانه بحرية العلم والفكر الى البلد الذي عرف العرب فيه ازهى عصورهم ، مضى النصولي الذي حمل رسالة الوثبة الى العراق ، ليشارك في بناء الجيل المتحفز ويذكر القوم بقوة ارضهم وما فيها من روائع التاريخ ومآثر العروبة ، لكن المستعمر المتربص تبرم بالمعلم المخلص الذي احب العراق وفداه ، ووجد فيه المجال لرسالته ودراسته حتى كاد له اعوان الاستعمار بالدس والتمويه فهبت الطائفية التي أيقظ نعرتها لمصلحته ، والحزبية التي اتخذها للتفريق والتمزيق هاتفة بالتأبي والتظاهر على هذا المعلم الجديد الذي جاء يدرس التاريخ على طريقة لم يألفوها فعدوها طعنا في التراث وفتنة في الحرية الفكرية والاجتماعية

وكانت حكاية النصولي فيما اتهم كما رواها بقلمه انه الف كتابه « الدولة الاموية بالشام » على منهاج مستحدث عد بدعا فظيعا في ذلك الحين ، وكان هدف المؤلف في طريقته الجديدة ان تشيع الروح العلمية التي تتقبل المناقشة واصطناع البصيرة والفكرة فيما قدمه المؤرخون العرب وغير العرب من الحقائق والحوادث التي لحقها الالتباس والتحيز ولهذا جعل النصولي امامه فكرتين يهتدي بهديهما ويستضيء بنورهما : الاولى تدعو الى فصل التاريخ عن الدين والنظر الى ابطاله مهما تكن مزاياهم ورسالاتهم نظرة علمية تجردية ، والثانية تقول بالكشف عن علاقاتنا الحاضرة بماضينا البعيد لان التاريخ في راي النصولي انيس كما صرح بمقاله وتأليفه سلسلة حركات متصلة متشابكة يأخذ بعضها برقاب بعض فالغابر قاعدة الحاضر ، والحاضر قوام المستقبل .

وبعد ان قرأ هذا المؤرخ الثبت المئات من المؤلفات الصفر وامات الروايات والمظان القديمة وجد ان المؤرخين الاقدمين كالطبري واليعقوبي والديفوري والفخري قد اهتموا بالوجهة السياسية من التاريخ واغفلوا غيرها من الوجهات الاجتماعية والاقتصادية والعمرانية فاحب ان يربط بين القديم والحديث في الحوادث والظروف لتحليل المشكلات الراهنة على ضوء الماضي تحليلا علميا غير عابىء بما جرى عليه اكثر المؤرخين المعاصرين ، فقد اخذت الامم والشعوب تكتب الصفحات البيض من تاريخها وتهمل ما يسيء الى مقومات حياتها ونهضتها ، ويبدو ان النصولي المؤرخ لم يأبه للعرف والتقاليد في تأريخه للامويين والعباسيين على طريقته الجديدة ، وقد راح يغوص في الاعماق ويحلل اسباب الخلاف والحزازات فيما يروي من اخبار الزعامة والخلافة وحشود التحدي والنضال .

اراد النصولي ن يكتب لتاريخ من غير حكاية أو تواتر او متابعة ليقيمه على قواعد المنهجية العلمانية التي تجعل المؤرخ كالقاضي يحاور ويناقش ويستجلي الحوادث ويستقصي الاسباب ليقرر الحكم بتجرد عن الهوى ، لكنه تعجل الراي والزمن كما تعجل غيره من المبكرين الذين نشروا اراءهم العلمية في آفاق لم تكن بعد مستعدة لها، وقد اتفق للنصولي ما اتفق للدكتور طه حسين في عام واحد حين نشر سنة ١٩٢٦ كتابه « في الشعر الجاهلي » فهبت في وجهه عواصف النقد والتهمة بالكفر وجحود

(١) ص ٧ من كتاب « عشت وشاهدت »

التراث بكتب ومؤلفات لكبار العلماء والادباء في ذلك العهد

وكلا المجددين السابقين الدكتور طه حسين والاستاذ انيس النصولي قد تأثر بثقافة الغرب وتورط في اقتباس من المستشرقين الذين نظر كل منهم الى التاريخ العربي والى قصة ادبه وحضارته نظرة تختلف عما الف علماؤنا القدامى والمعاصرون ، وكان في بعض تلك النظرات والاراء من الباحثين المتحرزين تعسف وافتراء وجد يشبه جد الاطباء الذين يشقون بالمباضع ادواء الجسوم وقد يخطئون وقد يصيبون ، فاقصي كل من المجددين في الادب والتاريخ عن علمه بعد الضجة التي قامت حوله ، لكن ما اصابه لم يثنه عن رسالته ، فبقى الدكتور طه حسين في مجاله الواسع يؤلف ويحاضر ويسدد الخطى في حياة الادب الحديث حتى اليوم

اما النصولي فانه بعد ان عاد من بغداد الى بيروت عكف على الكتابة في الموضوعات القومية والتقدمية ، فنشر « موطني بيروت » و « الامام الاوزاعي »و « ورسائل الامير فخر الدين في توسكانا » و « عشت وشاهدت » وهو كتاب خطير لما يحتوي من تاريخ الحركة السياسية العربية منذ دبت فيها الحرية وقام الكفاح من جرائها

وكان لانيس النصولي في صحافة لبنان يد ومشاركة في التوجيه والتبصير فقد انشأ مع اخيه الكاتب الكبير الاستاذ محي الدين جريدة « بيروت » لتعزيز العروبة والقومية والذود عن الحقوق الانسانية ، ومن زاوية في « بيروت » كانت كلمة انيس فكرة ثقافية او اصلاحية او نقدا ورايا في الحياة الاجتماعية والحركة التحررية ، وقد ذاق مرارة السجن والاعتقال في سبيل صراحته ودعوته فما زادته الا ايمانا واملا بتحقيق الوثبة المنتظرة والغاية المثلى من اجلها .

وقد عرف يرحمه الله بعفة القلم واللسان وسخاء العون والتيسير ، والوفاء لمقاصد الخير والتعليم ، وعاش بجهاده العلمي والانساني وعمله الحر مستغنيا عن وظائف الدولة ومآرب الساسة ، فاذا غرب نجم حياته الى غير رجعة فان له نجوما تطلع من خلال فكره وذكراه في كتبه وسيرته ، وفي نضاله الصامت الذي برز وعيا ثقافيا وتحفزا قوميا في الوثبة والانطلاقة بلبنان ، حيث حفظ تراث العروبة وصان لغتها وتعاليمها منذ العصر الماضي وشارك في النهضة الفكرية على شواطىء الشرق وقد غنى شعراؤه في الوطن والمهجر اروع قصائد الحنين والحرية واهازيج الثورة التي كانت وقيدا على الضيم والتخاذل والتجزئة الاستعمارية ، ونفح هذا الشعر الملهم قومية العرب بنفحات من الشمم والتعاطف والبطولة ، واهابت بالامة كلها الى الوثبة الكبرى فقد مشت الشعوب وهي في قلقها ونضالها لصنع المصير

دمشق

وداد سكاكيني

الآداب

مجلة شهرية تعنى بشؤون الفكر

بيروت

ص. ب ٤١٢٣ - تلفون ٣٢٨٣٢

★

الادارة

شارع سوريا — راس الخندق الغميق ، بناية الاسمر

★

الاشتراكات

في لبنان وسوريا : ١٢ ليرة

في الخارج : جنيهان استرلينيان

او ٥ دولارات

في اميركا : ١٠ دولارات

في الارجنتين : ١٥٠ ريالا

الاشتراكات الرسمية : ٢٥ ل. ل. او ما يعادلها

تدفع قيمة الاشتراك مقدما

حوالة مصرفية او بريدية

★

الاعلانات

يتفق بشأنها مع الادارة

★

توجه المراسلات الى

مجلة الآداب ، بيروت ص. ب. ٤١٢٣

الحصاد..

اجهدتا من فرط الظلمه ..
عينانا .. فلنغف الليله !
وسلاما يا ليل الرعب ..
ما زالت في يدنا كلمه ..
كانت بهوانا مبتله ..
يوما .. لا يذكره قلبي !!
وبصدرينا ...
حلم الاطفال ..
في ليلة عيد ..
وبقايا الوان .. صبغت ..
روحينا .. في ذاك الدرب ..
اجهدتا من فرط الظلمه ...
عينانا ... فلنغف الليله ..
وسلاما .. يا ليل الرعب !..

★

ـ «الليلة » ..:ما ابعدها هذي الليله!
جفت حبات العرب ..
نضبت صرخات الدم ..
لكأنا لم نقطع عمرا .. له تحفر قدمانا خطوه !
لم ترشف شفتانا نهله ..
ما ابعدها .. ما ابعدها .. صـارت ليله !!
سقطت من فمنا البسمه ..
غاصت قدمانا في الوحل ..
جمدت عينانا في الهوه ..
لم تترك ايام اسانا ..
ضوءا يثقب هذا الليل ..
لكأنا لم نحمل شوقا .. لم تشـعل قلبينا اللوعه !!..
طارت ساقانا في الريح
سقطت كل قلاع النور
لكأنا لم تبتل صحائفنا يوما بالدمعه !
وتكشفت الاغوار الضحله ..
وتعرى لون الاشياء ..
ما أضيع ان نبنى في الثلج !..
وامامي الكلمات الرطبه
ماذا يجدى ..؟
ان تنفخ نارا في الموج ؟.
ماذا يجدى ..؟
مصباح في سقف الكوه ..؟
لا قيد يكبل روحينا ..
الا قيد في روحينا ..
قيد يجذبنا للارض ..
يجمع عينينا ... والهفا ..
يجمع عينينا في الغمض !
فلنعط الايام مداها
ولتأخذ كل الاشياء طلاوة ما في الاشياء
ولانك لم تدري ابدا ..
لوعة ان نرقب في الافق
شيئا يولد ...
شيئا يهوى ..
ولانك لم تدري ابدا ..
معنى ان تولد أشياء لتموت !..
لم تزهر .. أبدا ..
لم تثمر ...
لم تترك اثرا في اللوح !
لم تعرف ما سر الشكوى ..
لم تعرف ما طعم البوح !..
أشياء مالت ..
ما زالت ..
أعمق اخدود في جرحى !..
ولانك لا تدري ابدا ..
معنى ان يلتقي اثنان ..
ويغيبا في ضوء اللمح ..
.... ستظل مدينتنا مره ..
سوداء تعشش في الصبح
سنظل نضيع مع الحسره ..
لا قيد يكبل روحينا ..
الا قيد في روحينا !!.

★

كانت حبات الضوء ترش ليالينا بشرى تهمى ..
تساقط في قلبينا ..
تنشر آمادا منغومه ..
ورذاذ الاشواق الحرَّى
يحفر في صدرينا جرحا ..
يومض في عينينا الفرحه ..
وخطونا في الظل الواني ..
نصنع من شبحينا شبحا
كل اللحظات عصرناها ..
ورشفناها .. قدحا .. قدحا ...
ـ : « قل لي انك لن تنساني !»
هل ينسى عصفور وكره ؟.
ـ : « قل لي اي غد موعدنا ؟ .. »
او لم تلمس كفك فجره ؟.
ـ : « قل لي كم تهواني .. قل لي »
وأضاءت عيناك بنظرة ..
الايام ازدادت عمقا ..
سعة ..
زادت الوانا ..
ونقشنا في قلب الصخره ..
اسمينا ...
فانبجست قطره ..
من وهج الضوء..
وانهارت كل الجدران
الا ســد ..
سد واحد ..
يغرس في قلبينا الظلمة ..
يصنع ابعادا .. ابعادا ..
سد لم تصنعه يدانا ..
سد في روحينا ..
في روحينا ..

★

ان يصبح في فمنا نغم واحد ..
ان يورق قلبانا في واحة خصب ..
ان يخنقنا ومض اللهفه ..
ان تلفحنا الشمس طريدين يجوسان الدنيـا
في ضمة حب ..
ان نرفع صوتا ممرورا .. ينزف من اعمـاق القلب
صوتا يتداح الى العالم ..
صوتا ممرورا ابديا ..
ان يصبح من واجبنا ان نبهج هـذا العالم ...
ان نبهج قلبينا ..
ونرفرف في ليلات الرعب..
. . . . . ميلاد حلو ...
فلنكتب كلمتنا الليله ..
ولنحمل قدرا .. يدفعنا ...
ان نحيا ...
رغم الآلام ...
ن نمضي ..
عبر الايام !..
ان نحياها ...
ان نبتهجا ...

فاروق شوشة
القاهرة



ـ ... ؟

اسمي ؟

(من الضروري ان نكرر المأساة من جديد ؟)

.. احمد

احمد فوزية . حتما .

ـ ......

ارجوك . لا تقاطعني يا سيدي القاضي . لم انت عجل الى هذا الحد؟!

(العجلة من الشيطان)

ـ... !!

لاتحملق بوجهي وتكثر من الاسئلة ، انني انزعج بسرعة . دعني اتكلم سأحدثك بقصة هذا الاسم .. قصة حياتي وقصة الجريمة بآن واحد .

***

كيف اتحدث ؟ والخيطان مشتبكة براسي .. كلما سللت خيطا، اشتبك بغيره من الخيوط او انقطع في يدي .

(الصعوبة في البداية)

اعذروني اذا لم اسلسل الحديث ، فالحوادث قديمة جدا ، والذاكرة .. غير طيعة كما تعلمون .

اف ...

بودي لو اساعدكم لتنتهي بسرعة . لكنني متعب جدا (لاتنسوا انني اقترفت جريمة) ... ومع ذلك سأبذل جهدي وافرز الحوادث حسب ترتيبها الزمني .

***

كانت امي خادمة ،

افي ذلك شيء يا سيدي القاضي ؟

... تشتغل لتعيش . نحن الفقراء مساكين . نضطر في سبيل لقمة العيش ان نقوم باعمال كهذه .

وماذا كان يمكنها ان تعمل غير ذلك ؟!

كانت امها غسالة . وابوها ـ رحمة الله عليه ـ كان اجيرا كذلك . وكان ـ كما حدثتني ـ رجلا طيبا .

ـ ... !!

اي مانع في ذلك ؟ لانه فقير ؟

(في الفقراء احيانا جماعة طيبون)

انا خجل يا سادة .. ربما تظنون انني اقلد الافلام . منذ لحظة قلت لكم ان اباها : « رحمة الله عليه » واقول لكم الان ، ان امها توفيت بعده . (انني لا اخلق شيئا من عندي) بعدسنة تقريبا . فاصبحت بموتهما ـ تلك التي اضحت فيما بعد امي ـ وحيدة .

كان عمرها في ذلك الحين اربعة عشر عاما . ربما اكثر او اقل . (ان امي لا تعرف عمرها بالضبط) . كيف تعيش ، والحياة ـ لا يخفى على حضراتكم ـ صعبة في هذه الايام ؟ وابواها لم يتركا لها شيئا ، والشوارع ملأى بالذئاب التي تتربص في الظلمة .

....

لا داعي للضحك . اتقبل انت يا سيدي القاضي ؟

واضطرت للخدمة في احد البيوت . وكان سيدها رجلا متزوجا ... وهو من اسرة غنية (الفقراء سلم للاغنياء) والنساء في عصرنا هذا لا يمكثن طويلا في بيوتهن : النزهة ،والخياطة ، والسينما ، وزيارةالصديقات .. الف عذر للخروج . وتخرج الزوجة ، وتظل فوزية (امي فيما بعد) وحدها في البيت .

(اتسمع جيدا ؟ هه ..هه . وحدها في البيت !!)

ويحضر سيدها في غياب زوجته .. !! من يدري ان كان يتعمد الحضور ؟

ويصيح : قهوة يا فوزية . سيكارة يا فوزية . ماء يا فوزية . اذهبي يا فوزية . تعالي يا فوزية . وتمتثل للامر فوزية . ويربت على خدها مبديا رضاه .. ويضاحكها !! والزمن طويل يا فوزية .. والرجل هو الرجل ، وطبيعة المرأة لا تتغير .

وظلت خادما اربع سنوات . من يعرف ما حدث خلال هذه المدة ؟ لاانا ولا انت يا سيدي. الله وحده يعلم !! افترض نفسك ـ لا سمح الله ـ مكانه ، ماذا كنت تفعل .. وفوزية تتفتح امام عينيك كالوردة ، وتنضج كالثمرة ؟

لا فائدة يا سيدي القاضي . كيف تحتاط للامر ، والنهاية ـ ولا احب ان اطيل الحديث ـ واضحة ومحتومة ؟

« ع تابع ل س » فالرجل خبير ، والمرأة تتبع الرجل . وفوزية غريرة وثائرة .. والبنت في هذه المرحلة الخطيرة من العمر ، تستجيب لاي لمسة . من يستطيع ان يمنعها من الانزلاق ؟ وتنزلق فوزية .. ويدخل اسمها في التاريخ !!

كانت ...

***

البذرة لا تموت ..

وفوزية تغتذي جيدا وتنام في مكان مريح . اين حياتها الماضية ؟ وتمضي اشهر قليلة ، فتنمو البذرة (انا يا سيدي) .. وتعلن عن نفسها بجراة بالغة . وتهرع المسكينة الى سيدها ، (فات الاوان) يا فوزية .. ويقول لها رافعا كتفيه بلا اكتراث :سافتش لك عن طبيب ليجهضك.

وتصيح ، – ولا مبرر للخوض في التفاصيل – : تجهضني ؟! جريمة .. طفلي .. انني اريده .

(لا جدوى من الصياح يا فوزية)

نحن الفقراء مساكين ، ماذا تستطيع ان تفعل ؟ وتعوي بوجهه وتصرخ . فيعطيها مبلغا من المال ، ويتعهد نفقات الطفل دون ان يعترف به . وتخرج فوزية ، ذليلة .. تحمل العار والخطيئة .

هه .. هه .. ها !!

كانت ...

✶✻✶

ما اعظم جهلكم .

الا تعرفون شيئا عن طفولتي ؟ طفولة انسان بلا اسم !

هه .. هه ..

لقد تعذبت ، وعشت محروما من العطف والحنان . وكانت المرحومة (امي) تضربني كل يوم لابسط الاسباب . فاذا لم تجد مبررا لضربي ، اختلقت لي من الاسباب ما يستوجب الضرب . كانت تسالني اسئلة عديدة .. بلا غرض او فائدة !! قصدها فقط ان تعكر علي حياتي .

لاتظنوا انني كنت اشترك معها في الحديث . كانت تسالني وتجيب بنفسها على الاسئلة . كانت تقول : « انا اعرف انه لا يعجبك » .« ماذا تريد اذن ؟ » .« تكلم يا قرد » .. وتنهال علي بالضرب في قسوة ،وتنطلق من فمها شتائم غريبة .

اما هذا الشيء الذي « لايعجبني » ، فالله وحده يعلم ما هو يا سيدي. وانني اقسم باعظم الالهة .. بانني ما طلبت شيئا ، ولا شكوت من شيء على الاطلاق .

(دون هذا لصالحي يا حضرة القاضي ، ساحاسبك به فيما بعد)

معذورة امي ، كنت الوحيد الذي تستطيع ان تصب سخطها وغضبها عليه .

انا مسؤول يا سادة ؟!

كانت تقول لي دائما : ابوك .. ابوك .. !!

واحملق مذعورا في ارجاء البيت ... وافتش عبثا عن ذلك الانسان الخرافي الذي اسمه : « ابوك » ، ذلك المخلوق الذي اسمع به ولا اراه . وعندما تكررت خيبتي في العثور عليه ، بدا الامر يلتاث علي .. واشتبكت من يومها الخيوط .

✶✻✶

... ودخلت المدرسة ،

– .... !!!

ايه . !! من الغريب ان ادخل المدرسة ؟!

...تلميذ كبقية التلاميذ . وظللت سنين ، وتعلمت اشياء كثيرة : عن التاريخ والهندسة ، وروما .. ونيرون الذي قتل امه .

هه .. هه .. (التاريخ يعيد نفسه)

وكان في المدرسة طلاب كثيرون .. بعضهم اغنياء، والاخرون فقراء . لكن لو سألتم اي طالب عن اسمه ، من ابوه .. لاجابكم دون خجل او خوف .. لا على التعيين .

انا ؟! هه ...

احمد ..

احمد من ؟ .. احمو فوزية ، حتما .

هل سمعتم مثل هذه المهزلة ؟

عندما وقفت بين يديك يا سيدي ، اول ما سالتني عن اسمي . (اسمي يتحدث عن نفسه) وقلت لك : احمد .. وسكت . قلت لي : احمد من؟

احمد .. احمد فوزية ..

وابتسمت قليلا يا محترم . كانك ظننتني امزح . ابتسمت رغم انه لا يحق لك الابتسام . احتراما للمنصب على الاقل . كيف لو كنت – لا سمح الله – مكاني ؟ ماذا كنت تفعل ؟ ودائما يخترق اذنيك ، وفي كل مكان : في البيت ، والمدرسة ، والشارع ، وفي الاحلام ... دائما يخترق اذنيك هذا الاسم ، لعنتي الابدية : احمد .! احمد ...

وبعد ذلك تسالني لماذا قتلت ؟!

من منا يحب ان يرتكب جريمة باختياره ؟ لكم وددت لو تزول فكرة القتل من راسي ، لكن كيف اعمل ؟ والجذور عميقة في النفس ،والاشياء التي تدخل الراس وتعشش فيه ، ضمن الذرات الدقيقة ، يقفل عليها الى الابد .. مفتاحها الجريمة .

(البذرة لا تموت)

✶✻✶

– .... !!

تقولون مضى زمن طويل ؟! وانه كان يجب علي ان اعتاد هذا الامر ، وانسى التفكير في الجريمة !!

انني خجل من فهمكم يا سادة . فالزمن سلاح ذو حدين . لقد ترسب كل شيء خلال السنوات ، وتراكم ... بعضه فوق بعض .

الا تعرفون شيئا عن الماء .. الماء الذي يتجمع شيئا بعد شيء ، ثم يكتسح اعظم السدود ؟

هل « اخربط » في الحديث ؟

تأكدوا من انني لا اريد ان اقدم لكم عذرا التمس به تخفيف العقوبة . انني استحق العقاب ، واشنقوني اذا اردتم . اريد فقط ان اوضح الامر ، لتكونوا على معرفة دقيقة بالجريمة ، ولازيل من راسكم كل فكرة عن جنوني .

لقد فكرت فيها طويلا ، وعزمت منذ اماد بعيدة . لقد سرت في دمي .. مع كرياته الدقيقة . عشر سنوات والحقد يلح علي .. وانا امنع النفس واحبس شهوة القتل .

– .... ؟

هه ..! كنت صغيرا ذلك الحين .

(لا تؤجل عمل اليوم الى غد !!)

مجنون هو الذي قال هذا الكلام . ماذا لو انتظرت ؟ كل شيء له زمانه المحدود . وانتظرت يا سادة .. حتى اذا ازف الوقت ، ورأيتهما معا .. تقوض السد واندفق الماء الحبيس .

ماذا تظنون بين العقل والجنون ؟ غشاء كنسيج العنكبوت .

(لقد تمزق الغشاء يا سادة)

نعم ...

بهذه السكين التي امامك قتلت امي . قتلتهما .. وضربت بكل شيء عرض الحائط كما تقولون : بالتقاليد والاخلاق والدين !!

اتسمعونني جيدا ؟

دون هذا الاعتراف يا حضرة القاضي ، وسجل معه انني عاق . ان امي لم يطاوعها قلبها على قتلي وانا جنين . انا فعلت ذلك .

(ابرة الميزان تميل)

***

ـ ... ؟

لماذا قتلتهما معا ؟ وتسأل ؟! هه ..هه ..

هما شريكان في الجريمة . الاثنان .

لم اقتلهما . قتلت فيها العار ، وقتلت فيه النذالة . قتلت فيهما نظرات الناس الي ، والغمز كلما مررت ، والتصفيق ورائي .. وصراخهم : احمد ، احمد . هذا الذي قتلت .

صدقوا انني كنت اكتفي بقتله فقط ، واصفح لها عن زلة قديمة . لست ديانا حتى احاسبها . من منا لم يخطىء ؟

« من كان منكم بلا خطيئة فليرمها بحجر »

اعرف ذلك ..

لكن انت يا حضرة القاضي ، هل تصدق انها ظلت تجتمع به .. وتجتمع مرارا .. حتى بعد ان كبرت ؟

احمد .. احمد فوزية .

***

انظروا جيدا الي ..

أنا انسان قميء ، وهيئتي تستثير الضحك ، اضحكوا جهرة يا سادة لن الومكم ، ان شكلي مضحك فعلا . فقد كانوا في المدرسة يتندرون علي ، ويروون عني طرائف غريبة .

سألتني عن اسمي ، وعمري ، وكيف ولماذا قتلت. يكفي هذا ؟ ! سلني لماذا أنا قميء .

هه .. انك معذور يا سيدي . لو كنت مكاني ، عرفت .

عندما كنت جنينا ، حاولت امي ان تخفي حملها عن الاعين . تخفيني انا . وكنت أتضخم باستمرار . (أنا عنيد جدا) . فلبست حزاما عريضا .

من الجلد يا سيدي القاضي .

وشدت بطنها جيدا لتستتر العار . أؤكد لكم انها مجنونة ، وحمقاء .

(البذرة لا تموت)

ايحق لها ان تفعل ؟ الم تكفها جريمة واحدة ؟

شوهتني اللعينة .

هي المذنبة ، أنا حملت وزر الجريمة . بقانونكم شيء كهذا ؟!

(الاباء يأكلون الحصرم ، والابناء يضرسون)

***

... والابناء يضرسون ؟! هه ..

لا . لقد تغير الامر . « من يزرع يحصد » . لقد حصدا ثمرة ما زرعاه . هو القانون الطبيعي . من منا يجرؤ على الاعتراض ؟

***

لم اقتل ، شيء آخر قديم ، حبيس في صدري منذ ان وعيت ، هو الذي رفع ذراعي وكان يضغط علي .

اقسم لك يا سيدي انني لم اكن حرا . كل شيء رتب على هذه الصورة، بطريقة محكمة .. لا فرار منها ولا محيد .

دع الماضي . من جديد رأيتها في ذراعيه .

قتلتهما ...

ـ ... ؟

عجيب !!

ما دخلكم بذلك ؟ من اعطاكم حق الحكم علي ؟ حق التدخل .. حق اقامة الموازين ؟! هذه مسألة شخصية بيني وبينهما . لماذا لم تتدخلوا من قبل؟ لماذا لم تمنعوها من الانزلاق ؟

.. قتلتهما ،

القانون والاخلاق ، والعقاب وحبل المشنقة .. لغو فارغ ، مجرد كلام !!

من يستطيع ان يمنع نفسه عند وقوع الامر ؟ هل تظنون انني فكرت مثل هذا التفكير ، او حسبت حسابا لمثل هذه الامور ؟

عندما يرتكب الانسان جريمة ، ويكون مدفوعا اليها ، أقول: « مدفوعا » .. ترى هل يكون له مثل هذا التفكير المنظم ؟

لا يا سيدي . اذا قيل لك ان المجرم يكون بوعيه خلال الجريمة، فلا تصدق . لقد ارتكبت جريمتي بالسهولة التي تشعل بها لفافة .

كنت اعمى عندما اقترفتها . شيئا واحدا رأيت : العبد الفقير الماثل امامكم ، قميئا ، ذليلا ، يذوب من الخجل والعار .. والتلاميذ في المدرسة يشيرون اليه بأصابعهم ويتغامزون . وجمعا من الاولاد يصفقون وراءه .. واصواتهم تخترق اذني : احمد .. احمد .. هذا الذي رأيت !!

أيزعجكم ان اتبسط قليلا في الحديث ؟

لحظة من فضلكم لاستعيد الحوادث . (الخيطان مشتبكة في رأسي)

***

نعم .. فتحت الباب فرأيتهما معا ..

ـ ... ؟

ايه !! عجيب ؟ أقول لك : « معا » . لماذا لا تصدق ؟

... متعانقين !!

عند ذلك ، .. ؟ هه ، هه ..

دقت الشواكيش في الرأس ، فتقوض واندفق الماء الحبيس .

***

يا حضرات القضاة ..

فرق بعيد بين ان يكون الانسان « في » الشيء ، وبين ان يكون « خارج » الشيء . انتم الان خارج الامر .

سوف تحكمون علي ، كما لو انني كنت مثلكم حينما اقترفت الجريمة. وهذا اخطأ شنيع لا احب لكم ان تقعوا فيه .

. . . . .

لا تحملقوا كثيرا بوجهي يا مجانين . ما دخلكم بالامر ؟ هذه مسألة شخصية بيني وبينها .. بيني وبين الله .

(ابرة الميزان تميل)

هه .. هه .. ها ...

كانت ... (والخبر في ضمير الرجل)

ع تابع لي س .

درعا — **محمد حيدر**

من « جمعية الادباء العرب »

تمر ليال..

تمر ليال احـس بها انني لـن اكحل جفني بمرأى الصبـاح
ليـال ارى الموت فيها على قاب قوس وادنى ، يمـد الي الجنـاج
واسمع دقات قلبي تدافع مجنونة كالريـاح ، كعصـف الريـاح
يرد صداهـا جـدار الظلام ، ويذرو حبيباتهـا فهي رجع نـواح
فأبسـم مستسلما ، غير اني اذا ما اطل على الكون فجـر ولاح
اراني ما زلـت احيـا ، كمـا كنت لا الموت جاء ، ولا ثار حولي الصياح
تمر ليـال احس بهـا انني لـن تضـيء جبينـي شمس الصباح .

***

تمر ليـال امر من المر ، أقسـى من الوجـد ، ان دمر القلـب وجـد
ليال طوال ، تكاثف فيهـا الانـا ، تتجسـم فالحقـد جـزر ومـد
احـب بهـا ان احطم حـتى الـذي احـب ، وحتـى الـذين اود
تمـر ليـال احس بهـا فـي قرارة نفسـي شـياطين ليست ترد
تعربد ، توغر صدري تمج بقلبي السموم ، تلح ، فحبي حقـد
تفح بها الف افعى ضروس ، تؤجج كرهـي فليس لكرهـي حـد
تمر ليال امر من المر اقسى من الوجد ان تعتـع القلـب وجـد .

***

تمر لـيـال احس بقلبي فيهـا يكاد يطير يجوز الحـدودا
ليعشق كل القلوب ، ليلثم كل العيون ، ليحضـن هـذا الوجـودا
لينثر حباته الراعشات حنـانا ، علـى كـل افـق ، ليغـدو وقـودا
لينضـو هم النفوس الحيارى ليكسوها مـن سنـاه سناء جديدا
ليال ، يشف وجودي فيها ، يـرق ، يـذوب فأرجـع طفـلا وليـدا
ارى كل شـيء حبيبا ، يشـد اليـه مصيري ، يجوز بذاتـي الحدودا
تمر ليال احس بقلبـي فيهـا يكاد يطير يضم الوجـودا .

***

تمر لـيـال احس بـهـا ان هذي الحياة هبـاء ووهـم وآل
ومحض سراب خـلوب ، وظـل خفيف ، اذا ما استبدت به الريح شال
وان الذي سوف يوجد ، مثـل الذي كان يسـلك درب الـزوال
وان النعيم وان الجحيـم اساطير عقـل مريـض ورسـم خيـال
وانا دمـى ليـس تملك صوغ المصير ، دمـى ليـس تعرف اين المآل
وانـا كأوراق فصـل الخريف ، تسـاقط تلهو بهـا كف ريـح الشمال
تمر ليـال احس بهـا ان كل الحـيـاة هـبـاء ، ولمعـة آل

***

وقلبي الحبيس الصغير ، احـار اضيق بما يتبدى باعمـاقـه
وقلبي صندوق خير وشر ، فآنا يصد ، وآنـا يذوب باشـواقـه
وقلبي طائر حب جميـل ، يرش على الكون روعـة اشراقـه
ونبـع لحون ففيهـا الانيـق وفيهـا النشاز المدل باغـراقـه
وقلـبـي لغـز فـان رحـت أسأله ما يريـد عييت باطراقـه
فقـلبي عجيـب ويربكنـي انني لسـت املـك مفتـاح اغلاقـه
فؤادي الحبيس الصغـير احـار اضيق بما يتبدى بأعماقـه .

دمشق — خليل الخوري



في هذه الحقبة الملأى بالاحداث العظيمة التي يمر بها الوطن العربي، بات واجبا مقدسا على الشاعر الموهوب ان يرصدها ويعكسها بصدق ، ويعبر عنها بعمق ، ويرسم لبلاده طريق الامل المشرق والمستقبل الزاهر، ويدفعها الى مواصلة الكفاح المرير لتحقيق اهدافها العظمى ، ويضاعف امالها ، ويشيع في جوانحها حب التضحية والفداء لمقاومة الطغيان والفساد ، لترد اعتبارها وتعيد هيبتها ، ولحفظ كرامة الانسان وممارسة الحريات العامة ، وان يربط مصيره بمصير امته التي انجبته يستلهم مثلها ويعي احداثها ، ويتفاعل مع الامها وازماتها القوية تفاعلا ايجابيا عميقا ، ويمتزج بها امتزاج عاطفة وشعور ، يؤمن بالشعب الذي تنبثق من صميمه كل القيم الرفيعة ، يشاركه افكاره ويتحسس رغباته ، وتكون بؤرة اهتمامه الفكري في قوة عاطفته الوطنية ، وصدق احساسه بانسانيته ، ويجعل شعره مرآة قوية للحركات الشعبية ، وان تكون التقدمية طابعه الاصيل في الدعوة نحو فن جماهيري جديد ينبع من اعماق الشعب ، وهو منساق مع احداث قومه في كل انتفاضة تهيب به ان يترنم بالشعر الثوري ، فيبعث من لسانه شعرا ثوريا نضاليا يدفع بالجماهير الى الكفاح ، للتحرر من قيود الاستعمار الغاشم ، ورفع مستوى معيشتها ، وتنمية طاقاتها الثقافية والاقتصادية والاجتماعية ولصيانة السلام على اساس تحرري ديمقراطي ، وما اروع قول الشاعر الفلسطيني معين بسيسو في هذا المجال :

انا لااخاف مــن السلاسل فاربطوني بالسلاسل
من عاش في ارض الزلازل لا يخــاف مــن الزلازل
لـمن المشانق تنصبـون لـمن تشدون المقاصل
لن تطفئـوا مهما نفختم في الدجى هذه المشاعـل
الشعب اوقدها وسار بهـا قوافل فـي قـوافل
قد اقسمـوا والشمس ترخي فوقهـم حمر الضفائر
ان يطردوا من ارضنا الخضـراء تجـار المقـابر
ويجردوا التاريـخ من قلـم المغامـر والمقـامر

ولعل اعظم حدث مرت به الشعوب العربية في تاريخها الحديث هو اغتصاب اليهود لفسلطين التي تعتبر قلب العروبة النابض ، ففي شهر مايس من سنة ١٩٤٨ انسحبت القوات الانكليزية منها وسلمتها لقمة سائغة لاشداق الصهاينة حيث مثلوا على مسرحها ابشع الملاحم الدموية ، وارتكبوا افظع الاعمال الوحشية ، وطردوا اهلها الشرعيين البالغ عددهم زهاء مليون ونصف عربي ليتحملوا الوان الفاقة والبؤس ويتجرعوا الام الغربية والجوع والتشرد . والشاعر العربي سعد دعبيس في غمرة هذه الاحداث الجسام ينقل لنا مآسي اللاجئين باخلاص ، متأثرا بها والايمان الصادق يشده بعدالة قضية امته العربية التواقة للحرية والكرامة فيقول :

في ليلة العيد السعيد ذكرت ماساة الرحيل
وابي ومصرعه ونظرته الاخيرة في ذهول
ونداء اختي ما يزال يرن في قلب السهول
الجند ادرك يا اخي .. النار تفترس الحقول
الجند يغتالونني ، ايديهمو امتدت الى جسمي النحيل
عرضي وعرضك يا اخي قد داسه اللص الدخيل
ما زال يا اختي يرن صداك في ليلي الطويل
وحطام منزلنا ونخلتنا ومرعانا الظليل
ودموع امي لم تزل تدعو لثأر ابي القتيل
ما زلت يا اختي اراك واذكر اليوم الحزين
اني اراك وانت في ايدي اللصوص تعذبين
وتحاولين بادمع خرساء ردع الظالمين
وتمزقين يد اللصوص وهم بجسمك يعبثون

والشاعر الفلسطيني هارون هاشم رشيد يعبر عن مأساة طفل عربي قتل اليهود اباه وامه امام عينيه وحرقوا قريته الوادعة ، فتنعكس في ذهنه هذه الصور الشعرية فيسكب فيها كل ما في اعماقه من تصدع واحزان ، ومعاناة انسانية ، فيستجيب لها وينفعل معها ، ويصدر عن تجربة نفسية حقيقية فيقول :

ومشى الجند .. مشوا من فوق امي
وانا اصرخ من رعب ومن بؤس ملم
وتكاد الخيل ان تدفن فوق الدرب جسمي
غير ان العمدة المسكين يحميني ويهتز ليتمي
واجتمعنا خارج القرية في سفح الجبل
وبدت قدامنا قريتنا نبع الامل
تأكل النار نواحيها وتجتاح القلل
ورأينا بيتنا المحبوب في النار اشتعل
من هنا قد بدات ماساة عمري
بدات قصة الامي واحقادي وثاري
من هنا قد شبت النيران في اعماق صدري
وتعلمت لماذا حفر الجلاد قبري

والشاعرة الفلسطينية فدوى طوقان تصور مدى التضحيات الجسيمة التي يقدمها الشعب الفلسطيني على مذبح الحرية والفداء في نضالاته التحررية الواعية للثأر لارواح عزيزة غالية احرقتها نيران اليهود ، ارواح الشهداء الذين كانوا يدفعهم الامل لبناء كيان امتهم التواقة للعزة والكرامة في تصميمهم الهائل ، وتضحياتهم الفذة ، ونضالهم المثابر وهم يشعرون بحرارة الايمان تتوهج في دمائهم ، فتقول :

وقد نفرت في جموع الابـاء نسور الحمى للحمى تفتـدي
دعاها نفير العـلا والجهـاد فهبت خفافا الـى الموعـد
تذود عن الشرف المستبـاح وتدفع عنه يـد المعتـدي

وتقتحم الهول مستحكما وتسخر باللهب الموقد
فتنقض مثل القضاء المتاح وتهبط كالاجل المرصد
وليست تبالي وجوه الردى كوالح في الموقف الاربد
فيا للحمى كم حمى ابي تجدل فيه وكم اصيد
اباحوا له المهج الغاليات واسقوا ثراه دم الاكبد

والشاعر الفلسطيني يوسف الخطيب يمر بتجربة عاطفية عنيفة ، ويذوب حنينا الى دار طفولته في فلسطين وتطوف به ذكريات صباه ، ومراتع شبابه ، وتتمثل له بشاعة الفواجع التي احدقت باللاجئين العرب فينتفض ماردا جبارا ويتفجر الشعر في اعماقه كما تتفجر ينابيع الماء السخية ، واذ تمسه احداث قومه يلتهب ويتأجج قائلا :

عهدي بدار طفولتي سحرية الصور
مغسولة الربوات في شلالة القمر
اواه كم امسية عربية السمر
كانت لنا في كل رابية ومنحدر
كم سرحة عند الاصيل ويقظة السحر
بسلالنا ملء الربى ومسارب الشجر
قسما بكل غريبة المنفى ومغترب
بالنازحين على مرامي اعين الشهب
ساظل احرق شمعتي واذوب في لهب
وازفهم خمري واحيا العمر في سغب
ساظل ادفع قاربي في الصاخب اللجب
حتى اطل به على دوامة الحقب

وفي وصف ماآل اليه حال اللاجئين العرب من شقاء وشظف وحرمان يقول الشاعر الفلسطيني ابو سلمى :

اهلي على الدهر تدميني جراحهم في حبهم يتساوى العذر والعذل
خيامهم في مهب الريح معولة ودورهم من وراء الدمع تبتهل
تقاذفتهم دروب العمر دامية وانكرتهم ربوع الاهل والملل
على المشارف اعراض ممزقة وفي كهوف الربى الانسان مبتذل
في كل ارض شظاياهم مشردة وتحت كل سماء معشر ذلل
اطوف احمل اني سرت نكبتهم كانني طيف ثأر والحمى طلل

وفي فجر الخامس من تشرين الثاني ١٩٥٦ انزلت فرنسا وبريطانيا قواتهما المعتدية الاثمة في بور سعيد التي اعملت فيها السنة اللهيب اتبعه هجوم اسرائيل الغادر على قطاع غزة العربي ، فعانت بور سعيد المدينة الباسلة من الاهوال والكوارث ما لا يمكن وصفه وصمدت صمود الابطال ، ولم تكترث لكل ما صبه عليها المستعمرون من نار وحديد ، فاسترخص اهاليها الحياة على مذبح الاخلاص للوطن ، وانخرطوا في سلك المقاومة الشعبية ، وصمموا ان يموتوا دفعا عن اعراضهم، عن كرامتهم كمواطنين ، عن حقهم في الحياة الحرة كبشر ، وقد بلغت المعركة اوج ضراوتها ، ولم يلبث بولغانين ان بعث الرسائل الى ايدن ومولية وبن غوريون وايزنهاور معبرا فيها عن اصرار الاتحاد السوفياتي على ابادة المعتدين ، واعادة السلام الى ربوع الشرق الاوسط ولوح لهم بانه سيضطر الى استخدام القذائف الصاروخية الذرية وارسال المتطوعين الى مصر ، وفي منتصف ليلة السادس من تشرين الثاني تلقت القوات الانكلو فرنسية امرا بالكف عن اطلاق النار تحت وطأة الضغط الدولي ، واذعانا لصاحوت الضمير العالمي ، وافتضحت الشعوب الواعية سر المؤامرة الدنيئة التي دبرها الانكليز والفرنسيون مع اسرائيل اللقيطة ، بحيث يكون تدخلهما خلف ستار وقف العدوان الذي تشنه اسرائيل المجرمة على مصر . اسرائيل التي اعدها الاستعمار البغيض لتكون قاعدة ضد النضال التحرري الذي تقوم به الشعوب العربية دفاعا عن حقها في تقرير مصيرها ، والقضاء على كل ما يعوق تطورها الانساني ، وازاء هذا الطوفان الغامر من الوعي والتحفز ، ساهمت النخبة الخيرة من الشعراء الواعيين في ايقاظ الشعور بالكرامة والانفة ، والوقوف صفا واحدا متراصا تجاه سفاكي دماء الشعوب التي تريد ان تبني الحياة ، وتشق طريقها الصاعد نحو القمة بعزم وثبات ومضاء . للوصول الى شرف الغاية المثلى التي تصبو اليها ، فيقول الشاعر العراقي عبد الوهاب البياتي في قصيدته (بور سعيد) التي لم تكن غير عالم نابض بالمعاني والصور النابعة من مخيلته واحاسيسه المستوفزة :

على رخام الدهر ، بور سعيد
قصيدة مكتوبة بالدم والحديد
قصيدة عصماء
قصيدة حمراء
تنزف من حروفها الدماء
تطل من ابياتها بنادق الانصار
واعين الصغار
على جبين الشمس ، بور سعيد
مدينة شامخة الاسوار
شامخة كالنار
كالاعصار
في اوجه اللصوص
لصوص اوربا من التجار
من مجرمي الحروب
وشاربي الدماء
عبر جدار الموت ، بور سعيد

نظمها ابان العدوان الثلاثي على مصر ، زخم زاخر بنماذج رائعة من الصور الانسانية ، يشيع فيها فيضا من الاثارة والتمرد ، والتعبير العميق عن مشاعر الانسان ، وتحشيد طاقاته ، وتجميع قواه ضد الارهاب التعسفي الذي يطحن امانيه في الصميم ، ويسخر من نضاله الدموي الرائع لتوطيد اسس السلام العالمي الذي لم يكن غير سهم قاتل يمزق قلب الاستعمار فيقول :

ساقتلك

من قبل ان تقتلني ساقتلك

من قبل ان تغوص في دمي

اغوص في دمك

ونحن في حاضرنا المجيد نصنع السلام

هدية من شعبنا للعالم الجديد

العالم الذي يريد

يريد للرجال ان يعانقوا الرجال دون حقد

يريد للنساء ان يغفين وادعات

في اذرع الازواج والاحباب والابناء

اهل بلادي يصنعون الحب

كلامهم انغام

ولغوهم بسام

وحين يسغبون يشبعون من صفاء القلب

وحين يظمأون يشربون نهلة من حب

لان من ذرى بلادنا ترفرف السلام

ورقة بيضاء كالازهار في الخميل

ورحمة زهراء

كقلب امهاتنا

كفرحنا بعيدنا

وانت يا مدنس الخطى

تريد .. بئس ما تريد

لكنني ساقتلك

من قبل ان تقتلني اغوص في دمك

اما الجزائر الصامدة المؤمنة بحقها في الحرية والاستقلال فقد جربت جميع الطرق السلمية لحمل فرنسا على تحقيق امانيها الشعبية ولكن كل المحاولات ذهبت سدى فأشهرت السلاح بوجه الاستغلال والاستثمار في اول تشرين الثاني عام ١٩٥٤ وتكونت نواة جيش التحرير الوطني الذي راح يقض مضاجع الفرنسيين بحرب عصابات لا هوادة فيها ، وكانت العمليات الحربية في البداية مركزة في جبال اوراس وشمال قسطنطينه ومناطق القبائل ، ولكن لم تلبث ارض الجزائر ان اصبحت برمتها مسرحا لثورة وطنية جامحة تدعمها القوى الشعبية الواعية ، وتعتبر امتدادا حيا شاملا لمعركة الشعوب العربية المقبلة ضد الظلم والاستبداد ، وفي نفس الوقت انبثقت من صميم الشعب الجزائري الباسل هيئة سياسية هي جبهة التحرير الوطني التي دعت الى الكفاح الدامي ، فلبى الدعوة المدوية العمال والفلاحون والتجار والموظفون ورجال الفكر وسجلوا لهم تاريخا لامعا في ميدان يفوق التصور حيث اجهزت على العزل الآمنين بالطائرات والمدافع والبوارج فقتلت اكثر من نصف مليون جزائري بينهم الشيوخ والنساء والاطفال ، وهاجر زهاء اربعمائة الف الى مراكش وتونس ، والتجأ البعض منهم الى الكهوف وبين الجبال الوعرة وعلى منحدرات السفوح ، وامتلات السجون ومعسكرات الاعتقال بالوطنيين الاحرار الذين لاقوا صنوف الاهوال لانتزاع الاعترافات منهم كأستعمال التيار الكهربائي المسلط على الاذن والاعضاء التناسلية ، او وضعهم في الشمس المحرقة داخل قفص من الحديد ، او حملهم على عصا وهم عراة مع تقييد ارجلهم وايديهم وضربهم بالاسواط الجلدية واغلاق الابواب على اصابعهم وادخال السكين في لحومهم وتركهم على الارض عدة ايام والدماء تنزف منهم او بالقائهم من الطائرات ، واجبار النساء الجزائريات على افشاء الاسرار وتهديدهن بذبح اطفالهن ... وعلى

صامدة كالبحر

لا تنام

يخوضها في ساحاتها السلام

معركة الحياة

تحرسه بنادق الانصار

واعين الصغار

وفي قصيدة الشاعر المصري صلاح عبد الصبور (سأقتلك) التي

الرغم من كل اسلحة الفتك والفناء والدمار، وملاحقة نيران المستعمرين الحاصدة ، يواصل الشعب الجزائري كفاحه الشاق الطويل مهما كانت التضحيات وعظم الفداء وهو مؤمن بأن كل الشعوب المحبة للحرية والسلام ، ستهب لنجدته ، ومد يد العون له ضد العدوان السافر الاثيم الذي يحاول استغلاله واذلاله وسوقه الى مجازر دموية فوق أكداس من الاشلاء المجبولة بالدم الموار ، وما برح المناضلون الابرار يستبسلون في القتال ويتساقطون في ساحات الشرف وهم طليعة الوعي الثوري الذي يتغلغل الى ابعد اعماق النفوس ، وان الاستعمار الذي يسعى جاهدا لخنق هذا الوعي وهدم الكيان العربي وايقاف التيار الجامح والرجوع بالتاريخ القهقرى ، واخماد لهيب الانبعاث الكبير الذي اطلق الشعب شرارته المضطرمة ، انه صائرحتما الى الزوال ، وان الفجر الذي كنا نترقب انبثاقه والذي يتيح لنا سبيل التحرر والنصرقد انبلجت انواره في آفاق حركة التحرر الوطني التي تجتاح العالم العربي كله وقد ابى ان تدنس أرضه الطيبة اقدام المستعمرين الذين نصبوا انفسهم مدافعين عنه ، حماة له .

والشاعر السوري نزار قباني في قصيدته (جميلة بوحيرد) يصور ما تلاقي هذه البطلة الجزائرية المناضلة من تعذيب على ايدي الجلادين اعداء الشعوب وهي مثل صارخ لما يتحمله الشعب الجزائري بأكمله من تنكيل دموي رهيب فيقول :

الاسم جميلة بوحيرد
اسم مكتوب باللهب
مغموس في جرح السحب
في ادب بلادي في ادبي
العمر اثنان وعشرونا
في الصدر استوطن زوج حمام
والثغر الراقد غصن سلام
امراة من قسطنطينه
لم تعرف شفتاها الزينه
لم تدخل حجرتها الاحلام
لم تلعب ابدا كالاطفال
لم تغرم في عقد او شال
لم تعرف كنساء فرنسا
اقبية اللذة في (بيغال)
اكلت من نهديها الاغلال
اكل الانذال
من جيش فرنسا المغلوبه
القيد يعض على القدمين
وسجائر تطفا في النهدين
ودم في الانف وفي الشفتين
وجراح جميلة بوحيرد
هي والتحرير على موعد
مقصلة تنصب والاشرار
يلهون بانثى دون ازار
وجميلة بين بنادقهم
عصفور في وسط الامطار
الجسد الخمري الاسمر
تنفضه لمسات التيار
وحروق في الثدي الايسر
في الحلمة في.. في.. يا للعار

والشاعر السوري سليمان العيسى المهاجر من بلدته لواء الاسكندرونه

العربية بعد ان قدمها المستعمرون اكلة باردة الى تركيا ، يتغنى ببطولة الشعب الجزائري الذي يأبى ان يسام بالخسف والمذلة ، وهو شعب جدير بالحياة والسيادة والحرية ، فيعبر عن آماله وبصور الايمان الحار الذي يكمن في صدور ابنائه فيقول في قصيدته (ملحمة الجزائر) السخية في معانيها ومدلولاتها ..

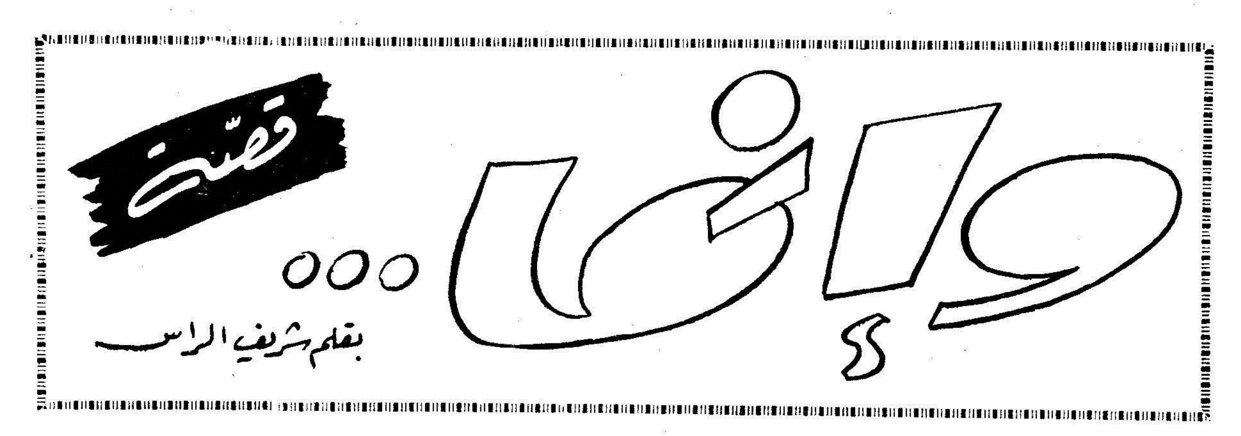
روعة الجرح فوق ما يحمل اللفظ ويقوى عليه اعصار شاعر
الفني هديرها والسماوات صلاة لجرحها ومجامر
الناجي ثوارها ودوي النار ابياتهم وعصف المخاطر
بين جنبي عبقة من ثراها ونداء ـ اني تلفت ـ صاهر
ما عساني اقول والشاعر الرشاش والمدفع الخطيب الهادر
والضحايا المزقون وشعب صامد كالاله يلوي القادر
فوق شعري وفوق معجزة الالحان هذا الذي تخط الجزائر

✶

يا قلاع الطغاة قد نفض العملاق عن جفنه عصور الضباب
سفحتنا الصحراء فجرا سخيا بالبطولات بالعتاق العراب
امة ظنها الغزاة اضمحلت وتلاشت وراء الف حجاب
من احال الجبال زأر براكين وجدران معقل غلاب
يتحدى قوى الجريمة في الارض فتبدو كسيحة الانياب
انها امتي تشد جناحيها فوجه التاريخ فجر انقلاب

ان الشعر العربي المعاصر ناضل بعزم واصرار ، من اجل تركيز المعاني الانسانية المتطورة ، وظل صدى معبرا واستجابة صادقة للاحداث الهامة التي جابهتها الامة العربية واستقطابها من جميع ابعادها ومراميها ، وتجسيد اهدافها الوطنية وقيمها الشعبية ، وتدعيم ثورتنا العربية ، وتعميق جذورها ومتابعة نضالها البناء العنيف ، وواكب جيلنا ، انه جيل التمرد واليقظة الخلاقة ، الذي اراد له اذناب الاستعمار وعملاؤه ان يهوي الى دركات سحيقة من التردي ليؤخر سير الزحف الكبير . غير ان الوعي الصاعد قد اكتمل ، ولم يكن غير طاقة كامنة في ضمير الشعب ، فصارت الحاجة الملحة والضرورة التي تفرض نفسها على الشعر وماله من دور فعال في تطوير المجتمعات والنهوض بها ، ان يكون ذا عقيدة مدركة واعية ، ومرآة صافية تنطبع فيها صور الحياة ، ويبلور اتجاهاتها ، ولا يستهدف اي اتجاه غير المجتمع ، وان يحدو ركب الشعب السائر قدما الى قمة المجد ليشيد صرح عالمه الامثل الذي ينشده !..

خضر عباس الصالحي
الجمهورية العراقية ـ بغداد



على الرغم من ان الاستاذ خالد قد عزم على الانتحار عدة مرات ليلة امس ـ ولا يعلم الا الله لماذا ! ـ فقد افاق صباح اليوم مبتهجا طروبا . لا بل انه كان يمشي في الشارع وكأنه يريد ان يرقص . كان في الواقع يشعر بانه يرد لو يطير ، لا بـل هو يكاد يطير الى السمـاء بخفة ورشاقة لا حد لهما ... ثم انه لاحظ صدفة احد تلاميذه من طلاب الشهـادة الثانوية يعبر الشارع ذاته ، وتلاقت العيون لحظة ، فشد الاستاذ خالد اوتار عضلات ساقيه ، وقطع النغمة الصافرة السريعة من بين شفتيه ، ثم اشعل سيكارة جديدة ، وتابع طريقه كما يكون الناس ، حتى وصل دكان « بوعبود » فتناول علبة تبغ اخرى .

ـ تطلي سرت غليظة يا بوعبود

ـ امرك على راسي ياأستاذ .. صباح الخيرات .

كان بوعبود واحدا من انبياء الرب سلمان المرشد ـ في عهد تعدد الالهة ـ وقد اضطر الى الهجرة الى الحسكة بعد ان شنقوا ربه . انتقل الى الحسكة بشاربيه الغليظين ولهجته العلوية التي تدخل القلب بـلا استئذان . وربما كان هذا ما اغرى الاستاذ خالد ان يفضله على البائعين الاخرين . اما ما جعل الاستاذ يفضل الشراء دينـا على الشراء نقـدا فتلك مسالة اخرى .

قال بوعبود : « اظنك توافق على قدح من الشاي الساخن » .

فاجاب الاستاذ فورا : ؟ ، طبعا .. هات .. وانا اظن يا بوعبود ان بقائي هناخد باب الدكان افضل من ان ادخل . ان وقوفي بجانبـك ظاهرة انسانية خطيرة ، فانت تفضل اربعة مني، وانا لا اشتهي ان ابـدو للناس قزما . وانما .. »

ثم فرط من بين اسنانه ضحكة طويلة ـ ولا يعلم الا الله لماذا ـ واخذ يبتسم ثم يرشف من الشاي ثم يعفس عقب السيكارة تحت حذائه ويظل ينظر في الارض .

قال بوعبود : « اهموم جديدة » ؟

فاجاب الاستاذ فورا : « لا والله .. الهموم هي هي كما تعلم .. »
ثم صمت ، واشعل سيكارة اخرى .... كان خالد يدخن ثلاث علـب في اليوم ، ولا يدخن شيئا في الواقع . كان يشعل وينفخ ويعض ، كانما يجد لذة في تكرار ذلك كل لحظة .. ثم رشف اخر جرعة الشاي بصوت يكاد يشبه الشخير القاسي . وبعد ذلك قلب القدح فانسكبت منه قطرات « الثمالة » على الارض ، فقال : « وبيد لا ترحم يسكب قطرة المرارة الارضية في كاس النشوة الفكرية .. هل فهمت شيئا يا بوعبود ؟ » .

ـ « كلامك على رسي يا استاذ خالد » .

ـ « اتريد الحقيقة ام الكلب ؟ انت لم تفهم شيئا مما قلت . وكان يجب ان لا اذكر مثل هذه العبارات امامك .. وانما يعني » ثم انفرطت ضحكة جديدة من بين اسنانه فغطى فمه بيده ـ ولا يدري الا الله لماذا ـ ثم قال : « اننا لا نفكر فيما يكلف هذا من دماء ... طبعـا انت تسمح لي ان ابتليك بالحديث عن الادب . وطبعـا انت لم تقرأ اقوال واحد من عيال كارامازوف حين نظر الى السماء بعين تقدح بالحقد ، بعين تطفـح بالكلام الرذيل ان صح التعبير. ولكن لماذا ابتليك انت دون سواك بالحديث عن الادب ما دام طلابي انفسهم لا يفهمون شيئا منه . اتريـد الكلمـة النهائية ؟ ـ سواء فهمت ام لم تفهم فانني لا ازال ابحث عن شخص يتمسك بان يبقى جمرة تلتهم نفسها لكي يقوم من الموت كل يوم ويجد دائما قوى اوفر ومتناقضات اكثر عنفا . انني ابحث عن شخص لا يسود ان يوجه حياته بل يود ان يمسها بعنف ويشعر بها ويؤرث نارهـا ليكتوي بها .. هذا الكلام ليس من ابداعي وانما .. السلام عليكم » .

فساله عبود : الى اين يا استاذ ؟

قال خالد : « ؟ .. هذا هو السؤال الابدي : الى اين .. على ان هناك سؤالا اخر يبدو انه سيغدو ابديا : لماذا اظل معلما في هذه الحسكة اللعينة اربع سنوات ولا يوافقون على نقلي الى دمشق ؟ » . وفي تلك اللحظة وصلت الدكان طفلة تريد ان تشتري نصف كيلو من السكر، فمشى الاستاذ الى اي اتجاه كان، في هذه الشوارع والازقة التي اصبح يعرفها شبرا شبرا . وكان يمر بالناس الذين حفظ صورهم النمطية عن ظهر قلب حتى لقد زاد ذلك من ضجره المستديم . ثم انه حاول ان يستخرج مـن زوايا ذهنه اية حادثة او فكرة يفصفصها في هذا الطريق ريثما يتاح له ان يقف في محطة اعتباطية اخرى . فتذكر صورة عابرة من حياته الجامعية، فابتسم وشعر بشيء من الارتياح . ثم تذكر ـ فجاة ايضا ـ صورة والديه واخوته الذين يعيشون ـ مجازا ـ في دمشق ، مما ادى به لان يحس بالضيق والملل من جديد. ثم انه شاهد موكب عرس يعبر الشارع بسيارات صغيرة صارخة ، مزينة باشرطة حريرية عديدة الالوان ، فلعن البلدية التي لا تمنع مثل هذه الفضائح. وفي اللحظة ذاتها تذكر هذا المشهد : «في دمشق، في قبو خافق ، الاسرة تحشر بقضها وقضيضها في غرفة . ويجلس الاب مع ضيفه في الغرفة الثانية . السقف واطيء . الضيف صديـق قديم للاب ، ولهذا اقتضت اللباقة ان يشاركهما خالد الجلسة ـ بوصفه الابن البكر ـ ويتقلب الحديث اشكالا والوانا لا تخرج كلها عن نطاق مـا يسمى بتبـادل العواطف . ويهم خـالد ان يتملص من هذه الجلسـة لولا ان الضيف يسال الاب : « ومتى سنفرح في زواج الاستاذ ؟ » فيجيب الاب: «ليته يقبل .. انه يرفض ان يتزوج» فيبتسم خالد وهو يمشي «لقد كذب سيادة والدي فانا اتمنى ان اتزوج وانما .. » ويحس ان يـدا

حنونة تمتد تحت ابطه ، ثم تنفجر ضحكة طويلة مزدوجة ، من الاستاذ ومدير المدرسة الثانوية .

ـ اين كنت ؟

ـ كنت ابحث عن المطلق .

ـ منذ الصباح تبحث عن المطلق ؟؟

ـ آه .. طبعا .. فان ازمة قلق طائشة اهلكتني ليلة امس .. قلق لا موضوع له ..اتدري ؟ لو كان لقلقي موضوع خاص ينصب عليه اذن لما كان قلقا بل كان خوفا . هكذا يقول الفلاسفة .

فقال المدير : « يبدو انك ستظل الى الابد تحفظ عبارات الاخرين .. تعال .. تعال نفس قلقك في قدح من خمرة روبير » .. ثم شد على يده بحب عظيم . كان هذا المدير يحب خالدا حبا هو العبادة بعينها . وعلى الرغم من تنافرسمات سحنة هذا « الخالد » فان المدير لا يستطيع مفارقته ساعة واحدة . حتى اصبح يعتقد بان اي انسان في العالم ، ما انيتعرف على هذا الخالد الا ويقع في حبه . وبهذا المعنى كان يقول له : « انحبك قدر لامفرمنه » . وكان يأسف دائما على انهما عاشا الحياة الجامعية في فترة واحدة دون ان يعرف احدهما الاخر . وكان فوق ذلك يمده بالمال ، وبفرح عظيم . ولم يعد غريبا عليه ان تصله برقية مفاجئة في العطلة الصيفية ـ وقد تباعدا ـ تقول : « انا في ورطة . انقذني .. خالد » . فكان يحول اليه من بلدته البعيدة ما يحتاجه من المال ، وهو يعرف سلفا ان خالدا ليس في ورطة بل هو في ازمة شبق ، او هو في طريقه الى الماخور الكبير يبحث عن زنجية او بغي عجوز ... وحين قرأ ذات مرة عبارة خاصة في كتاب لستيفان زفايج يتحدث فيها عن دستويفسكي وابطاله ، اشار تحتها بالخط الاحمر واحتفظ بها كصورة معبرة عن « اخيه » خالد . هذه العبارة تقول : « بيد انهم كلما ارخوا لانفسهم العنان في الافراط في شهواتهم الجسدية وفي تفكيرهم ، كلما اصبحوا اشد قربا من انفسهم . وكلما فتشوا عن التلاشي كلما اصبحوا مستعدين للتوبة عن غيهم . ان دعارتهم المبكية الحزينة هي متناقضات وان جرائمهم هي خنادق ولادتهم الحديثة . وهم اذ يمزقون انفسهم لا يمزقون سوى غلاف الكائن الخارجي وينقذون انفسهم . وكلما مدوا عضلاتهم ، وكلما لووا اجسادهم كلما سهلوا امر الولادة . لان الكائن الجديد لا يمكن ان يولد الا في الالام الضاربة . ويجب زيادة على ذلك ان تتدخل قوة اجنبية وتنقذهم في هذه الساعة المخيفة ، وان تخف الى مساعداتهم الانسانية النبيلة الشاملة » .

وفي مقهى روبير طعم الصديقان شواء لذيذا وشربا نبيذا يقال انه معتق ، وظلا يناطحان الكؤوس حتى شرعت المئذنة تعلن بمكبرات الصوت الجهورة ان موعد صلاة الجمعة قد ازف ... كان الخدر قد وصل بالصديقين حد النشوة ، وكانا خلال كل ذلك قد تحدثا معا عن كل اساتذة المدرسة ، فردا فردا ، وبذلك فقد نال خادم المدرسة « ابو سعيد » من المديح اكثر مما حظي به الاساتذة جميعا .. ان العبارات التي قيلت في وصف الاساتذة هي العبارات ذاتها التي قيلت الف مرة ، وربما كان هذا مبعث الضحك فيها . وامور اخرى سمعها المدير من خالد الف مرة وسيجد متعة في سماعها الف مرة اخرى . حياة خالد في الجامعة . فقره المذهل وذكاؤه الخارق . كيف كان ينجح وكيف يتملص من المواقف المحرجة . تصوره لحالات العشق الفاشلة ايامذاك . جمعه اعقاب السيجارات لتدخينها . قصة كذب ابيه للضيف فيما يختص بالزواج . حكاية المعلمة التي عرضت عليه الزواج بها فظل صامتا ..الخ.

كان خالد واحدا من اولئك الناس الذين ما ان يمتصوا الجرعة الاولى من القدح الا ويفتح الله على قلوبهم بالكلام الكثير والضحك المتواصل . اما المدير فقد كان من النموذج المقابل تماما . انه يصغي ويطرح الاسئلة وينعم بالنكات والملح حتى تملأ النشوة راسه ، فيغدو ثقيلا مثل الرصاص وانذاك كان يطرق الراس متمتما بلهجة حزينة :

ما وراء ما افعل اليوم ؟ او ما سوف افعل في غدي ؟ بل ما وراء حياتي كلها؟

لماذا ينبغي ان اعيش ؟ ولماذا ارغب في اي شيء او اعمل اي شيء ؟؟

فيفاجئه خالد قائلا : « مقتطفات من اعترافات تولستوي .. اليس كذلك » ؟

فيقول المدير باسما طروبا : « لعنك الله ما اشد ذكاءك . انك كتلة من الاعصاب اليقظة المتوفزة . واما اظن جسدك الرفيع هذا الا مخزنا لحميا حفرت فيه كل روائع الابداع البشري بلا تنظيم ولا تبويب . اتدري لو انك عرفت كيف تنسق هذه المحفوظات اذن لامكنك ان تصوغ رائعة انسانية ما .. ولكنت العبقري الذي ينتظره العرب اليوم .

ـ آه .. طبعا .. انا عبقري الامة العربية .. وانما .. وانما هذه كافة ومكفوفة . ولا ادري لماذا احب هذه الانماء !

ابتسم المدير لحظة ،ثم طأطأ رأسه بتأثير الثقل الرصاصي، وتمتم : « ما وراء ما أفعل اليوم ؟ او ما سوف افعل في غدي ؟ » ثم رفع راسه فجاة وقال : «خالد ، هل قرات قصة ١٩٨٤ ؟ ان هذه القصة تمسك بمؤخرة راس قارئها وتامره بحزم وقسوة : انظر الى موطىء قدميك . راقب نفسك كيف تسير والى اين تسير . فما يلبث هذا الانسان ان يتعثر، ثم ما يلبث انيشعر بالدوار ويترنح كالمطعون وتتهدل يداه ويجمد وجهه كالابله » ..

قال خالد : هذا كلام جميل وانما هنا ما هو اجمل منه بكثير ، ان تدفع لروبير حسابه ونقوم .

كان الناس يغادرون المسجد آنذاك ، وكانوا يسرعون الخطى الى بيوتهم وعلى الرصيف المقابل كان يسير شابان صغيران ، وقد اتكا كل منهما على الاخر وتساندا بحنان عجيب . ومرت وسط الشارع سيارة معربدة فملأت الدنيا غبارا وضجيجا .. وعفس احد الشابين بقية من سيكارة تحت حذائه وقال : صحيح انهم لم يحترمونا حين اثاروا في وجهنا كل هذا الغبار . وانما يجب ان نمر على « بوعبود » لنشتري علبة تبغ جديدة .

شريف الراس

زهرة في الطريق

أستيقظ الطموح من جديد
في فمه نشيد
والليل ـ بعد ـ مطرق يصغي الى بعيد
والفجر ـ بعد ـ خاطر يخامر الوجود
يراود الافاق ، والاعشاش ، والورود
رفيقتي : ستذبل الورود
ويصعد الشذا الى السماء
لكن عندي زهرة مجففه
في دفتي كتاب
كتمت فيها العطر فهي لم تزل شذيه
ولم تزل اغصانها مخضرة نديه
ولم تزل اوراقها حمراء مخمليه
قد تذبل العطور والالوان بعد حين
لكما سيمكث الحنين
وذكريات ثرة التلوين
ومسجد شيده طولون
وهاته البيوت كالحصون
وشعرك المنسدل الطويل
المتأبى مثل ذيل الفرس الاصيل
ارنو الى هذى الحياة من خلال زهرتي
والج الصراع .. لا اراع
وفي يميني زهرتي

★

رفيقتي :
ساكبة الخلود فوق زهرتي :
لشد ما يثيرني صمتك حينا بعد حين
تستغرقين
والنظرات منبئات سرك الدفين
فمنذ كنت في المهاد تمرحين
وامك الرؤوم تسأل السماء
كاشفة عن راسها الغطاء
رافعة الكفين في ابتهال :
ان ترزقي بابن الحلال
كذاك نادت امي الرؤوم
لبنتها الحبيبة
فهل ترين تذكرين ؟
وتحلمين ؟؟
بعشك الحبيب
اما انا فاذكره
اذكره حين ارى الاطفال تلهو
او اجد الاباء بالابناء تزهو
اذكره حين ارى اثنين : سعيدا وسعيده
وفيه احيا لحظة قصيره
لكنها مديدة .. مديده
احس فيها الدفء والحنان
وابصر الغلمان
ويمتلى سمعي باصداء بعيده
لقصص سمعتها
لكنني نسيتها
الا عبارة تقال
في اخر الروايه
عن هذه الابطال
فكلهم قد عاش في نبات
وخلف الصبية والبنات
فهل نكون يا رفيقتي
فهل نكون هذه الروايه ؟
وهاته النهاية ؟
رفيقتي : لن اخدعك
ولست غارس الغرور في فؤادك الغرير
فحينما هتفت باللقاء
ما كنت اذكر الابناء
ولم اكن اهدف للبناء
اتعلمين لم هتفت ؟
لانني ... !
لا تنظري خائفة مرتعبة
ولا يرعك خاطر خبيث
ما اكثر السلعة في منعطف الطريق
وكم سئمت هذه الحياه
وعفتها
ولم ازل اهفو لعيدك الحبيب
اتعلمين لم هتفت ؟
لانني .. استعذب العذاب
واقهر الصعاب
بحثني خيالك الودود
وينثر الجمال في الوجود
ويفرش الطريق بالورود

اسماعيل مصطفى الصيفي
القاهرة



القضايا الانسانية في افلام شارلي شابلن

بقلم فاروق سعد

« الكوميديا شيء عجيب ، هي شيء معقد يتطلب ادق دراسة للشخصية الانسانية ، وليس الممثل الكوميدي مجرد عالم بل هو ايضا انسان فنان مشبع بالعطف على الناس ، ومدرك لمشاكلهم المختلفة . فهو مطالب بان يعرف ما الذي يضحك الناس وما الذي يبكيهم وما الذي اضحكهم فيما سبق وما الذي يضحكهم الان » .

« شارلي شابلن »

★

ميزة افلام شارلي شابلن هي انها كلوحات « بيكاسو » و «دالي » او شعر « ايلوار » و « ناظم حكمت » او قصص ومسرحيات «برنارد شو» و « سارتر » « وشتيانبك » او موسيقى « ختشادوريان » : سجل كامل يؤرخ للنمو الحضاري والقضايا الانسانية في القرن العشرين .

افلام شارلي شابلن فلسفة كاملة تتناول الجوانب النفسية والاجتماعية والاقتصادية والسياسيه لعالم القرن العشرين منذ بداية الحرب العالمية الاولى حتى اليوم .

١ - بين عالمين .

ان انسان القرن التاسع عشر يواجه ببزوغ القرن العشرين عالما جديدا متطلباته كثيرة وظروفه تختلف اختلافا بينا عن ظروف القرن البائد ... لقد اصبح العيش يتطلب صراعا كبيرا بين قوى غير متكافئه .. صراعا انتقل الى الدول نفسها ، فلقد بدا القرن العشرون لاول مرة في التاريخ البشري بحرب عالمية لم تخل من ساحاتها بقعة من الارض ... لقد ظهرت في المجتمعات الجديدة طبقة تعيش على هامش المجتمع .. ان « الرجل الصغير » (Little Fellow) يعبر عن تلك الطبقة المحرومة من الحياة السعيدة .. الطبقة التي نبذها المجتمع ... هذه « النكرات » تضطر الى الاستعانة بكل الوسائل ولو كانت غير مشروعة عرفيا للحصول على ما تحتاج اليه ، بل انها ترى نفسها مرغمة دائما على ان تظهر بمظهر يختلف عن واقعها وحقيقتها .. ان زي شابلن الذي ظهر به في افلامه الاولى « القبعه . القميص الانيق . الجاكته الضيقة المزرره . البنطلون الفضفاض . الحذاء الكبير . العصا والمشيه الشاذة) كل ذلك يعبر عن هذا المظهر .. مظهر الرجل المدعي..

٢ - شابلن والضمان الاجتماعي والحب ..

سبل العمل صعبة الولوج .. وهذا هو شارلو ينتقل من مهنة الى مهنة ليكسب عيشه .. حينا يشتغل جرسونا في مقهى (Charlot garçon de café 1914) وحينا يعمل جرسونا في مسرح (Charlot garçon de théatre 1914) ولا يتردد في ان يشتغل اطفائيا (Charlot pompier 1916) او شرطيا (Charlot policman 1916) ويصل به الامر الى احتراف الملاكمة (Charlot boxeur 1915) ولكن كان لابد من تشرده من وقت لاخر (Charlot vagabond 1915)

ويأتي فيلم « حياة كلب » (La vie d'un chien 1918) ليجسم ماساة فقدان الضمان الاجتماعي . ان صورة هذه الطبقة الجديدة التي تعيش على هامش المجتمع تظهر واضحة في هذا الفيلم . فافراد هذه الطبقة يتصرعون على لقمة العيش .. انهم يتصارعون فيما بينهم جميعا وحتى مع الحيوان : شارلو وكلبه يتعاونان في البحث عن الطعام . شارلو لا يتردد ان يخطف الطعام من الكلاب ليتقاسمه هو وكلبه غير مبال بالمعركة التي دارت بينه وبينهم حتى نجح في انتزاعه . وجاء فيلم «البحث عن الذهب » (La ruée vers l'or 1925) ليعبر في فصله الاول عن القساوة والوحشية اللتين يبلغهما هذا الصراع احيانا .. ان معركة الثلوج ومعركة الكوخ المعلق على المنحدر يجسمان هذا المعنى تجسيما فكاهيا ولكن هذه الطبقة لا تكافح بدون سبب . انها تصبو الى العمل للحصول على الحياة والحب والكرامة ، والفصل الثاني والثالث من فيلم « البحث عن الذهب » وفيلم « انوار المدينة » (Les lumières de la vile 1931)

وفيلم « اضواء المسرح» (Limelight 1952) تعبر عن هذا الهدف تعبيرا ملحميا رائعا .

ان المرء لا يستطيع ان ينسى كيف اضطر شارلي في فيلم « اضواء المدينة » ان يمثل دور الرجل الفني ، مع بائعة الزهور العمياء وهو الرجل العاطل عن العمل المنبوذ من المجتمع .. انه يسعى الى اسعاد المسكينة .. ويبقى الى النهاية يحافظ على دوره الجديد ... دور الرجل الفني . انه لا يدري لماذا يفعل ذلك .. ولكنها الاقدار ...

وهذا الفنان «كالفيرو» في اضواء المسرح ... هو في صراع مع عاطفته وواجبه ... انه صراع شاعري يشكل « ماساة متفائلة » على حد تعبير سادول (١) .. ان « كالفيرو » الممثل الكوميدي الكبير ينقذ من الموت راقصة شابة يائسة (تيري) كانت تحاول الانتحار بسبب شللها .. انه يعيد اليها الامل في الحياة وتشفى الفتاة لتعود الى ميدان الرقص ولترتفع الى القمة .. ويفطن « كالفيرو » الى انه اصبح كبير السن وعاجزا عن

---

(١) جورج سادول : ناقد جريدة « الاداب الفرنسية » السينمائي ، استاذ تاريخ السينما في « معهد الدراسات السينمائية العليا بباريس محاضر في تاريخ اللغة السينمائية « الفيلمولوجيا » في السوربون . له مؤلفات شهيرة في تاريخ السينما .

اضحاك الجمهور .. فييأس وينتهي به الامر ان يصبح فردا في فرقة للعازفين متنقلة بين المدن والقرى . . لقد تزوجت « تيري » برضاه شابا في مثل سنها وهو الذي يحبها لا يستطيع ان يتزوجها .. انها في عمر ابنته .. وتأتي « تيري » الراقصة المشهورة الى « كالفيرو » فتشجعه ثم تقنعه بالاشتراك في حفل خيري كانت قد نظمته (ولم تعلمه انها نظمت الحفل لاجله وحده) .. ويظهر « كالفيرو » على المسرح في ادواره القديمة ويرتفع الى القمة .. لقد نجح نجاحا هائلا .. ولكنه لا يلبث ان يسقط ميتا وراء الكواليس بينما تكون « تيري » ترقص امامه اخر رقصة لها في حياتها .. هذه الرائعة السينمائية تتضمن خمسة مواضيع انسانية حددها « جاستون بونور » (1) على الشكل التالي : مأساة الشيخوخة والموت . الثقة العميقة بالحياة . معنى الاحترام للانسان . الكوميديا التي تضحك رغم انها لاتهدف الى ذلك . الحب باعتباره معطى كاملا قائما بنفسه .

٣ ـ الانسان والالة والانتاج .

يمكن ان نبدأ تخطيط المرحلة الاولى من تفكير شارلي شابلن الاقتصادي « هروب جنتني ١٩١٥ » حيث يسخر شارلي بطريقة غامضة من السيارات .. وجاء فيلم « الازمنة الحديثة » (Les temps modernes 1936) ليعرض دراسة كاملة تشمل اغلب اراء شارلي شابلن الاقتصادية .. لقد تناولت هذه الدراسة السينمائية جميع القضايا العارضة والمستعرضة في الانتاج والقضايا العمالية والرسمال .. وهذا الفيلم يتناول جميع هذه القضايا بطريقة كوميدية معبرة .. صاحب المصنع لا يفكر الا في الربح باقصر الطرق وباقل التكاليف ، وقضايا العامل اعمق من ان يكون له عمل يعتاش منه ، فانها قضايا حيوية ترتبط بالعدالة الاجتماعية والحياة الانسانية عامة .

يبدأ فيلم شابلن بلقطتي مقارنة : خراف سائرة في اللقطة الاولى ،وعمال ذاهبون الى اعمالهم في اللقطة الثانية ثم تتابع المشاهد ... اننا نرى العمال البشر كالالات يقومون باعمالهم بطريقة روتينية جامدة .. وليست المشكلة هنا ، بل هي في ان اي عامل لا يستطيع الراحة ابدا خلال عمله .. ان شارلي يعرض لهذه الفكرة عن طريق المفارقات المضحكة. ثم يعرض للمآسي التي تتولد عن تكالب اصحاب المصانع على مضاعفة الانتاج ولو عن طريق ارهاق العامل ارهاقا يتجاوز الطاقة البشرية ... ان احد المهندسين يخترع لادارة المصنع الة تتولى اطعام العمال ، ولكن لماذا هذا الكرم من الادارة؟هذا الكرم هدفه اولا وقبل كل شيء توفير وقت راحة العمال على الادارة ولكن لوحدث وتعطلت احدى هذه الالات ترى ماذا يحل بالعامل المسكين ؟.. ان شارلي يعرض هذه الفكرة بطريقة مرحه عندما يختارونه هو نفسه لتجربة هذه الالة ، ويسير الامر في البدء بطريقة تسر شارلي ، ولكن ما ان يبدأ الخلل يدب في الالة حتى ترى كل شيء كان يتولى اطعام شابلن يقوم بدور الملاكم .. ويسقط شارلي تحت اقدام الالة الجهنمية وهو مصاب برضوض بالغة .. ويذهبون به الى المستشفى لاصابته بانهيار عصبي.. ويشفى بعد مدة قصيرة . ولكن عندما يعود الى المصنع ليتابع عمله تغلق الابواب في وجهه . ويسير متسكعا في الطرقات ويقبض عليه اثناء مروره صدفة قرب مظاهرة ويتهم بالشيوعية ـ حسب العادة المالوفة ـ ويدخل شارلي السجن .. ويعجبه المناخ .. ولم لا؟..انه يستطيع ان يعيش على الاقل.. ويحاول شارلي ان يعود الى السجن بعد اطلاق سراحه ولكن عبثا يفعل .. ويكون الى جانبه فتاة صغيرة متشردة مثل والدها العامل المتعطل اثناء مظاهره . ولعل منظر الكوخ المهجور يمثل قناعة الانسان الفقير انم تمثيل .. ان منظر الكوخ الذي يتحول كل شيء فيه الى حطام بمجرد لمسه نثير في نفس المتفرج الشعور بالضحك ، ولكن لا تلبث ان نتمثل امامه المأساة لتختفي البسمه وتتحول نظراته الى نظرات مشبعة بالاسى والاشفاق .. وعلى الرغم من هذا كله ، فان شارلي حسب عادته دائما يدعو الى الامل والتفاؤل.. ان المنظر الاخير ينتهي بحكمة وضاءة تكررت في « البحث عن الذهب » وفي « انوار المدينة » « واضواء المسرح » : (يجب ان لا نفقد الامل) .

ان «جورج سادول» يربط بين فكرة اخراج شارلي لهذا الفيلم وبين ازمة سنة ١٩٢٩ الاقتصادية التي اجتاحت العالم وخاصة اوروبا والولايات المتحدة . وقد ولدت هذه الازمة مشاكل اجتماعية واقتصادية متعددة كان اهمها مشكلة البطالة .

ولقد هاجم شارلي في « الازمنة الحديثة » الاحتكار والاستغلال وبصورة اعم هاجم اغلب اشكال النظام الراسمالي .

٤ ـ عدو الفاشستية والديكتاتورية والصهيونية ..

وجاء عام ١٩٤٠ اي بعد سنة من وقوع الحرب العالمية الثانية . كانت الديكتاتوريات النازية والفاشستية قد بدأت تنمو في اوروبا وتتسرب الى الحياة الدستورية في اغلب الدول ... وبدأ العالم يشعر بخطرها.. وفي ١٥ تشرين اول سنة ١٩٤٠ عرض فيلم « الديكتاتور » للمرة الاولى.. ان هذا الفيلم من اروع الوثائق التي تعرض مساوىء النازية والفاشستية بطابعهما الديكتاتوري العنصري.. لقد رمز شارلي في هذا الفيلم الى شخصية هتلر بشخصيه « هنكل » ورمز الى شخصيه موسوليني بشخصية « بانوليني » .

ان « هنكل » يرقص بالكرة الارضية كما كان يرقص هتلر ولم يكن هناك فرق الا ان هنكل يرقص بمجسم كرة ارضية بينما كان هتلر يرقص بكرة ارضية حقيقية ... وكان شارلي كان يفطن الى نهاية هتلر فاذا الكرة الارضية تنفجر بين يدي « هنكل » الذي يقفز ليتعلق بالستائر وهو ينظر نظرات جزعه لا تخلو من يأس وبلاهة ..

ان الدكتاتور يريد ان يجعل الجماد نفسه يرضخ له .. فالتماثيل المقامة في الاماكن العامة تحني رؤوسها محيية عند مرور عربة « هنكل » امامها . وفي هذا الفيلم كما في فيلم « الازمنة الحديثة » وسواه من الافلام نرى شابلن يؤمن بالمستقبل الخالد ... وهذا هو النداء الخالد في فيلم الدكتاتور : (انظري يا حنه ـ ويرى سادول ان شارلي يرمز الى امه التي ماتت منذعشر سنوات .. ـ لقد اعطوا النفس البشرية اجنحة وبدأ الانسان يرتفع الى السماء .. ان روحه تصعد الى الغد والى المستقبل المجيد الذي سيكون لك وسيكون لكل واحد منا .. للجميع ... ارفعي عينيك يا حنه انظري الى السماء .. حنه .. هل تسمعين؟.. اسمعي ...)

وعلى الرغم من ان شارلي يدين باليهودية فان له اراء تهاجم دولة اسرائيل والحركة الصهيونية كانت من جملة الاسباب التي ادت الى خروج شارلي شابلن من امريكا كما هو معروف ـ وكنا نود التوسع في عرض افكاره تجاه الصهيونية ولكن هذا يخرج بنا عن نطاق موضوعنا الذي قصرناه على تحليل اراء شابلن من خلال افلامه فقط .

٥ ـ الحرب والسلام

كما ان لوحات « غورنيكا » (Guernica) «والحرب» (La guerre) « والسلام » (La paix) « لبيكاسو » او لوحة « خرائب الحرب » (Les desastres de la guerre) لجويا او قصة « الحرب والسلم » لتولستوي او مسرحية « ثورة الموتى » لاروين شو وغيرها من الاثار الفنية الرائعة قد خلدت معنى السلام والحرب ، فان

(1) احد اعلام السينما الافرنسية .

من الضروري ان نضيف فيلم شارلي شابلن «مسيو فردو» (Monsieur verdoux 1947) الى هذه الاثار الخالدة » .

لقد اوضح شارلي شابلن مضمون فيلمه « مسيو فردو » في حديث صحفي عندما قال : (انه قاتل بالجملة – يعني مسيو فردو – وقد حاولت ان اظهر في حالته النفسية تعبيرا لمدنيتنا المعاصرة التي تريد ان تحولنا جميعا الى سفاكين بالجملة .. وطيلة حياتي وانا احارب العنف واظن ان القنبلة الذرية – وهي ابشع سلاح عرفته البشرية – تظهرنا على مبلغ الرعب والخوف الذي سيصيبنا ويزيد انصاف المجانين في حياتنا ... وفي « مسيو فردو » قمت بسلسلة من الجرائم دون ان اعاقب عليها ثم قبض علي واعترفت بذنبي ولما دعاني ممثل الاتهام بسفاك بالجمله اجبته بادب ان روح القتل مسيطرة على العالم ونظرت في هدوء اليه والى عينيه) .

لقد عبر شارلي بحرارة عن معنى السلام في فيلم « مسيو فردو » .. ان اخراج شبلن لهذا الفيلم يعكس رغبة البشرية في السلام بعد ان قاست الامرين من الحرب التي هي مجرد « قتل جماعي » وبصورة اخرى لا تخرج عن حد الجريمة .

٦ – شارلي ومأساة القلق والحرية .

لعل من الضروري الربط بين فيلم « المهاجر » (١٩٢٧) وفيلم (ملك في نيورك (Un roi à New-York 1956-1957) فالواقع ان فيلم « المهاجر » ونظرته الى الحياة الامريكية وخاصة معالجته لقضية الحرية تجعل العلاقة قوية بينه وبين فيلم « ملك في نيويورك » ، ولعل اقوى تحليل لهـــذا الفيلم هو التحليل الذي كتبه الشاعر « لويس اراغون » سنة ١٩٢٧ : (نحن ننكر هذا المنظر الفاجع لركاب الدرجة الثالثة على المركب وقد صنفوا او الصقت عليهم البطاقات ، ثم همجية رجال السلطة وهم يفحصون المهاجرين ويمدون ايديهم القذرة الى النساء تحت نظرات تمثال الحرية الذي يحمل المشعل ليضيء ظلام العالم .

ان هذا المشعل الذي يحمله تمثال الحرية لا يعكس لنا في افلام شارلي الا ظل التهديد والوعيد من جانب رجال البوليس وهم يطاردون البؤساء والفقراء .)

انما لا نستطيع ان ننكر ان فيلم « ملك في نيويورك » لا يتخذ معناه كاملا الا اذا ربط بحياة شابلن بكاملها والمعتقدات التي كانت تلك الحياة عليها وبالرجل الذي خلقته هذه الاشياء كلها . « وهو بالتالي يعطي فكرة عما « استخلصه ذلك الانسان من تجربته للحياة الامريكية . » ان تجربة شارلي للحياة الامريكية كانت امتحانا ناجحا اداه في « ملك في نيويورك » .. ان هذا الفيلم يخطط ظروف ومظاهر هذا المجتمع القلق ، رقصة « الروك اندرول » ، مندوب شركة الاعلانات وتصرفاته ، عملية تجميل وجه الملك شاهدوف ونتائجها ، افلام الكاوبوي » .

واخيرا ، وهذا هو هدف شارلي الاول ، فانه يعرض لنا في فيلم « ملك في نيويورك » قضية الحرية في امريكا عندما يعرض لتحقيق « لجنـــة النشاط المعادي لامريكا » مع الملك شاهدوف .

ومن مظاهر القلق (Angoisse) في القرن العشرين رقصة « الروك اند رول » فهي كالسريالية والوجودية وقصص ساغان وتمثيل جيمس دين والقصة البوليسية تعكس صورة هذا العالم الذي قاسى حربين ذهبتـــا بحياة الالاف من البشرية ، صورة من يخشى او يتوقع حدوث شيء مجهول لا يدري كنهه .. وهنا القلق .. لقد شكل عند عدد كبير من النـــاس (مركب) الرغبة في استنفاد لذائذ الحياة في اقصر مدة خوفا من حدوث هذا المجهول ... ان المظاهر الجنونية التي نظهر على راقصي الروك اند رول في فيلم « ملك في نيويورك » والموسيقى الصاخبة التي يتحركون على انغامها تجسم هذا الاستنفاذ للذائذ ...

اما مندوب شركة الاعلانات فهو وقح لا يراعي اي ذوق اجتماعي ولا يحترم احدا .. انه يعتبر الملك « شاهدوف » مادة دسمة للاعلان عـــن المشروبات الروحية .. مادة فقط .. انه يدخل معه الحديث مباشرة ثم لا يلبث ان يساوم بالدولارات .. اما مندوبة شركة الاعلانات فقد كانت اخطر على الملك من المندوب رغم حنكة هذا الاخير وبراعته في الاقناع ..

وتدور الاحداث في الفيلم . وتتابع المواقف لتؤدي في النهاية الى وقوع الملك « شاهدوف » بين يدي لجنة التحقيق في النشاط المعادي لامريكا ، ان الظروف التي ادت الى تهمة الملك شاهدوف بالشيوعية والنشاط ضد امريكا هي نفسها التي ادت الى تهمة شارلي شابلن .. بل واننا ننسى ان امامنا الملك « شاهدوف » وحده او شارلي شابلن .. اننا نـــرى «هانز ايسلر»(١) و«بول ربصن»(٢) و«ارثر ميللر»(٣) و«اوبنهيمر»(٤) وكبار ضباط الجيش الامريكي الذين حقق معهم ... ان محاكمة الملك « شاهدوف » كما ظهرت في « ملك في نيويورك » هي ابلغ رد على هذه المحاكمات ، وخرطوم الماء الذي يحمله الملك شاهدوف ليصيب برشاشه اوجه القضاة فيغسلها غسلا « هو افضل حل واحسن استحقاق ينالـــه هؤلاء .. » – مع الاسف لم نستطع متابعة مشاهده المحاكمة اذ كانـــت الرقابة قد حذفت بعض المشاهد من هذا الفيلم وخاصة من مشاهد المحاكمة (عرض الفيلم في بيروت في شتاء ١٩٥٨ .)–

ولكن شابلن لا يفقد الامل في الاصلاح . فالسجان الفظ الذي يقوم على حراسة الصبي يتنبأ متفائلا في اواخر مشاهد هذا الفيلم : (ان هذه الاوضاع لن تدوم) ان شارلي لا يفقد الامل بشعب امريكا .. ان شعب امريكا كأي شعب في العالم تنطوي في اعماقه مشاعر اخوية عميقه نحو شعوب العالم اجمع ولكنه مع الأسف ضحية « جماعات خطرة تستغله وتحتكر خيراته وتسيطر على سياسته فتوجهها الى خدمة اهدافهـــا ومصالحها » ...

وفي المشهد الاخير بينما تكون الطائرة تحلق بالملك شاهدوف فـــوق ناطحات السحاب يرفع قبعته تحية لامريكا وينتهي الفيلم بعبارة الملك « شاهدوف » الاخيرة : — There's nothing to worry about (ليس هنا ما يدعو الى القلق)

اجل ليس هناك ما يدعو الى القلق ، فسياتي اليوم الذي يجد فيه الانسان نفسه ويفهم معنى الحياة فهما كاملا مرتبطا بخير الانســـانية جمعـــاء .

فاروق سعد

(١) مؤلف موسيقي امريكي (٢) مغني زنجي امريكي (٣) كاتب مسرحي امريكي (٤) عالم ذري .

المراجع :

— Georges Sadoul : Vie de Charlot (Editeurs Français Reunis)

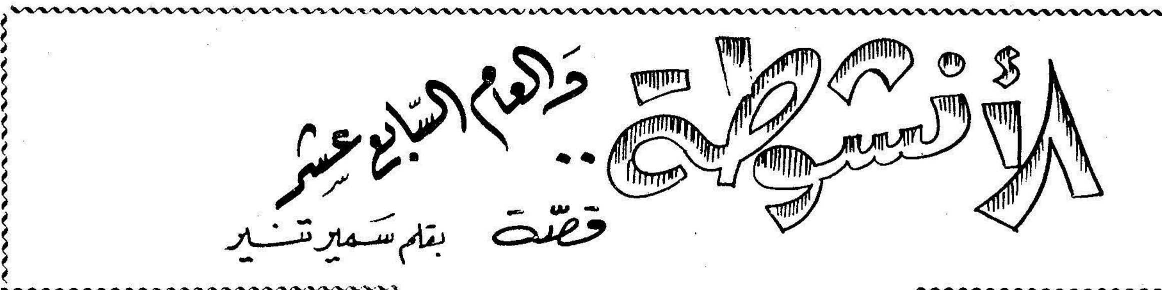
— Regards neufs sur le Cinema (Collection peuple et culture) (Editions du seuil 1953)

— Temps modernes : (Novembre 1957) : Un roi à New-York

— Cinemonde : No. 620 14ème année 18 Juin 1956

— المجلة : العدد العاشر ١٩٥٨ القاهرة : من اعلام السينما : شارلي شابلن بقلم احمد الخضري

— افلام شارلي شابلن



كان المساء يزحف حزينا ، ناشرا اضواء صفراء هزيلة في ارض الشارع وعلى الجدران ، وفوق اوراق الاغصان الخضراء .

القيت فرشاة الدهان ، وكنت قد اكملت دهان الواجهة . ورحت اتحسس ظهري وقد لمع في ذهني خاطر سريع . اليوم .. الخميس السابع من اذار هو يوم عيد ميلادي . عيد اخر يمضي بلا شموع ولا قبلات ! حسنا .. هذا شيء غير جديد علي . لم يكن من عادة اهلي الاحتفال باعياد الميلاد . فلم الحزن ؟ اما فكرت كثيرا في الاحتفال بعيد ميلادي السنة الماضية . لكن المدرسة فاجأتنا وقتذاك بتقديم موعد الامتحان الشهري ، فلم تتح لي تحقيق امنيتي .

ليس للاعياد دلالة على الاطلاق وهي خدعة كبيرة ، فلم الحزن ؟

امسكت بدلو الدهان البني ووضعته على الطاولة ، واسرعت الى حنفية الماء افتحها بيد مرتعشة واغسل وجهي . رفعت راسي نحو النافذة الى السماء .. . كانت زرقاء صافية ، شفافة بلورية لا يبدو على صفحتها الملساء غير غيوم قليلة .

عبثا احاول جمع افكاري المبعثرة ، منذ قليل كنت افكر بعيد ميلادي ، اما الان فقد تلاشت تلك الافكار وتركتني اهيم متطلعا الى آفاق قصية ، لا اعرف لها حدودا . ولاحظت في المرآة ان حزنا رقراقا ينطبع في عيني ، لم اعرف له سببا

انتهيت من تصفيف شعري ولبست قميصا نظيفا واعددت اغراضي القليلة في صرة من الورق صغيرة . كانت الاشعة تنسحب من ارض الشارع ببطء لتعشش ، في اعالي الاشجار ، وفي طوابق البنايات العالية . في المساء يتحول الناس الى ظلال .. مجرد ظلال تهرب نحيلة في كل الاتجاهات .

لمَ لا يتوقف الناس قليلا يا ترى ؟ ان المساء جميل .. فلم لا يتوقف الناس قط عن الركض ؟ اخذت دكة صغيرة من القش وجلست عليها منتظرا صاحب المحل ، ليدفع لي اجر اليوم . في الشارع المقابل كان ينبعث من محل البقالة اضواء برتقالية ، رقيقة . وفي فسحة معتمة في جانب المحل كان ظل يرش الماء واخر يصف الكراسي . وفي الشرفة العالية ، جلس شيخ مريض على كرسي هزاز يقرأ جريدة ، بينما وقفت ابنتاه تكلمان جارة لهما .

حاولت عبثا ان أجمع شتات افكاري . لقد خفقت نسمة باردة فعبثت بخصلة من شعري وارختها على جبيني ، فرفعتها باصبعي لتقع ثانية بعد حين قصير . تشاغلت بجماعة من الصبيان كانت تقطع الشارع تضحك وتصفق وتصفر ولاح لي بينها طفل يمسك كتبه بيد ، ويلوح باليد الاخرى في الفراغ ويركض مع زملائه كانه يرقص . كان يغني اغنية جديدة لم اسمعها من قبل تنساب من شفتيه حلوة صاخبة . كانت كلمات الاغنية تطاوع الموسيقى كأنها لحنت من قبل . وعندما اقترب من محل البقالة ، توقف يرقب النور البرتقالي المنبعث منه والفاكهة المعلقة في الواجهة كغابة نور ... شهية لذيذة .

توقف لحظات وجعل يرفس الارض المبلطة بقدمه ، وعجبت لوقوفه ، فرفاقه قطعوا الشارع وغابوا عن عيني . ايفكر يا ترى بشراء شيء من الواجهة ؟ . انه يرفع اصبعه الى فمه ويرمق النور البرتقالي الباهت الممتد على الرصيف . فهمت ! ليس معه « فرنكات » يشتري بها . قمت من مكاني ومشيت الى الرصيف الاخر ، نحو محل البقالة . لقد تركت الاضواء الصفراء اعناق الاشجار والطوابق العالية واحتضنت الغيوم البيضاء فصبغتها بلون الدم . وقد ذعرت القطة البيضاء الجالسة على الرصيف واسرعت بالاختفاء . كنت امشي ببطء واسمع خطواتي وهي تتسلل الى اذني واهية خافتة . الطفل لا يزال واقفا ، وكانه منجذب الى النور البرتقالي والى الفاكهة ، بمغنطيس يشده ولا يستطيع منه فكاكا . تعكر الصمت . لم اعد اسمع خطواتي . رجل اشيب يسير مسرعا وهو يسب ولا يكاد يلمح الطفل حتى يركض نحوه وهو يصيح « حسن .. ولي .. حسن ، نحنا نفتش عليك .. وانت هون . وين كنت من الساعة اربعة ؟ » وتمزق قلبي وانا اسمع الصفعات تنهال على الوجه الفض .. كالمدافع .. كالولولة .. قلبي يتمزق بشفرات حادة ويدمى .. يدمي باستمرار .. يسح دما . لم يتوقف اللعين . كان يضربه في كل مكان، على وجهه وراسه والطفل يصرخ .. يصرخ « والله ما كنت .. كنت .. كنت مع احمد .. والله .. هو . كنت .مابقى ..خلاص التوبة ... التوبة » .

لم استطع الاحتمال . اوشكت ان اركض واصفع الاب وادوسه بحذائي . والقي عليه درسا في الحنان . لكن اللعين توقف . توقف وكأن لم يحدث شيء . لم يحدث شيء .. انهار الدموع فاضت من مآقي الطفل تروي حقد هذا المجنون . رأيته . كان حلوا مورد الخدين ازرق العينين ، اشقر الشعر ، كان النور البرتقالي يضيء دموعه . فيحيلها الى حبات من العقيق ويضيء شعره .. اسلاك ذهب .. ويضيء عينيه الزرقاوين يالله .. كم كانتا .. عيناه اسطع نورا من الجواهر .

رفعت يدي الى رأسي اعيد خصلة الشعر المتمردة واتحسس الصفعات واثرها . كأني انا من تلقاها . كنت .. مرة ثانية .. ذاك الطفل.. وامامي اليدان السوداوان .. اليدان القاسيتان .. الافكار تتجمع في ذهني دفعة واحدة ، كالمحرات يشق الارض . وذهني ينبش ذكرى مؤلمة .. قاسية .. وقلبي يدمى ، يدمى باستمرار .

منذ زمن طويل اشرق يوم كان بالنسبة الي ، جد مختلف ، وقد بدا لي حينذاك ان الاستيقاظ في بكرة من الصباح وتناول الفطور امام

النملية ، والذهاب الى المدرسة اشياء تافهة ، لاتستحق مني العناية والتمهل . لم اكن ابحث عن اشياء مثيرة .. عن متاعب . كان علي ان استيقظ قبل موعدي بنصف ساعة وان اذهب الى مركز البريد لاسقط رسالة مسجلة . ولم يزعجني هذا مطلقا . ولما شعرت بخيوط الشمس تتسلل الى جفني ، احكمت الغطاء علي وقلت لنفسي : « طلعت الشمس » لكن ما ان فتحت عيني حتى تبينت خطأي فالليل كان ما يزال كثيفا . كانت الرسالة على الطاولة موضوعة بعناية على فتحة الزهرية . جعلت اسائل نفسي ، وانا في طريقي الى مركز البريد اتحسس الرسالة « شوفيها منديل مشغول .. ام نقود ملفوفة ؟ » وقرأت الاسم المكتوب بخط رديء « الى اخي العزيز . رباح حفظه الله تعالى » وفي الاعلى « بالبريد الجوي المسجل » . ادركت حالا سبب الهدوء الغريب الذي شمل منزلنا منذ اسابيع عندما لمحت شجرة الصفصاف الممتدة ظلالها بوحشية على الجدار . كنت ارى امي دوما منكبة على قماش تخيطه . سألتها مرة : « ماذا تفعلين » فاجابتني دون ان ترفع راسها . « منديل حريري سابعثه الى اخي في البرازيل » . رددت دون ان افقه ما اقول : « ولماذا منديل حريري .. لماذا لا يكون منديلا عاديا ؟ » فصرخت في وقد بانت لي ملامحها المقطبة « ما شغلك .. يلا .. حشوري تتدخل فيما لا يعنيك »

قضت امي موهن الشتاء كله تخيط المنديل ولزم الهدوء العميق المنزل . كنت احب دوما ان ارقبها وهي تشتغل وتخيط . ان في ملامحها صبرا وجلدا عظيمين . فيها بطولة . كنت كثيرا في الاماسي اجلس قرب الباب اقضم سندويشا من الزعتر بالزيت واتطلع الى امي . اهدابها تهتز .. يدها ترتفع الى عينيها تفركهما .. اقول لنفسي عندئذ : « يجب ان تتوقف ، يجب ان ترتاح قليلا . حان وقت الراحة » .

كان الطريق امام بيتنا ينحدر الى الحقول . في هذه الضاحية لاشيء يثير الاهتمام غير البساتين والحدائق حيث اللعب والجري . كنت ارقب الابقار وهي تعود الى القرية واجراسها ترن من بعيد ، والشمس تنسحب ببطء حتى تغيب الابقار في العتمة . كنت احس ان تلك اللحظات اطول من اليوم المدرسي كله .

كانت امي تردني الى نفسي وكأنها احست بما اعانيه من كآبة فتقول : « الن تلعب اليوم مع احمد .. لا توسخ ثيابك » . فاقفز حالا واجتاز مهرولا الطريق الى الحقل . وابحث عن احمد حتى اجده . فنلعب ساعة ، ثم اعود تعبا ، فاندس في الفراش .

ومضى كل هذا في ذهني وانا اتحسس الرسالة . ليست ثقيلة . لا ريب ان فيها نقودا لا منديلا كما كنت احسب وكما قالت لي امي . رفعت الرسالة الى انفي علني اشم شيئا . لا رائحة البتة . لقد طويت النقود بمهارة . ربما كويت بالمكواة الحامية . وازيلت تجاعيدها .

مشيت ببطء مفكرا . كم وددت ان اهمس بهذه الامور كلها لرفاقي . سيقولون : « ما ادراك .. انت لست ذكيا جدا . المعلمون يقولون انك غبي » .

التقيت باربعة من رفاقي « احدهم احمد » قرب مركز البريد ، يمشون ضاحكين مصفرين . صرخت « ها انتظروني .. الى اين تذهبون » ولم يقف الا واحد .. بينما اسرع الثلاثة . ثم وقفوا ايضا .

فاسرعت اليهم . سألني واحد : « هل تذهب معنا » احببت ان استفسر اولا عن سبب تخلفهم عن المدرسة وهل في الامر عطلة ؟ ام موت قريب للمدير ؟ ام ان الامر كله هروب من الدروس ؟

لكن احدا لم يجب . قال واحد ان علي ان اسرع اذا اردت الذهاب معهم . سألتهم ان ينتظروني دقيقة لاسقط لرسالة المسجلة . ومن ثم اذهب الى حيث يودون . قال احمد وقد مد يده الى الرسالة « ياه ... انها ثقيلة شو فيها ؟ » هززت راسي دون ان انغم بحرف . كان مشغولا بالرسالة . يجب ان استعيدها منه دون ان اضطر الى انتزاعها من يده لئلا تتمزق . تساءل صغير في ضيق : « الن تذهب .. تأخرنا » واقترب اخران . كان احدهما طفلا في الثامنة يقود طفلا في الخامسة اسمه عدنان . سألتهم عن اللعبة التي يودون ان يمارسوها كي ابعد اهتمام احمد عن الرسالة فيضطر لاعادتها الي .

« سنلعب اليوم حرامية وابطال وسنلعب ايضا لعبة الشنوق . » شعرت بضيق بالغ وبسخط يفور في اعماقي . واحمد لا ينفك يسأل في فضول عجيب « شوفيها » ؟ ولم يكن بد من الاجابة هذه المرة . «منديل حريري. امي ستبعثه الى اخيها في البرازيل » . اجاب ضاحكا : « منديل ... ولماذا منديل .. المناديل كثيرة في البرازيل » . كدت اصرخ في وجهه « انه تذكار عزيز ايها الغبي » لكنني لم انبس بكلمة . حرت في امري . هل اضربه وانتزع منه الرسالة ام انفجر بالبكاء ؟ اوشكت ان افضي له بالسر .. « ان في الرسالة نقودا » لكني انفجرت فيه صارخا «انه تذكار عزيز ايها الغبي » اجبت « هذا حسن .. ليس من عادتك الفهم » كاد صوتي يلتصق بحلقي والرسالة تكاد تقع من يده . مرت لحظات خلتها دهرا .. تحركت يده بعدها بلا مبالاة بالرسالة . اعطاني اياها وهو يضحك فانطلقت الى مركز البريد كرصاصة خرجت توا من بندقية صيد .

اسرعت الى شباك البريد واشتريت الطوابع والصقتها على الرسالة ونقدت الموظف ثمنها واستلمت منه ايصالا ثم اسرعت اركض كنعامة

لادرك رفاقي .

ادركتهم قبل ان يصلوا الى النهر . كانوا يلفون حول حديقة « ابو مارون » وخطر لي خاطر اعلنته عليهم فورا . قلت « دعونا من اللعب اليوم . لم لا نستأذن ابو مارون في قطف اكواز الصنوبر ؟ » تعجب واحد منهم وتطلع الي كانه اشتبه بجاسوس . ادركت ما يبغيه فواجهته بنظرتي البريئة ، التي اقنعته بانه مخطيء وما تمالكت نفسي . كنت اود ان اضحك واضحك واقول له انه غبي و « اخوت » لكني لم اقل شيئا ولما راعه هدوئي قال : «يلا .. سنرجع » .

صعدنا الى الطريق العام واقتربنا من عرائش العنب ، ثم اجتزنا طريقا طويلا قبل ان نصل الى الشارع. لعبنا : «ابطال وحرامية» شاركنا الصغير عدنان باللعب بعض الوقت ووقع عليه الاختيار ان يمثل دور المشنوق . تحول رفاقي فجأة الى وحوش ضارية . اتى واحد بحبل وراح اخرون يدفعون الصبي « يلا .. يلا .. ما في شيء . خلصنا » كان هناك اشجار عديدة تين وتوت وغيرها . اشار واحد منهم الى شجرة تين كبيرة وقلت لنفسي « لا .. لا .. اي شجرة اخرى غير التين » ولا ادري كيف فاجأتهم بهدوء «لا تقتربوا من اشجار التين سيرانا اصحابها» واجابوا: «اشجارالتين هنا لا يملكها احد » فقلت باعتداد : « لا .. لا اشجار التين مالكوهـا كثيرون ، لا بدان يكون لهذه الاشجار مالك » فانحدروا الى شجـرة التوت التي نبتت في المنحدر قرب ضفة النهر . لم يكن في النهر ماء ، بل بعض النباتات والوحل .

تناقشوا طويلا . اقترح واحد ان يربطوا الحبل بغصن عال . ظن المجانين ان الصغير لن يقاوم وسيصعد كالحمل الوديع الى الشجـرة ليربطوا في عنقه الحبل . كان الامر مجرد تمثيل . سيصعد الطفـل الشجرة . فيهلل الباقون ويصرخون صرخات الهنودالمرعبة.ابتعدت عنهم. كانت الشمس قد توسطت السماء واخذت اشعتها تتسلل الينا من بين الاغصان ، محرقة . سمعت صوت الحمائم تنوح وهي تطير فوقنا . تنوح بحزن ويأس . تطلعت الى السماء . الى الحمائم . انتبه احمـد الي وقد ادرك اني اريد الهرب فصرخ يطلب مساعدتي « انت .. تعال ساعدني » . تجاهلت سؤاله . جعلت اتمتم « الحمائم تنوح ... الـم تسمعها » . لعله حار في امري ، هل انا مجنون ام متظاهر بالجنون . فقد رماني بنظرة تعجب وادار ظهره غير مبال . ورفعت من صوتي لاقنعه باني لا ازال ارقب ولافكر مرة اخرى بالهرب . لكني لم افعل . ابتدأ اهتمامي يتحول الى الصغير وقد اخذه الرعب والفرح معا .

كان الرفاق ما زالوا يتناقشون . رافعين اصابعهم الى غصن يعلو حوالي مترين عن الارض ، وابدى عدنان ضيقه وانقلب فرحه الى رعب قاتل وصاح يطلب منهم ان يتركوه .

حملوه فجاة بين ايديهم وتلقاه واحد منهم كان قد اعتلى الشجرة . كان لا يزال يصرخ . اعلن احمد عجزه عن ربط العقدة . قال ان الحبل غير صالح وطفق يشرح صعوبات تنفيذ « اللعبة » قائلا : ان الغصن لا يتحمل .

مضت لحظات طويلة . كان الغصن غير عال لكن اصوات الرفاق كانت خافتة تنبعث من قمة جبل .. بينما بكاء الحمائم الرفافة يعلو .. ويعلو . اشد حزنا واعمق كآبة . تطلعت الى الرفاق . لم استطع منع نفسـي من النظر . لم ار شيئا ، رأيت وجوههم تضحك مكشرة . هل تمـت « اللعبة » ام انها تبدأ الان ؟ لاريب انها انتهت . فقد صفق الجميع وهم يرونرقبة الصغير تحيطها عقدة الحبل وامامه احمد يقف كجلاد حقيقي . ادرت وجهي وانحنيت التقط عصا صغيرة جعلت اهش بهـا على الحشائش الجافة . وفجاة اطلق الجميع صيحات الرعب . فقـد زلت قدم الصغير ولم يستطيع احمد ان يمسك بيده. اخذت العقدة تضيق حول عنقه وهو يصيح ويلوح « آه .. آه .. » .

بتلك القوة التي تمـكن قطة صغيرة من الافلات من بين عجـلات سيارة مجنونة قاوم الطفل لحظات وهو يحرك رقبته الى اليمين والـى اليسار . ثم همدت حركته . لم يعد طفلا . خمدت شعلة حياته . اصبح جثة معلقة ككيس من نخالة . تحول وجهه الملائكي الى وجه وحش بشع. ابتسامته اتسعت. اتسعت وكأنه ادرك اخيرا ما غابعنه طيلة حياتهالقصيرة

هرب الجميع . جعلت اهش بعصاي على الاعشاب الجافة بسرعة اكثر وابتعدت . مشيت الى حديقة ابو مارون ثم وقفت . كان الصمت يبتلع كل شيء . اخذت ارمي احجارا صغيرة وارقبها وهي تنحدر الى الوادي وازيزها يتناهى الى سمعي .

توقفت عند ساقية صغيرة وخلعت حذائي . لسعتني برودة الماء . لم اعد احس بقدمي ، كان قدمي مقطوعتان . غاصت رجلاي في الماء الـى الفخذ . لم اعد احس بهما ابدا ، كان ليس لجسدي علاقة بهما . وقفت طويلا في الماء مدعيا البحث عن شيء ضائع . لكني كنت افكر . حاولت ان افهم سبب اصرار الرفاق « الملاعين » على اختيار هذه اللعبـة دون غيرها . جعلت اسائل نفسي لم اشتركت معهم ؟ لم كذبت عليهم ؟ لو لم اكذب لوجدت الشجاعة الكافية لمواجهة اغرائهم . هل ذهبت معهم لابحث عن شيء لاوكد وجود شيء ؟ قلت لنفسي « من البلاهة ان تحاول تبرير ما فعلت .. وانتنتحل اعذارا اقبح من الذنوب . »

انتظرت حتى الظهر كي اقنع اهلي انني عائد توا من المدرسة . شاغلت نفسي بالصغير . رأيت ابا حليم وابنه يمشيان وراء بغل محمل بالحطب. ومضى ذهني في الحال : هل رآنا يا ترى . سينقل الخبر الى الجميع . لكني لم اهتم .رفعت رجلي من الوحل واخذت اجففهما ، لم استطع ان البس جواربي . اكتفيت بلبس الحذاء . كانت ذرات التراب تنفـرز ما

بين اصابع-قدمي فتؤلمني . اجتزت حديقة ابو مارون واتجهت نحو البيت .

قلت لنفسي وانا متجه الى البيت سأضع كتبي في هدوء ولن اتكلم وكأن لم يحدث شيء . لكن ما ان وطئت عتبة البيت حتى تناسيت ما وطدت نفسي عليه فناديت امي طالبا اعداد الطعام ، صارخا « انا جوعان » لم يجب احد .. هدوء عميق يغمر كل شيء . دخلت المطبخ . لم يكن هناك من احد . كان السكان غادروا الدار وهجروها . بحثت عن امي . خرجت الى المصطبة ، ثم رجعت . سمعت اصداء حديث خافت يتناهى من غرفة النوم . تنصت . كان ابي يذرع الغرفة روحة وجيئة. ثم فتح الباب فجاة ، وبرز وجها ابي وامي . انطلق ابي نحوي كرصاصة خرجت توا من بندقية صيد ، او كقطار يهبط واديا ، بينما وقفت امي مستندة الى « حاجب » الباب، وهي ترفع يدها الى راسها كأنها تجفف دموعا . لم ينبس بكلمة . رفع يده وصفعني على وجهي صفعة شديدة كان لها في اذني وقع الصاعقة . لم توجعني صفعته . صوت الصفعة رن حتى ارتسمت الاصابع القاسية تحفر خطوطا حمراء وردية . اعتصرتني دوامة هائلة . لم اعد احس بشيء ، كان وعيي بالحياة تجمد حتى ظننت نفسي ميتا ، وما انا بميت . لحظة واحدة عاد الي الوعي . كانت اليدان السوداوان .. اليدان القاسيتان تتأهبان لصفعة اخرى اشد واقسى . احسست ان الصفعة قد كسرت فقرات الرقبة . ولذلك .. لا استطيع التنفس . لا ادري كم لحظة مرت علي وانا على هذه الحال ولا اذكر كيف نقلت رجليَّ الى الغرفة ثم ارتميت على السرير . شيء وحيد اذكره . انني شممت رائحة عطر نفاذه ردتني ثانية الى الوعي. يا لله قصصت شعري عند الحلاق منذ يومين والرائحة ما تزال . اشتنشقت الرائحة بقوة . ورحت استعيد نفسي . بدأت ابكي . اجهشت والحشرجة تخنق حلقي . لم ابك هكذا منذ زمن طويل . بدأت اتذكر كل شيء في وضوح. رايت ابي مرة ثانية فأحكمت الغطاء حول راسي وانا اجهش بصمت ثم استسلمت لنوم عميق . ولما افقت كانت الشمس قد قاربت الغروب . رفعت راسي قليلا نحو النافذة : خيوط وردية تحتضن غيوم الافق . ارهفت اذني علني اسمع شيئا لكن الصمت كان يبتلع كل شيء . تنصت لاصداء خطوات ، تتنقل بخفة على البلاط . ثم فتح باب الغرفة . كانت امي بوجهها الرقيق تحمل كوبا من الحليب . دفنت راسي بالوسادة متظاهرا بالنوم . لكزتني امي وهي تقول « يلا .. قم يا حبيبي .. بعدك زعلان » . جلست على طرف السرير وهي تمد يدها بكوب الحليب . ثم رجوتها ان تعفيني من شرب الباقي . لكنها اصرت فاضطررت ان افرغ الكوب في جوفي كله دفعة واحدة . كان لذيذا حلو المذاق .

دفعتني امي للنهوض وهي تقول « ابوك مش بالبيت .. لا تخاف .. ما في احد » . نهضت من السرير وخرجت الى المصطبة وجلست في مكاني المعتاد على دكة صغيرة . كان الهدوء عميقا لكني استطعت ان اتبين اصداء رنين الاجراس المتلاشية ، خافتة ، حزينة ، واهنة . لم ار الابقار وسط هالة الافق الواسعة كما كنت ارقبها كل يوم ، ظلالا سوداء ينبعث خوارها من بعيد ثم يغيب مع الافق . اقتربت من ثم الابقار فانفرج المشهد عن القطيع كله ، وعلا ترجيع الاجراس المعلقة في رقاب الابقار والماعز العائدة الى الحظائر . اقتربت ساعة الغروب والاضواء البرتقالية تموت في غيوم رمادية كثيفة . ثم تهرب نحيلة في كل الاتجاهات . كان ثمة ارتعاشة في الافق كارتعاشة الطائر الذبيح . الارتعاشة تتمشى في كل الغيوم فتنبض فيها الحركة وتتفرق مع الشعاعات الراحلة شرقا وشمالا وجنوبا . انها الانطلاقة الرائعة .. القوة الديناميكية تتفجر حاملة النور الوردي السابح في الفضاء كبجع فوق بحيرة هادئة . تنصت الى الاصوات ولم اسمع الا الصمت . وقد امتصه رجع الاصداء المتلاشية التي تخلفت كنقط عطر باقية . رفعت يدي وشبكتهما حول عنقي . وانا افكر مستعيدا كل شيء احسست بطعم مر بين شفتي . كان جرحا صغيرا يندفق منه دم قليل . لم احس بمذاق الدم فقط ، وانما بطعم صاف كمذاق ماء المطر . بقوة جديدة تغمر جسدي وكأنها تتجمع لتعيد البناء وتهدهد القلب .

هل كنت افكر طيلة هذا الوقت ؟ كيف اجتزت الشوارع ووصلت الى البيت ، وجلست في مكاني المعتاد على المصطبة ؟ لا ادري . كل ما ادريه ان تلك اللحظة فجرت في قوة عجيبة . جعلتني انتفض واسير كالحالم . اللحظة التي هوت فيها اليدان القاسيتان على الوجه الغض. اللحظة التي تفجرت فيها خيوط النور البرتقالية من شمس الغروب . اللحظة التي تفهمت فيها الالم والطعم الذي يتركه المطر عندما يغسل الارض .

العام السابع عشر ... عيد ميلادي . يمضي بلا شموع ولا قبلات . لا .. شموع كثيرة اضاءتها في قلبي اللحظة التي سطعت فيها الشمس فاحرقت عيني .. اللحظة التي سمعت فيها نواح الحمائم .. اللحظة التي اضاءت شموعها قلبي.. فعلمتني ان الالم والكفاح هما الحقيقتان الخالدتان في هذا الوجود .

سمير تنير



اللقاء الملون

« مهداة للشاعر الكبير المجدد : بدر شاكر السياب ، اعجابا وتقديرا . »

ماذا يفيد كل هذا العناء . وانت عيناك ، مساء مساء
لا دفء يا صديقتي .. فيهما سفينتان تحملان الشتاء
انا على الشاطىء ... يا جارتي مدى لي المرساة فالخصب جاء

★

لولاك ما معنى حياتي ، بلا لون ، بلا معنى ، بدون ارتواء
يقتلني الغباء ... لكنني احب ان انسج حولي الغباء
يا انت لي ، ليس الذي بيننا شيء يسميه الهوى .. كبرياء
فالحب ان تضحك عيناك لي على المدى .. لا تعرفان .. انطفاء

★

احلم يا صديقتي ... اننا معا نسير .. في دموع الشتاء
فالشارع الطويل .. يشتاقنا اغنية ، يحلم فيها الغناء
خصلة شعر في يدي تحتمي وخصلة يعبث فيها الهواء
والمطر المجنون ، لا يرتوي يريد ان يغسل كل الرداء ..
حديثنا ... ثرثرة حلوة عن حبنا ، وعن هوى الاصدقاء
انت معي .. فكل شيء معي اريد ان افرح .. حتى العياء
اشعر ان في الحياة التي اعيشها .. غدا كثير العطاء
فكل اعصابي حنين الى سعادة يخصب فيها الرجاء
تلون المساء والليل في عينيك .. فجرا رائعا بالضياء

★

يا ليتني .. احمل عينيك في قلبي معي .. لقد بكيت اشتهاء
غدا دمشق تشتهي حبنا فكل درب ... دعوة للقاء

دمشق محمد المصري

مكيدة في غزة !

تمثيلية اذاعية

بقلم جان الكسان

(الاشخاص : الراوية - عمرو بن العاص - العلج - الجندي .)

الراوية : خرج العرب من جزيرتهم يفتحون الامصار .. وحمل عمرو بن العاص برجاله ففتح قيسارية، ثم سار حتى نزل غزة .. وكان (العلج) حاكم غزة احمق ماكرا ... فارسل كتابا الى عمرو بن العاص ، وكان هذا الاخير في خيمته عندما دخل عليه احد الجنود يحمل الكتاب ...

(موسيقى خفيفة)

عمرو : ماذا وراءك ؟.

الجندي : رسالة من حاكم غزة ارسلها مع احد جنوده .

عمرو : وهل ينتظر الجندي الجواب ؟..

الجندي : لقد سلمنا الرسالة وعاد للتو ..

عمرو: حسنا .. هات الرسالة

(صوت فتح الرسالة)

صوت العلج : من العلج حاكم غزة الى عمرو بن العاص قائد جيش المسلمين : ابعث الي برجل من اصحابك اكلمه.

الراوية : وفكر عمرو في الامر قليلا ، ثم قال يخاطب نفسه :

عمرو : هذا العلج يريد واحدا من رجالي يمتحنه ... وما لهذا احد غيري ..

الراوية : وخرج عمرو بن العاص متنكرا بهيئة رسول الى غزة لمقابلة العلج

(موسيقى خفيفة)

عمرو : السلام على حاكم غزة ..

العلج : انت رسول عمرو بن العاص ؟.

عمرو : نعم ..

العلج : ماذا جئتم تبغون في هذه البلاد ؟ .

عمرو : جئنا نحارب باسم الله في سبيل الله ..

العلج : وكيف فتحتم قيسارية ؟!.

عمرو : فتحناها باذن الله ..

العلج : ما هذه الثقة البالغة بالقدرة الا مكابرة يا هذا .

عمرو : ما كان الايمان بالله في سبيل الحق مكابرة .. نحن قوم نحب الموت كما يحب اعداؤنا الحياة .. ونصرنا من عند الله ..

العلج : اراك بليغا ، فهل انت شجاع ؟.

عمرو : قلبي يقول هذا سيفي ..

العلج : هل لك ان تقول لي ما هي الحرب ؟.

عمرو : الحرب رحى ، ثفالها الصبر ، وقطبها المكر ، ومدارها الاجتهاد ، وثقافها الاناة ، وزمامها الحذر .

العلج : وما نتائجها ؟..

عمرو : ثمار نتائجها معروفة. فثمرة المكر الظفر احيانا، وثمرة الصبر التأييد ، وثمرة الاجتهاد التوفيق ، وثمرة الاناة اليمن ، وثمرة الحذر السلامة ..

العلج : ما رأيك في حربنا معكم ؟.

عمرو : لكل مقام مقال ولكل زمن رجال ، والحرب بيننا سجال .

العلج : اي المكائد في الحرب احزم ؟.

عمرو : اذكاء العيون ، وافشاء الغلبة ، واستطلاع الاخبار ، واظهار السرور ، وامانة الفرق ، والاحتراس من المكائد الباطنة ...

العلج : لماذا تفشي طريقتكم في الحرب ..

عمرو : لان نصرنا من الله ..

العلج : وما وصايا امرائكم الى قائد الحرب ؟..

عمرو : يقولون له : سر على بركة الله .. فاذا دخلت ارض العدو فكن بعيدا عن الحملة ، فاني لا آمن عليك الجولة ، واستظهر بالزاد ، وسر بالادلاء .. ولا تقاتل فان بعضه ليس منه

العلج : ومن هو افضل الرجال ؟.

عمرو : يقولون ان افضل الرجال من تواضع عن رفعة وزهد عن قدرة وانصف عن قوة ..

العلج : وهل انتم مطمئنون الى الظفر ؟ ..

عمرو : نحن نتدبر الحرب حتى الظفر ، وقد جمع لنا الله تبارك وتعالى تدبير الحرب في آيتين ،

العلج : وما هما ؟

عمرو : قال تعالى : يا ايها الذين آمنوا ، اذا لقيتم فئة فاثبتوا ، واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون .

وقال : واطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب

ريحكم ، واصبروا ان الله مع الصابرين ..

العلج : اما تخافنا وانت في ايدينا ؟ ..

عمرو : الله مخلف ما اتلف الناس ، والناس متلف ما جمعوا ، وكم من منية علها طلب الحياة ، وحياة سببها التعرض للموت ..

الراوية : فذهب العلج لما سمع كلام عمرو فصاح به متسائلا :

العلج : ويحك .. هل في اصحابك احد مثلك ؟.

عمرو : لا تسل عن هذا .. اني هين عليهم اذ بعثوا بي اليك ، وعرضوني له ولا يدرون ما تصنع بي ..

العلج : (بخبث) لا تخف .. أنت في امان ..

الراوية : وامر العلج بجائزة وكسوة وبعث الى البواب يقول له : اذا مر بك رسول عمرو فاضرب عنقه وخذ ما معه ..

(موسيقى خفيفة)

الراوية : وخرج عمرومن عند العلج فمر برجل من نصارى غسان فعرفه ، فقال له النصراني : يا عمرو قد احسنت الدخول فاحسن الخروج ، ففطن عمرو لما اراده النصراني ورجع الى العلج .

(موسيقى خفيفة)

العلج : ما ردك الينا ؟.

عمرو : نظرت فيما اعطيتني فلم اجد ذلك يسع بني عمي ..

العلج : وماذا تريد الان ؟..

عمرو : اريد ان آتيك بعشرة منهم تعطيهم هذه العطية .

العلج : ولماذا ؟.

عمرو : ليكون معروفك عند عشرة خيرا من ان يكون عند واحد ..

العلج : صدقت .. اعجل بهم ..

الراوية : وبعث العلج الى البواب يقول له : اذا مر بك رسول عمرو فخل سبيله ..

(موسيقى خفيفة)

الراوية : وخرج عمرو من غرفة العلج وهو يلتفت ، حتى اذا امن قال :

عمرو : لا عدت لمثلها ابدا ..

(موسيقى خفيفة)

الراوية : وامتدت الحرب سجالا بين الفريقين ، حتى اضطر علج غزة لطلب الصلح فصالحه عمرو بن العاص ... ولما دخل عليه العلج دهش وقال :

العلج : انت هو ؟ ..

عمرو : اجل .. على ما كان من غدرك .

(موسيقى ـ ختام)

دمشق — جان الكسان

مُناقشات

بين شاعر وشاعرة

كتبت الشاعرة الانسة نازك الملائكة بيانا بعدد فبراير من الاداب حول قصيدتها « لنفترق » وقصيدة الاستاذ ابراهيم العريض جوابا عليها بعنوان (ولكن لماذا) وكان جميلا ان تعنى الشاعرة بحقائق التاريخ ، وهذا هو الذي يدفعني الى كتابة شيء من التوضيح حول القصيدتين :

١ ـ لو تتبعنا ديوان ـ شموع ـ لوجدنا الاستاذ ابراهيم العريض قد نحا نحوا جديدا وهو معارضته للشعر الحديث كشأن غيره في معارضة الشعر القديم فمثلما كتب على اليتيمة « من ادبنا القديم » ونظم ابياتا على مجرى اليتيمة وضمنها في قصة ، اختار قصة الانسة نازك المشار اليها لتكون مثالا للشعر الحديث وتلك منزلة كبرى اختارها الاستاذ ابراهيم العريض للشاعرة العربية . فلا غرابة هنا في ان يعقب الاستاذ بعد ان اختار من قديمنا وحديثنا لاجل هذا الغرض .

٢ ـ ربما تعترض الانسة الشاعرة على كلمة «رسالة» ولماذا صدر بها الشاعر قصيدته.وما دام الاستاذ العريض قد جمع بين قصيدة نازك وقصيدته فلا بد من ان يكون لها عنوان موحد ، أليس القصد من قصيدة نازك ان تكون بمثابة رسالةالىشخص ربما كان خياليا ولكن الاستاذ العريض استدرك ما يثيره هذا العنوان فوضع علامة استفهام دليلا على انه يتساءل لمن هذه الرسالة ولو افترضنا انها له او لغيره لما كان هناك داع لوضع علامة استفهام والجدير بالذكر انه وضع العلامة حتى في الفهرست .

٣ ـ احب ان الفت نظر القراء الى ان القصيدة هذه قد نشرت عام ١٩٥٢ بمجلة الاديب ـ عدد فبراير ـ ولم يجب عليها الاستاذ العريض فحسب فقد نشرت الاديب قصيدة بعدد مارس ١٩٥٢ للشاعر انور الجندي وهناك شاعران اخران حاما على الموضوع فاهدى احدهما قصيدته المنشورة الى (ن) بعدد ابريل وهي تحمل ردا على الافتراق وشاعر اخر بعدد مارس اهدى قصيدته « الى الشاعرة الملهمة الانسة نازك الملائكة » ولم يشر الى القصيدة المعنية هو الشاعر محمد مفتاح القيتوري .

٤ ـ فمن هذه القصائد يمكننا ان تستخلص ان قصيدة الشاعرة قد اثارت عددا من الشعراء بما حوته من معان جديدة واسلوب طريف فعدت من روائع الشعر الحديث وذلك يسوغ لنا ان نقول للحقيقة التاريخية ان الدافع للجميع كان الاعجاب بالشعر الذي ينساب من قيثارة نازك الملائكة .

٥ـ ان ادراج القصيدة بديوان ـ شموع ـ لا يحتاج الى افتراض نيات حسنة او سيئة فالمفهوم ان كل قصيدة يجاب عليها يجب ان تذكر مع القصيدة المستوحاة منها .

وختاما فليس لي الا ان اشكر الانسة نازك على اثارتها هذه الناحية لانها كانت في حاجة الى شيء من التوضيح وارجو ان اكون وفقت في القيام به .

البحرين **عبد الله الطائي**

حول « نقد الشعر »

قرأت نقد الشعر للشاعرة سلمى الخضراء الجيوسي في العدد الماضي وقد علقت الناقدة على قصيدة الشاعر نزار قباني تعليقات تخرج عن مفهوم نقد الشعر المنشور بالمجلة . فلو كان العنوان « نزار قباني ـ وعدوى اسلوبه الشعري » او ما شابه ذلك، لما كان ثمة اي مجال لخط هذه السطور ... لكنني بعد ان اعدت النظر وجدتني غير واهم قط ، وان الموضوع هو نقد القصائد . وهنا تساءلت : « ترى ألم يكن احمد عبد المعطي حجازي حريا بان يحظى بجزء من ستة عشر من الحديث عن القصائد ؟ لقد دعانا بلهفة واخلاص :

يا اصدقائي اقبلوا ..
بابي لكم ، قلبي ادخلوه
تزاحموا من حوله فالبرد يأكل الوجوه

ما كان لنا قط يا اخي عبد المعطي ان نرفض دعوتك الصادقة وما كان لنا ان نحول عيوننا عنك ... العيون التي تقول عنها

عيونكم قيد فمي
عيونكم دقات مسمار يشد في الصليب معصمي

واقسم انني لم اقرأ من قبل عن هول ما يقرأ في العيون كما قرأت هنا.

ولكن مالنا ننسى خليل الحاوي ... انا لم اسمع انه اخذ على نفسه عهدا بان لا يكتب الا رموزا بعيدة غير مباشرة. ما لنا نتجنى عليهونحصركل قيمه لقصيدته « الجزار » بانها اتتنا بتعبيرين ـ اثنين عددا ـ رائعين . ترى هل خانه اداؤه الفني الرائع المعهود هنا ؟

لن نستطيع
ان تسترد النار ، وكر البوم
افرخ في ضمير باع ناره

ها هنا يبرز خليل كما عهدناه بلحمه ودمه ، بتدفقه الدسم العنيف . والنفس الشاعري المتلاحق بدون وقوف من ابرز مميزات شعر خليل الحاوي . من ذا ينكر عليه روعة الصورة التالية :

ولسوف ينبت في عيونك شعر
ارملة تولول

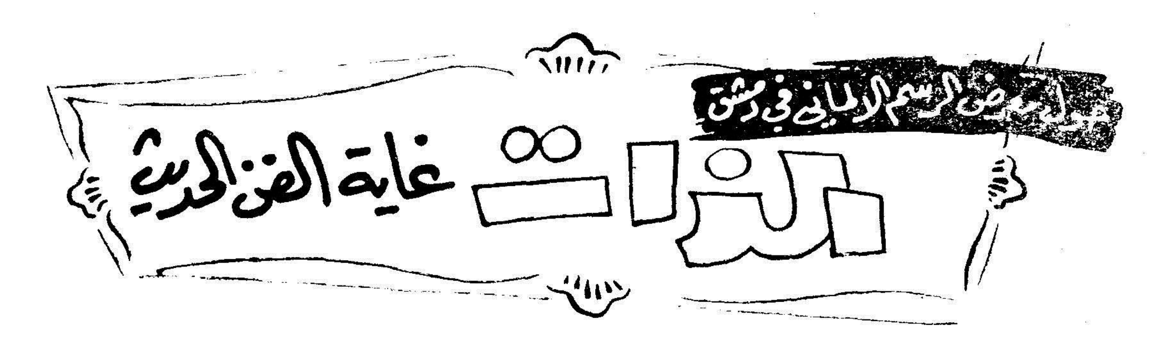
او الصورة الاخرى :

تنمو
وشرشك في جدار المومس
الحبلى بلاهوت ، بأفيون ونار

ها هو خليل يرسم لنا بنفس المهارة (ولو بدون رموز غير مباشرة) صورة لمن باع واشترى بلحم لبنان الصريع ـ صورة منفره كما ارادها له الضمير المعفن ـ والعينان نبت بهما شعر الارملة ـ وشرشه غائص بجدار هذه الحبلى بالافيون ودجل اللاهوت وسعير النار .

هذه لفتة عابرة الى قصيدتين كنت اود لو ان الشاعرة الكبيرة اعطتهما ما مما تستحقان وللآداب وللشاعرة شكري واحترامي .

دمشق **تيسير السبول**



تنفجر القداسة من قدم الانسان في ارض الصين ، والقداسة تستلزم وجود شيء وتصديقه . وهناك صفحة مهترئة من صفحات تاريخ الانسان في تلك البقاع تهيمن عليها القداسة تروى ان احد ملوك الصين احب يوما ان يتمتع برؤية التنين (الدراجون) الخرافي ، فطلب الى فنان مشهور ان يرسم له لوحة تمثل هذا التنين ، واعطاه مهلة سنتين . ولما انقضت هذه المدة الطويلة ، جاء الفنان يحمل لوحته العظيمة . وفوجيء الملك بغرابة اللوحة التي لم تحو الا على مجرد خطوط منطلقة لا معنى لها فقال الملك:

ـ او تسخرمني يا هذا .. وامر بحرق منزله ، وقبل الحرق فتش المنزل فعثر به على عدد كبير من اللوحات العادية التي تمثل التنين واكثرها يرضي الملك بصورها المألوفة .

هذه حكاية قديمة مقدسة تنقل الينا ان الخطوط المنطلقة والاشكال الحرة المجردة احترمها الفنان وعبرت عن نفسه اكثر من الخطوط المقيدة والدراسات الوصيفة المعتمدة على الشكل الظاهري للاشياء ..

ترى لماذا تبنى الفنان الصيني الخطوط المنطلقة وانصرف عن اللوحات الطويلة العريضة التي كان بالامكان ان ترضي السلطان او الملك ؟ وما ماهية هذه الخطوط المنطلقة ؟ الحق ان الجواب على هذا السؤال هو منطق الفن الحديث . ويقول الفنانون التجريديون ان العلاقات اللونية ، وتناسب السطوح ، والتوافق والايقاع ، والسعة ، هي قيم اكثر موضوعية من المظهر الطبيعي العارض للاجسام فهم على هذا يبحثون عن الاجسام نفسها وليس مظاهرها العارضة . ان الفنان الحديث يقوم بالكشف عن الحقائق عند التصوير ، وهذا ما يعنيه بيير ريفيردي عندما يقول (١) :

« ان منطق العمل الفني ، هو تركيبه ، وفي اللحظة التي ترتبط اجزاؤه بعضها ببعض وتتزن ، فان العمل يصبح منطقيا ، وعندما نسأل على اي شيء يدلنا هذا العمل ؟ يدلنا على نفسه . فكل جزء فيه لم يعمل الالذات العمل .»

ذات العمل ، او النفس الداخلية للاشياء هي محتويات اللوحات الحديثة لا الاشكال المكشوفة امام عدسة التصوير الفوتوغرافي . ولقد قذف الفن الحديث بالشكل الميكانيكي الذي كان يهدف الى تمثيله الفن القديم او الفنانون المتطلعون الى تجميد الزمن وتصليب المستقبل في الماضي ، او رفع شأن القدم . لم تعد ميلة الرسام دراسة الابعاد الثلاثة للمنظور ثم نقل المنظور خطا بخط ومساحة بمساحة او بتعبير آخر مهمة الرسام الحديث ان يسجل ما وراء الغشاء السري لا ان ينقل صور المسيح والحواريين ويهوذا . على الفنان ان يلخص ويبسط ، ثم ان يختار ويؤكد وهذه مهمة تتصل بالعلم كل الصلة ، وهي مع اتصالها بالعلم هذه الصلة الوثيقة ، تتيح لكل فنان ان يكون حرا عند التعبير ، وهذا هو السبب في اننا نرى لكل فنان اتجاها خاصا به ، ونرى تعدد المدارس الفنية في السبعين سنة الاخيرة تعددا لم يعرفه تاريخ الرسم من قبل .

كل الاعتراضات التي قامت بوجه الفن المجرد ، انما هي من قبل التمسك بالمألوف والركون الى المتعارف عليه العناد . والابتعاد عن ارتياد عوالم فنية جديدة ، يؤمن بها شباب آمنوا بالحقيقة العلمية وبالجمال المطلق .

تقييم الفن الحديث ورؤيته ليسا اكثر من رحلة تذوق يقوم بها المشاهد مقتفيا بها فرضيات الفنان المنتج في تحليله وتركيبه لخلق الجمال المطلق في المنظور الاصلي . وبذلك اما ان يفهم المشاهد كل شيء واما ان لا يفهم شيئا . والصعوبة والسهولة في القدرة على تفسير معاني الفنان . المطلق هنا يتحدث عن طريق فهم الفنان وادراكه . ونصل بذلك الى : انا المنظور والمنظور انا فاذا ادركته ادركتني واذا ادركتني ادركته

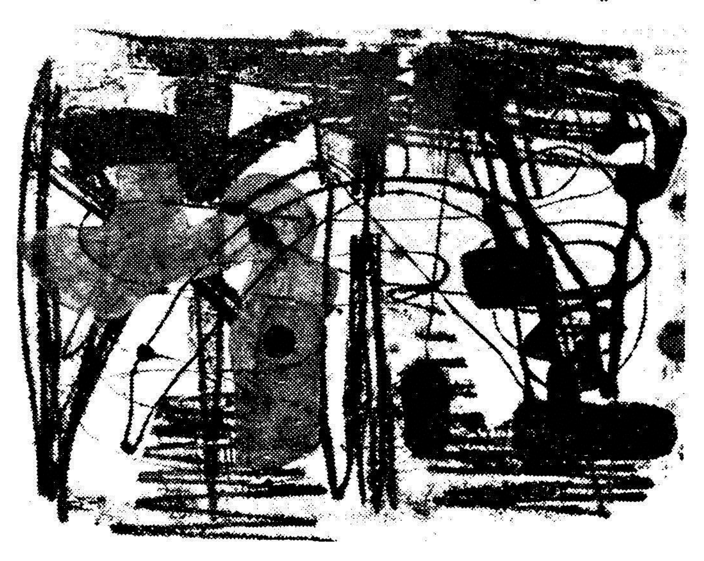
بعد هذا فليعذرني القراء اذا لم اقدم لهم وصفا كالذي اعتادوا عليه في تقارير المعارض الفنية الكلاسية ، لان الفنان الالماني في هذا المعرض يلح في تأكيد البعد عن الكلام وفي تعبير الفن المجرد بالفن المجرد وهناك الكثير من اللوحات تسمى كما يلي :

(٥٧/د – ٢١) – (٥٧/ ٣٥) او

(س.و.ك١-٥٧) – (س.ج.ك ٣ – ٥٧)

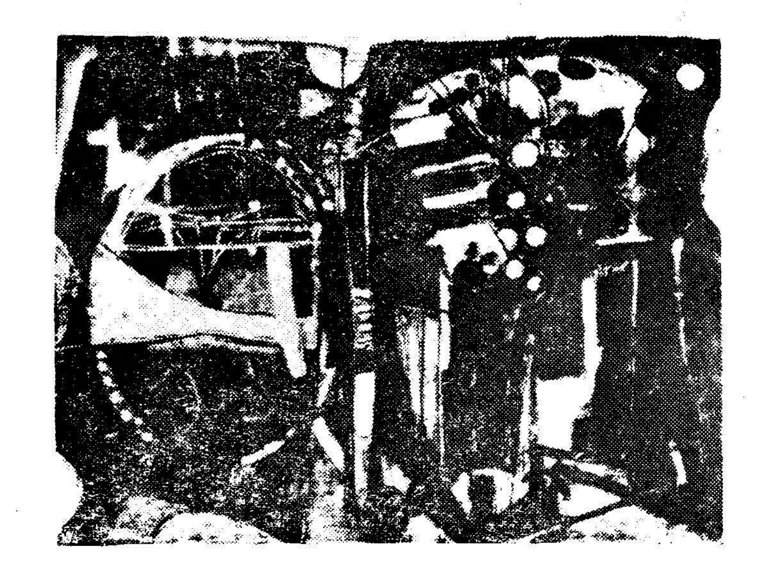
صورة بالاحمر – صورة بالاصفر

اذن فسأبتعد وسعي عن الاصطلاحات القديمة وعن التأشير بالعصا واكتفي هنا ببعض الملاحظات العامة حول هذا المعرض الفريد من نوعه



خطوط منطلقة – لفريتس فينتر

(١) Sam Hunter, Modern French Painting, P. 155.



بيض البوم ـ لجوزيف فاسيندر

الذي لا يقوم على لوحات جدارية ، وطبقات من الالوان الزيتية وانما على اساس اللوحات الصغيرةوالصالحة لصالات العرض المحدودة الاتساع . واكثر اللوحات مرسوم بالالوان المائية او بطبقة من الجواش ولا يستعمل الزيت الا نادرا ويـواكب احيـانا بالالوان المائية كماهي الحـال عند فريد تيلر .

ولا شك ان الاساليب المميزة لاكثر الفنانين العارضين هي اول ما يقلبنا وكثير من العارضين اساتذة في المدارس العليا لتدريس الرسم في المانيا او فنانون مشهورون من المجلس الاستشاري للفنون من امثال ارنست فيلهلم ناي و جورج مايسترمان و جيرهاردماركس وغيرهم .

وهناك فنانون لا يقومون باعمال كبيرة وانما يرسمون فقط من امثال اميل شوماخر وفريد تيلر . وبين العارضين فنانون لهم خبرة في غير هذا النوع من الرسم من امثال النحاتين المعروفين باول ديركه و برنهارد هايلتجر والحفار على الخشب جورج مايسترمان وهؤلاء الفنانون استفادوا من خبراتهم السابقة ولذلك نجد فكرة التجسيم في اعمالهم . والى جانب هؤلاء نجد فنانين تنبع لوحاتهم من العقل الباطن مباشرة وتستمد المرئيات كيانها من الاحساس الداخلي فقط مثل اميل شوماخر و رولف كافايل .

اما عن المواضيع فهي تمتاز بالتوزيع والاختلاف حسب تفكير الرسام فالى جانب الاله بان اله الرعي والحقول من رسم جريزهابر نجد فنانة مثل ماريانا جوريش لا يهمها غير الرماد (رماد ملتهب ـ رماد بارد)

وهناك لوحات ذات مواضيع رومنسية مثل (اعراس الليل على البحيرة) حيث اعتمد هينتس تروكس على اللعب بالالوان وخلق الهارموني اللوني بالاشكال الموزعة في وسط اسود . وهناك لوحات لم تهتم بالموضوع مطلقا وانما هي اشبه بمسودات فنان يتسلى (لوحات رولف كافايل كلها) وهناك فنانون استخدموا الصور المسرحية للتعبير عما في انفسهم وهذا الفنان (هـ . ا . ب . جريز هابر) يمثل في لوحة المساء المحفورة على الخشب حبيبا ينادي حبيبته وقد مد ذراعه وهو موزع بين اللون الاحمر القانم وبين الاسود العاتم والحبيبة تظهر في طرف اللوحة الايمن وهي مرسومة باللون الاسود وتسد اللوحة وهي تسد اللوحة من الاسفل الى الاعلى دلالة على سيطرة المساء بعد حين .

واعتمد بعض الفنانين على فهمهم للالوان وحساسيتهم بها فنقلوا الطبيعة من هذه الزاوية ، وانا اعتقد ان ماكس كادس المدرس بمدرسة الفنـون الجميلة العليا ببرلين واحد من بين الفنانين الكبار الذين يدركون استعمال الالوان للتعبير وفي لوحته (منظر طبيعي على الشاطيء) حيث استعمل اللون الاصفر الليموني ـ والازرق السماوي والاخضر الخفيف لتصوير جمال الشاطيء وقدوفق في لوحته الشاطيء الاحمر بوضع الالوان الى جانب بعضها دون ان يشعرنا بالتنافر .

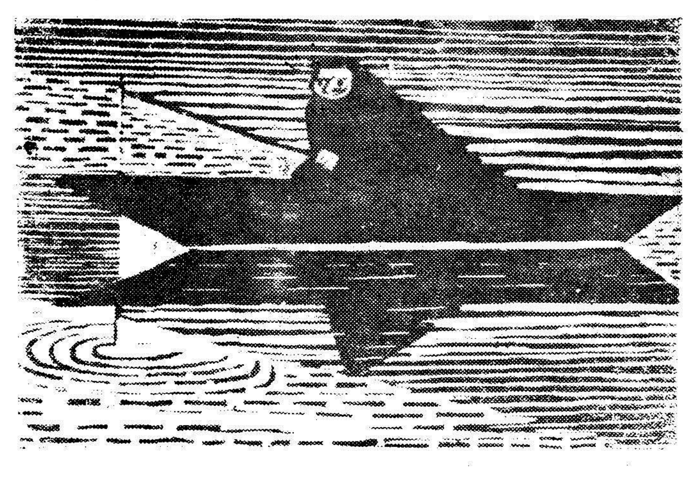
واستطاع رودلف كوجلر في لوحته « جزء من معبد » ان يقدم لنا لوحة رائعة عن الاثار الفرعونية وهو يستعمل البني والاسود الخفيف والابيض الشاحب بنسب لها تعابير مختلفة منها لنقل الزمن ومنها لتمثيل الماضي واستطاع برسم الاهرامات المتباعدة في اعلى اللوحة ان يمثل الزمـن الذي مر على هذه الاثار . كما استطاع هاينتس تروكس في لوحته (اضواء باهتة) ولوحته (ثقوب الارض وثقوب الهواء) ان يقدم مزجا للالوان فيه تعبير كثير . ولا ننسى قدرة جورج مايسترمان في التحليل والتركيب لتفسير المنظور من اكثر من زاوية وبصورة خاصة في لوحته (شجرة) حيث اعتمد على القطاعات المختلفة وعلى التوازن في فن النحت لتمثيل الثقـل .

وهناك بعض الفنانين من المشتغلين بالحفر على الخشب والمعدن اهتموا بتوزيع النور واستفادوا منه كثيرا ولكن النور هنا ليس نفس النور والظلال التي كان يعتمد عليها الفنانون الانطباعيون الذين استفادوا من تحليل الضوء .. ومن نور عدسة التصوير . النور هنا نور من نوع خاص ينبع من فهم الفنان وغايته من لوحته فهو في لوحة صياد السمك من الصيد نفسه وينبعث من داخل البحر الى وجه الصياد المتحفز ويتناثر بعدها في بقية اللوحة . وهذه اللوحة من اعمال (جيرهارد ماركس) وله لوحةثانية حفر على الخشب ايضا تمثل ثورا منهزما وقد غمد الخنجر في نحره وهو يئن الما وقد مثل وجهه بالابيض عدا الجبهة التي يتداخل الابيض بالاسود فيها ، ويوزع النور هنا على اساس التقابل من الزوايا .

والمعرض حديث بالمعنى الصحيح للحداثة واقدم لوحة لا تعود الى اكثر من ١٩٤٥ ووسائل الرسم حديثة كالوان الماء والجواش والطبع على محفورات نحاسية وخشبية واحجار لبتوغرافية .

هذه هي بعض الملاحظات العابرة على المعرض الالماني الذي يؤكد فكرة حرية الفنان وحريته في كل شيء للوصول الى الجمال والجمال المطلق ، وهو يطرح فكرة السيطرة والاصالة النابعة من الداخل من ذات الفنان واعماقه . هذا هو الفن الذي يكشف ذات المنظور الداخلية باضـواء العقل الباطن والاحساس الجمالي .

دمشق **عبد العزيز علون**



صياد السمك ـ لجيرهارد ماركس

النشاط الثقافي في الغرب

انكلترا

قضية « لوليتا »

تشغل قضية « لوليتا » في هذه الايام الراي العام البريطاني كله . ومعلوم ان « لوليتا » هو عنوان رواية للكاتب الروسي فلاديمير نوبوكوف المقيم في الولايات المتحدة . وكانت هذه الرواية اروج كتاب صدر في اميركا بالعام الماضي وبيعت منه ملايين النسخ . وهو يروي قصة علاقة غرامية بين رجل في الخمسين من عمره وفتاة صغيرة لا تتجاوز الحادية عشرة ، وقد وصف الكتاب بانه ماجن داعر ومنع تداوله في كثير من بلدان العالم .

وقد عرضت حقوق طبع الكتاب على عدة ناشرين في انكلترا ، فترددوا جميعا في قبول نشره لان القانون صارم فيما يخص الكتب المكشوفة ، ومن الممكن لناشر يخالف هذا القانون ان يفضي الى السجن .

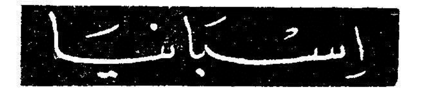
ولكن دار « ويدانفلت » قررت اخيرا ان تخوض المغامرة ، فاعلنت عن نشر الكتاب قريبا دون ان تحدد الموعد الدقيق . وهنا ثارت ضجة كبيرة في الصحف ، لعلها اكبر ضجة ادبية ثارت في بريطانيا منذسنوات . وقد وافق معظم النقاد على وجهة النظر الاميركية المؤيدة لنشر الكتاب ولكن عددا من النقاد قاموا بحملة عنيفة في بعض الصحف واجمعوا على ان الكتاب ليس الا رواية فاجرة .

وليس هناك من يعرف رد الفعل الحكومي ، وان كان يخشى ان يضطر وزير الداخلية ، بتلر ، الى ملاحقة دار « ويدانفلت » تحت ضغط الطبقة المحافظة في انكلترا . وقد وصفت جريدة « الصنداي اكسبرس » الكتاب بانه قطعة من ادعر القطع الادبية واكثرها فجورا » وقال كنغسلي مارتن مدير مجلة « نيوستيتسمان » ، « قلت لنفسي حين فرغت من قراءة « لوليتا » : لو كنت جورج ويدانفلت لما نشرت الكتاب » .. ولعل اطرف نبأ في هذا الموضوع جاء من مدينة بورجوازية صغيرة اسمها « تانبريدج ويلز » من مقاطعة « كانت » . فقد اعلن مدير المكتبة البلدية في هذه المدينة بان رواية « لوليتا » موجودة في مكتبته منذ سنتين ، وان الاقبال على قراءتها كان ضعيفا جدا !

والجدير بالذكر ان هذه الرواية لم يسمح لها بعد بالصدور بالفرنسية في .. العاصمة الحمراء ، باريس !

رواية غرين الجديدة

صدر اخيرا في لندن كتاب هام يعتبر من اهم كتب الموسم لهذا العام، وهو رواية جديدة للكاتب الشهير غراهام غرين وعنوانها «ممثلنا في هافانا» Our Man in Havana وفيها يروي قصة وكيل شركة يصبح بطريق الخطا مديرا للاستخبارات السرية في كوبا . والجميع يتساءلون في لندن عما اذا كانت القصة واقعية ام انها من الخيال .



اسبانيا

روائي الانسان الاسباني

يجمع الروائيون الاسبانيون الشباب على ان كاميليو جوزيه سيلا C.J. Cela قد استطاع ان يجتاز بالرواية الاسبانية مرحلة حاسمة من تاريخها الحديث . وهذا راي كثير من النقاد الاسبان ايضا وعلى رأسهم « كاستيليه » الذي يرى ان الادب الاسباني كان يلمع باشرافه خاصة حوالي عام ١٩٣٠ مع اورتيغا اي غاسيه واوناموno وغاريسياليكا وماشادو ، وحين قامت الحرب الاهلية افضت الى ليل فكري كامل . وقد اختفى لوركا واوناموno عام ١٩٣٦ ومات ماشادو عام ١٩٣٩ ، وسلك البعض الاخر طريق المنفى ، ولم يبق في البلاد العربية اي اديب او مفكر ناضج . وانطوى الكتاب الاسبانيون بعد ذلك على نفوسهم وفقدوا كل اتصال لهم بالخارج ، ومن كتب منهم كان تقليديا جدا في كتابته .



وفي عام ١٩٤٢ ظهرت رواية « اسرة باسكال ديوارت » لكاميلو جوزيه سيلا ، فكان لها صدى كبير بالنسبة لجدتها . وفيها يكتشف القارىء جوا جديدا ينافي في « سوداويته » التفاؤل الرسمي ، وهذا الجو يعبر عنه عدد من الاشخاص الذين هم اسبان في اصلهم ولكنهم يذكروننا بابطال سارتر وكامو بما لهم من خصائص مشتركة . والحق انه ينبغي الا ننسى ان «الوجودية» تأقلمت في اسبانيا قبل فرنسا بتأثير اورتيغا اي غاسيه واوناموno ، وهذا الاخير هو مؤلف كتاب « شعور المأساة بالحياة » وقد كان سيلا اول كاتب جديد يعبر عن نظرية ان الحياة تظل الحقيقة الرئيسية التي تتجاوز اطارات العقل والمنطق ،بينما تجد«العدمية» الاسبانية نقاط التقاء عجيبة مع العدمية الاوروبية ، وكان اوناموno قد تحدث عن « عبث الحياة » قبل كامو ، فليس من قبيل الصدفة ان يفضي كتاب مختلفون من اميركا وفرنسا الى نتائج مماثلة .

وفي عام ١٩٥٠ صدرت رواية سيلا «الخلية» في بونس ايرس ، وفيها يشارك المؤلف في الحركة العالمية التي تهدف الى تجديد الرواية فيشكلها ومضمونها ، وهي تماثل تجربة همنغواي الروائية او نجوبة دوس باسوس اذ يصف فيها المؤلف مجتمعا كاملا عبر عين كاميرا موضوعية . والحق انها رواية كبيرة جميلة تصف الحياة اليومية وتقطر بجميع المشاعر البشرية بلهجة لا تخلو من سخرية مريرة ، ويضطرب فيها عدد كبير من الشخصيات يبلغ مئة وستين شخصية يملك كل منها سماتها المميزة وماساتها الخاصة ، وترتبط بالاخرين بروابط الاسرة او المهنة او الحب

النشاط الثقافي في الغرب

او المسكن ، وكلهم يوحون بالسؤال التالي : كيف نعيش ، بل لماذا نعيش ومن اجل اي شيء؟

ولا شك في ان المسؤول جزئيا عن عبث هذه الحياة ولا جدواها هي الظروف الاجتماعية كالبؤس والفساد والافاق المغلقة والجو الخانق للحياة الاسبانية المعاصرة . ولكن المسؤول كذلك هو كون الانسان المحكوم عليه بان يعيش محكوم عليه كذلك بان يفقد حياته وان يبددها في المشاريع التي لا مخرج لها ، والرغبات العابثة وفي الكبت المتصل والالام التي لا تنتهي والياس الذي لا مفر منه . «الجحيم هو الاخرون » دون ريب ، ولكنه ايضا نفس الانسان ...

ويمثل مكان هذه الانسانية الضائعة مقهى « دوناروزا » الذي يكون رواده عاداتهم وعلاقاتهم ، ونرى فيه مختلف النماذج البشرية من مثل رجل الاعمال الفاشل في اعماله ، والفتاة البائرة التي يدهشها ان توصف بانها « بغي » والسياسي المخفق الذي افضى الى البطالة ، والشاعر الفقير الدم الذي يغمى عليه كل ساحة ، والمفكر الجمهوري البائس الذي يراقبه البوليس ، وحامل البكالوريا الذي يضطر الى مسح الاحذية حتى لا يموت جوعا الخ .. وفي الخارج ، هناك مئات ومئات ليسوا اقل جنونا ولا اقل تعقلا ولا اسعد ولا اشقى ، ومن الخطأ الظن بان المؤلف يسخر من اشخاصه ، فالواقع ان نفحة من الحنان تكمن وراء عدسة الالة التي يصورهم بها .

والملاحظ ان التسلط الجنسي يحتل مكانا واضحا في مجموعة الشواغل التي تحرك هؤلاء الابطال ، وهو ينم عن ان الحياة الجنسية شيء مركب مسيطر على الحياة الاسبانية ، وهو عبارة عن ثورة ضد التقاليد القاسية التي يفرضها الدين ، وهو في الوقت نفسه احتجاج ضد المثالية التي يرفعها الاقطاع الذي لا يزال حيا بشكله الاقتصادي والايديولوجي .

والرواية بالاجمال فضح للحالة التي كان يعيش فيها الاسبان في مطلع الحرب الاخيرة في عهد فرانكو ، وليس عجيبا بعد ذلك ان تمنع الرواية في اسبانيا فيضطر مؤلفها الى نشرها في الارجنتين ، انها تعبر عن « درجة الصفر » في الانسان الاسباني .



فرنسا

شهرية الفن

لمراسل الاداب الخاص

في الوقت التي تتعرف فيه باريس (عاصمة الفن التشكيلي) على مجهودات الفنانين في مختلف القوميات والمذاهب تختفي شخصية الفنان العربي . وعلى الرغم من وجود المحاولات الشخصية كمعارض فنية لفنانين من (لبنان) او (مصر) ، فان الفنان العربي لا زال مجهولا في الاوساط الفنية والادبية على السواء . ولعل ذلك عائد الى عدم توفر الاسباب لاقامة معارض فنية يمهد لها بدعاية واسعة (ما عدا ما يمكن ان تركزه في الاذهان عاديات المتاحف الاثرية في اثار قديمة) ولعل سبب ذلك عدم وجود الكفاءة الفنية اللازمة بين الفنانين المواطنين . ومهما يكن من امر ، فان من الضروري في هذا المجال اهتمام الاوساط المسؤولة في جميع الاقطار العربية (مصر. سورية. لبنان العراق وسواها من الاقطار) بالامر. اذ ان المشكلة ليست مقتصرة على منح الفرصة اللازمة للفنان العربي للبروز الى الصعيد العالمي ازاء اقرانه الفنانين من اوروبيين وامريكان ومن هنود وصينيين ويابانيين ومكسيكيين وشيليين وسواهم ... ليس الامر ليقتصر على مجرد افساح المجال للفنان المعاصر فحسب ، ولكنه يتجاوزه ايضا الى تعريف العالم الراهن بالمنجزات الفنية عن العصور على الرغم من انها ليست مجهولة لديهم لا سيما وان جل ما يمت لفن الحضارات القديمة منمعروضات المتاحف الاثرية يعتمد الى حد بعيد على فن بلادنا .

لقد كان العام المنصرم مفعما ومتميزا بظاهرة فنية هامة ، الا وهي اهتمام بعض الاقطار - كاليابان وبيرو والهند - باقامة معارض فنية شاملة في باريس بل ان اليابان انجزت في نفس العام معرضا للفن الياباني (معظم مراحل الفن الياباني عبر العصور من رسوم ونحوت وزخارف) ومعرضا للفن المعاصر (رسوم ونحوت لفنانين معاصرين) . اما بيرو فقد اشادت بدورها معرضا شاملا لفنونها من جميع مراحلها التاريخية من رسوم ونحوت وفخاريات وزخارف ومصوغات وسجاد وغير



موضوع « كراكا » لجاكسرن - مادة الحديد (١٩٥٧)

ذلك . ولا يزال المعرض الهندي لفنون قندهار واواسط اسيا مستمرا في احد المتاحف الشهيرة في باريس . وهكذا في الوقت الذي تقدر الدول في شتى العالم اهمية انجاز المعارض الفنية في باريس تغفل -ولو عن اعذار مقبوله - بلادنا .

الا ان املنا وطيد بان يتنبه المسؤولون الى ذلك فيذللون الصعاب لاشادة المعارض الفنية - شخصية كانت او عامة - لما يكون في ذلك من دعاية قومية ومن خدمة للفن والثقافة والحضارة .

وهناك معرض الرسام (ساجوى) وهو كما يلوح اول معارض الرسام الشخصية في باريس .

وهويمتاز بتطويره البحث الكتابي خلال لوحاته التي ينزع بريانشون فيها بشيء من الزخرفة - الى تبسيط الالوان والسطوح من اجل تثبيت رؤياه السحرية الطافحة بغموض شخصية المواطن الياباني - والذي يعكس في الواقع جل نفسية هذا لشعب لبانع لذي يشق طريقه - بعد كل عثرة - بخطى سريعة .

المعارض الفنية الهامة

في الوقت الذي تستمر فيه المعارض الشخصية في الجلريات او صالونات العرض لمدة لا تزيد عن الاسبوعين ، تستمر معارض اخرى تكون على الاغلب معارض شاملة لرسام واحد بحيث تمثل جل مراحله في آن واحد او معارض لمجموعة من الفنانين . وتقام المعارض التي من هذا النوع عادة في قاعات المتاحف الشهيرة بباريس (كمتحف الفن الحديث) و(متحف الفن الزخرفي)و(متحف جيوميه) و (قاعة المكتبة الوطنية) و (جلري شاربانتيه) وقاعة (البتي باليه) و (الجراباليه) الخ ...

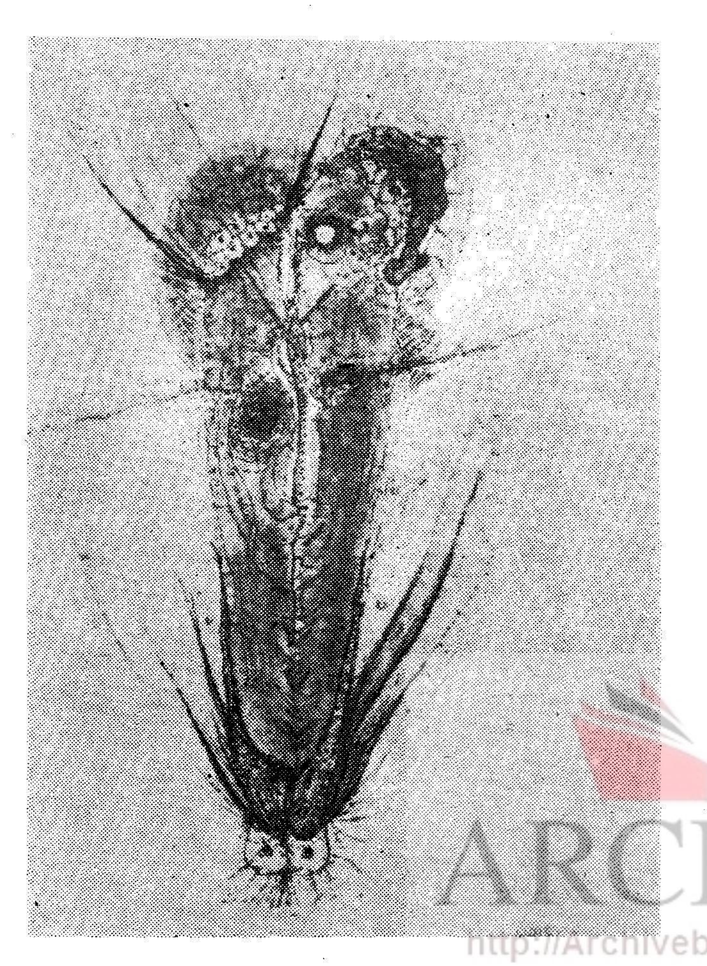
ومن المعارض الفنية للموسم الراهن في باريس المعرض الشامل لبردون وذلك في (متحف جاكمار)ومعرض الخريف - وهو من المعارض الفنية التي تقام كل سنة مرة واحدة .ويشترك فيه عدد كبير من الرسامين ذوي النزعات المختلفة . بيد ان الصبغة العامة لهذا المعرض تظل صبغة بورجوازية محافظة . وذلك لانه لا يعكس لنا البحوث المتطرقة بقدر ما يشمل على البحوث المحافظة .

وكان المعرض المذكور لهذا العام يشتمل على منجزات قيمة لكبار الرسامين الفرنسيين في مطلع القرن العشرين كماتيس وروو وفان دنجون وسيناك وماركيه وولش (وقد نظم لهذا الاخير جناح خاص في المعرض المذكور اعترافا وتقديرا لجهوده الفنية) وعلى اعمال اخرى لدنواليبه وميتو و(ليموس) و مونتان وجيرودي لين وكولومب وكليرين وبربت اندر .

وقد اختلفت وجهات نظر النقاد في المعرض المذكور الا انها كانت تتفق على افتقاره الى روح المغامرة والتنظيم التي تتسم بها عادة معارض الفن المجرد .

اما معرض فن قندهار واسيا الوسطى فقد احدث ضجة في الاوساط الفنية والاثرية وتضاربت الاراء في تقدير اهميته الجمالية والتاريخية .

وهناك معرض مدرسة باريس ، وهذه المدرسة هي خلاصة الجهود الفنية المبذولة في عام واحد . ومن ثمة فانه مما له مغزاه ان يقتصر



دون جوان لـ « وولز » (١٩٤٥)

اشتراك الرسام الواحد للوحة واحدة الا ماندر . وفي هذا العام نجد ان الذين تعددت لوحاتهم هم (بوشانت) الرسام الفطري و(برايير) و(كالو) و(سيكونزاك) و (دكنيمون) .

ويمتاز هذا المعرض بنزعته العالمية . فهو على الرغم من كونه يمثل لنا مدرسة باريس في الفن الا انه لا يمثلها بجهود رسامين باريسيين فحسب بل رسامين من بلاد اخرى ما فتئت باريس تجذبهم (ومما يجدر ذكره هو ان هذه المدرسة التي نحن بصددها قامت على اكتاف رسامين اجانب عاشوا في باريس) - ومن اشهر الرسامين غير الفرنسيين وممن لهم لوحات هامة في المعرض المذكور : (اتلان) من الجزائر و(برغمات) من ستوكهولهم و(ماكس ارنست) من المانيا و(لانسكوي) من روسيا و(ليفي جون) من الولايات المتحدة و(مايللي)من ايطاليا الخ ..

اما من الناحية الفنية فان مدرسة باريس لهذا العام لم تقدم لنا سوى تجارب ليست فوق العادة على العموم . والتنظيم هوهو على حالة كما في السنوات الماضية . فثمة قاعة للفن المجرد واخرى للفن التعبيري وثالثه لما يمكن ان ندعوه بالفن الواقعي (وهو مجموعة محاولات تتسم بالشكلية ثم مجموعة الفن الفطري والفن السوريالي . الا ان المعرض مع ذلك يختصر لنا - كباقة من الزهور - كل جهود الفن في العام - ومما

النشاط الثقافي في الغرب

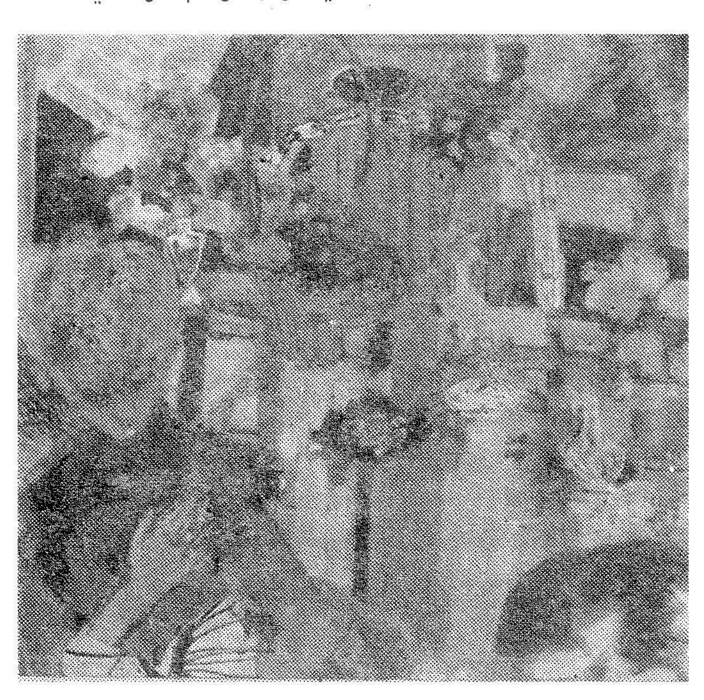
يؤسف له ان لا يكون من مشتركي مدرسة باريس من الرسامين المبدعين امثال : (دوبوفيه) و (براك)و (سوجاي) .

وفي مجال الفن التجريدي يمكننا ان نلمس بوضوح كل ضروب هذا الاتجاه الذي يعتبر موجة العصر. فهناك اولا (بيسيبه) ببحثه المبكر للتجريدية الانطباعية ذات التأثيرات بالفن البدائي والالوان الزنجية مما يطفح به متحف الانسان ، وهناك على نفس الخط (لانسكوى) ولحد ما (فيردا سلفا) و (كورتوت) ازاء رواد النزعة (التجريدية ـ الزخرفية)ـ وهم من اقطاب الحركة الثانية للفن المجرد ما بين الحربين : (سنجيه ببحثه الرائع في الخط والهارموني و (استيف) بتلوينه الطيفي الذي يترجم لنا احساس فن المنياتور الفارسي و (مانيتسيبه) باشكاله ومواضيعه الهندسية و (جيشيبيا) ببحثه المجرد ـ الشكلي الذي يستقى اصوله بدوره من الفن الفارسي . واخيرا (لابيك)

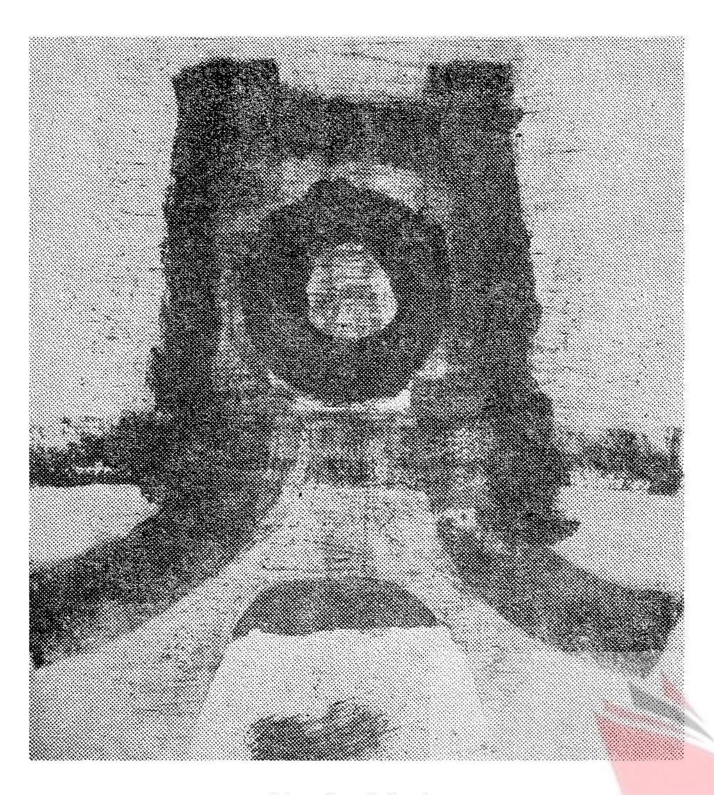
اما فيما يتعلق بجناح الفن الواقعي ـ واقصد به مجموعة الاعمال التي تحافظ على الاداء الشكلي مع تطوير التعبير بواسطة العناصر والقيم فمن الممكن ان نلمس بوضوح شخصية كل من (ليكو) و (كافاييه) ازاء كل رواد ما يسمى بالواقعية ـ الشعرية ، واخصهم (بريانشون) و (بروبيه) والواقع ان البحث الذي تضمنته لوحة (ليكو) الوحيدة كانتبمثابة بؤرة ما يمكن ان نسميه بحق فن العصر الواقعي وذلك بلمساتها العميقة والوانها وطرافتها وموضوعها . في حين سينقل لنا من طرق اخر (كارو) هذا التراث خلال لوحته الاخرى في المعرض .

وقد كان من جملة المعروضات ـ وهي من بقايا منجزات النصف الاول من القرن ولو انها مرسومة في الوقت الحاضر ـ رسوم كل من (ماكس ارنست) و (بيكاسو) وهما غنيان عن الايضاح.

وعلى رأس المعارض الشخصية يأتي معرض الرسام ولز الذي خلف



« كوداما » لساجوي (١٩٥٧)



لوحة للرسام « ليكو »

ضجة لها سببها في الاوساط الفنية والثقافية بباريس .

ويدور بحث ولز طيلة حياته (وقد مات ١٩٥١) حول التعبير الفضائي ومن ثم فان رسومه مهما امتازت به من ملامح مجردة (تأثيرات بول كلي) او سورياليه فانها تظل مخلصة لنزعة انسانية فذة ونظرة مقارنة ما بين الشيء والفضاء. ويختار ولز لمواضيعه اسماء طريفة من قبيل (دون جوان) و (حب تام) في حين ان تفاصيلها تنثر اجزاء الطبيعة والانسان موغلة بهما نحو (صلابة الحجر) و (تلافيف المخ)

اما النحات جاكوبسون وهو مواطن دانماركي ، فان المتمعن في نحوته ليلمس بوضوح لاول وهله التزاوج التام ما بين فن النحت والحفر وما بين التعبير بالكتلة والفضاء . ولكن بحوثه رغم ذلك لا تخلو من نزعة (زخرفية ـ هندسية) ومن استبداله لمادة المرمر والخشب بالحديد (مما له معناه ان يكون اختياره لمادة نحته منسما وما يبلور به جلحيانه المنصرمة) وعلى الرغم من ان نحوته ذات ملامح نصف تكعيبية الا انما تذكرنا الى حد بعيد بل تحقق لنا باستمرار الفن المجرد ـ الزخرفي.

وقد سبق ان ساهم الفن الياباني منذ مطلع القرن الحالي بمظاهرة فنية رائعة في مجال الفن الاوربي الذي لم تعد ملامحه سوى انعكاس مطرد لمضمون الحياة في العالم وليس في اوربا فحسب ـ والفن الياباني بدوره ـ خاصة منذ حوالي ١٠ سنوات يتحف العالم بمثل هذا المضمون ويبرهن باستمرار على طمس الحدود ـ بواسطة اللغة الفنية ـ بين ما هو اوروبي وما هو اسيوي . وبين ما كان يعتبر تراثا قاريا وبين ما يعتبر اليوم تراثا عالميا .

التطور الاجتماعي

ـ تتمة المنشور على الصفحة ٨ ـ

لبنان ، والفرعونية في مصر ،والبربرية في المغرب ، والاشورية والكلدانية والبابلية ما بين سوريا والعراق ، وتصوير العرب بصورة اهتزت في يد المطور لحياة الشعوب وباني حضارات الامم . وكان القصد من ذلك كله ، فصم عرى الوحدة وتمزيق العالم العربي الى شعوب مختلفة الاصول والاجناس ، تتكلم اللهجة العربية بالعامية وبقليل من الفصحى الى جانب فخارها بحضاراتها السالفة ، واتقانها اللغات العادية عليها حتى يتنافى زمان نرى فيه ان طلابا تطردهم جامعاتهم اذا استنكروا عدوان دول هذه الجامعات الاجنبية على اخوانهم في الاقطار العربية الاخرى ، او يطردون اذا ارادوا تأكيد اللغة العربية في وطنهم وترك اللغات الاجنبية للتثقيف العام الذي لا يتعارض مع كرامة الامة ولا كرامة اللغة التي لم تعجز بعد ، عن نقل خواطر روسو في السيادة ، ولا مشاعر لامارتين في الغرام !!

واقع العرب الاجتماعي

كان واقع العرب الاجتماعي مفككا . فالفقر المدقع الى جانب الغنى الباذخ وتسلط فئات معدودة على رزق الالوف من ابناء الشعب وانتشار الجهل والمرض ، وقلة الاخذ بالثقافة العصرية ليحيا المجتمع العربي يومه ، وبالثقافة القومية ليصل حلقة الماضي بالحاضر والمستقبل . والى جانب خضوع المجتمع للاستعمار ، وتآمر اكثر الفئات المتصدية لقيادته عليه ، كان هناك خضوع لاكثر ما جاءبه الاستعمار من قيم ومثل ،الامر الذي دفع الوجود العربي الى التدهور المادي والمعنوي ، ولولا تماسك فئات الشعب وتساندها ضد الاستعمار وضد اعوانه ، ضد المحو القومي والمحو الفكري ، لما كان المجتمع العربي اليوم غير قطع لا لون فيها سوى الوان السادة المستعمرين ، ولا لغة فيها الا لغاتهم ، ولكان ماضي العروبة كله قد زال وحل محله حاضر قذر من صنع اللصوص ومخترعي الحضارات .

واذا نظرنا لخصائص تلك الفترة التي مر بها المجتمع العربي ، وجدنا متناقضات جمة . فالمجتمع وقد اخذ بالحضارة الغربية ، اخذ يتطور بلا تنظيم ولا تعقيد . ففي القاعدة نجد الالة ومشاكلها الى جانب النظم القديمة في حراثة الارض وعلاقة المالك بالعامل الزراعي . وبتنا ونحن في القرن العشرين نمر بمشاكل مرت بها اوروبا منذ مئة عام عند بدء نهضتها الاقتصادية والاجتماعية : هجرة الريف الى المدن . مشاكل الطبقة العاملة . مأساة الضمير لدى الطبقة المتوسطة . عقدة الثقافة النظرية وانعزالها عن حياة الشعب . تكون الطبقة البورجوازية . بدء نمو راس المال على حساب ظلم القوى العاملة في خدمة الجهد القومي . وتنكب الدولة عن واجبها في التدخل للحد من هذا الاستغلال باساليب اشتراكية كما حدث في اكثر بلدان اوروبا ، باتخاذها الضرائب التصاعدية على الارباح ، واقرار الضمان الاجتماعي ، والتأمين ضد البطالة والعجز والشيخوخة وطوارىء العمل . وكانت اكبر الخرافات هي خرافة الديمقراطية ، في مجتمع لم يتحقق فيه اي اثر لمكتسبات التطور والمعاناة السياسية كما حدث في اوروبا ، بل انتقل المجتمع من قرون الاستعمار التركي الى نظام جديد .. بل اجد مما هو عليه الحال في اوروبا نفسها : انتخاب كل من هو قادر على امتصاص دماء الشعب وتحكيمه في رقاب الشعب ، وجعله وذراريه من بعده وصيا على الشعب : انها الوراثة الديمقراطية . وراثة العصبية . ووراثة المال والعقار . وهذه هي مقومات الحكم السعيد في شرقنا التعس . وقد بات من جراء هذا الفساد الاجتماعي كله ان اضحت الامة العربية من المحيط الى الخليج ، موزعة بين تحكم الدول الاستعمارية فيها ، وتحكم اعوان الاستعمار وعبيده واستنزافهم خيراتها وجهدها ، وشيوع وسائل الحضارة الحديثة في الصناعة والزراعة والتجارة ، وبقاء كثافة في الجهل والفقر والمرض ، وباتت الذات العربية من كثرة ما دخلها من بدع الحضارة مع اصيلها ، اشبه بعلبة المطبخ التي تتخمر فيها نفايات الاطعمة فالتقى على صعيد الحياة العربية : عادات قبلية ، ومجتمع رعوي زراعي ، وآلة تثير مشاكل القرن التاسع ، وديمقراطية من نتاج القرن العشرين ، وفقرومرض وجهل، وتحكم الاقلية في رقاب الاكثرية ، واستعمار يحف به اعوانه من الخونة والدخلاء والمخرفين ، ومعركة تجهيل واسعة النطاق ، ولغة عربية تقطع ما بينها وبين الماضي كل صلات الاستسقاء من النبع الصيل ، وتزييف للتاريخ القومي الى جانب احياء تراث حضارات منقرضة لاروح فيها ولا قوام ـ والشعب العربي يستعمل وقيدا في كل حرب ، وفي كل ثورة ضد الاستعمار وضد اعوانه ، وفي وسط هذا البحران الطامي من عدوان المذاهب المعاصرة على الفكر القومي في ابان عزلته عن تاريخه الحي وتجزؤ شخصيته القومية كان لا بد للعرب ان يجدوا الطريق ذات يوم بعد ان تألفت عوامل فساد المجتمع ، وآذنت بانهياره كله ما عدا الاصيل فيه .

عوامل فساد المجتمع القديم

كان العالم العربي رغم تباعد اقطاره ، واختلاف مناحي التطور فيها ، يشكو امراضا واحدة ويحتاج الى علاجات واحدة . فقد كان التسلط الاجنبي عليه ثقيلا ويحتاج الى ازالته ليستطيع التصرف والانطلاق . والاستعمار لم يبق وحده ، لقد اضحى له الاعوان والانصار يحركهم كما يريد ، وهم ليسوا اعوانا سياسيين فحسب ، فلقد وجد فئات تنصره في الراي والاتجاه ، بحيث يمكن اعتبارها منفصلة عن تاريخ الامة وعن مجموعها . ولكي يكون المجتمع العربي الحديث سيد نفسه ، وجب ان يزول الاستعمار ويقضي على عوامل الانفصال في داخل المجتمع العربي نفسه ، لتتحرر سيادته من الحماية والوصاية الاستعمارية .وكان الى جانب مرض السيادة ـ وهو الاستعمار ـ مرض القيادة الفكرية والسياسية . فالقيادة السياسية كانت منعزلة عن الشعب غير مؤمنة به همها الوحيد التحالف مع الاجنبي لضرب الشعب ، وقمع حركاته الحرة المتوالية . وكانت القيادة الفكرية منعزلة عن الشعب ، متخلية عن مركزها القيادي والتوجيهي . لانها بثقافتها الانعزالية عن روح الشعب وعن تاريخه الصحيح وخطر سير نهضته القومية لتحقيق وحدته وحريته ونظامه الاجتماعي العامل قد وجدت نفسها ممتلئة بالمعلومات والمعادلات والاساليب الكلامية ، وهي كلها لا تعادل بعض الايمان بحقيقة الشعب وحقيقة تاريخه المستمر عبر الزمان ، الذي نجده في صدر اي انسان عادي من عامة الشعب . والقيادة الفكرية معزولة عن الشعب، بوحي عاملين . فاما الاول فهو انعزال بعضها عن الشعب وعن تاريخه وتثقفها بثقافة ليس لها طابع خاص . ثقافة غير قومية . ثقافة نظرية تصلح لكل وطن ، ولكل زمان . واما العامل الثاني فان بعض المثقفين

قد عجزوا عن رؤية ملامح الاصالة في شخصية الامة العربية وفي مدلول هذه الشخصية الفكري والروحي والاجتماعي ومطاوعتها لتقدم العصر ، فأرادوا ان يذيبوا هذا الكيان الذي لم يتم بعد ، ولم يتوحد، رغم يتخلص من الاستعمار ، ارادوا ان يذيبوه في بوتقة العجز والمرض ، متناسين عوامل التطور الصحيحة وهي ان المجتمع العربي لا يمكن ان يخط سيره الاجتماعي قبل التحرر من الاستعمار ، وقبل الوحدة الشاملة، الا اذا كانوا لا يؤمنون كما يؤمن العرب جميعا ، ان المجتمع العربي الواحد هو مجتمع العرب من المحيط الى الخليج ، وليس مجتمع هذه الاقاليم الصغيرة المتناثرة . وان طبيعة التطور الاجتماعي تفرض نوعية المعركة التي ينبغي على العرب ان يخوضوها وهي معركة سياسية للتحرر من الاستعمار واعوان الاستعمار . ومعركة قومية لتحقيق الوحدة. ثم تبدأ معركةتطور المجتمع العربي نحو العدالةالاجتماعية الشاملة التي لا تمس حريته السياسية ولا وحدته القومية ، وتاريخه الاصيل . والىجانبه مرض السيادة القومية ، ومرض القيادة بنوعيها السياسية والفكرية كان المجتمع العربي يعاني مرض انظمة الحكم بل مرض الديمقراطية . ان الديموقراطية مفهوم للحكم يقوم على نكران اي اثر للطائفية والعصبية العائليةاو القبلية. وكذلك كل تبعيةاقتصادية واجتماعية. ويوطد سلطانالدولة على اسس سليمة من انظمة النقابات والاحزاب والوعي الاجتماعي وانتشار الثقافة والكفاية الاقتصادية في الافراد ، ويعطي للحرية مفهوما واقعيا وعمليا ونظريا ، ينسجم مع اداء الواجب الوطني والقيام بعبء الجهد الفردي ، والمساهمة في الحياة العامة ضمن حدود المصلحة القومية والعمل الوطني العام . دون ان يكون وضع المجتمع سيئا من جميع الوجوه ، قليل الثقافة قليل التنظيم ، قليل الكفاية الضرورية ، فيه رواسب عديدة لمجتمعات قديمة ، مرت عليه قوافل الاستعمار فابادت الكثير من مقوماته القومية ، واضعفت ارادته وطموحه ووجدانه ، وانبتت الكثير من الفئات والعناصر الانهزامية والمستثمرة ، والتي تعتبر قوام مردود الحياةالاجتماعية المريضة ، حتى اذا جاءت الديمقراطية ، حملت هذا المردود السيء للحياة الاجتماعية الى مقاعد البرلمان والوزارة ، واضحى همها الوحيد توطيد اسباب البقاء لها ولمسببات رفد الحياة الاجتماعية بمزيد من السوء ، لدوام العز ، واطالة امد البهرجة والسلطان . واضحى لغوا ، كل تبجح بالعمل للوحدة العربية والحرية العربية ، وللمجتمع العربي الواحد ، في ظل مثل هذه الكيانات الهزيلة ، والحكومات الذليلة ، والفساد الذي عم القيادة بشقيها ، وشمل السيادة القومية من جراء التوجيه الاستعماري واساليبه في تقويض دعائم الوحدة العربية لدوام التجزئة، ودوام التبعية الاستعمارية الى الابد .

اهداف الثورة الصحيحة

ان الثورة الصحيحة ما كانت تمثل ردة فعل الوجدان القومي للامة . فما هي ردة فعل الوجدان القومي للامة العربية ؟ ان ردة الفعل تتمثل في عناصر عديدة . منها ان اللغة العربية وقفت اربعة قرون عن التطور ، فيجب ان تعاود تطورها ، ان تعاود حياتها الجديدة ، فلا تزاحمها في الترجمة عن خواطر الانسان العربي في ارضه العربية لغة ثانية ... كائنة ما كانت هذه اللغة . والوجدان القومي للامة العربية ليس ضد الثقافة العامة ولا ضد التزود بمعين العقل البشري العام . ولكنه ضد تفضيل اية لغة اخرى غير اللغة العربية من المحيطالى الخليج . فكما ان اللغة الفرنسية او الانجليزية او الروسية او الصينية - سيدة في ارضها - فكذلك شان العربية . وهذا ما يجب ان يكون . وكل عدوان على اللغة العربية في اية بقعة عربية عدوان على وجدان الامة العربية . عدوان على حياتها ونكران لوجودها . ان اللغة العربية روح الامة العربية المترددة في كيانها كله .

ومنها ان الامة العربية واقعة تحت عدوان الامم المستعمرة . ان سيادتها معطلة . هناك من يتكلم باسمها . هناك من يريد ان يداوم استغلال خيراتها وكنوزها . ويحتفظ لنفسه بحق العدوان عليها وليس الدفاع عنها . ان الاستعمار اول الاعداء واخرهم . ولا يمكن للامة العربية ان تعود سيرتها الاولى ، لتأخذ من العالم وتعطيه ، ما دام الاستعمار معطلا سيادتها . ان التحرر من الاستعمار ضرورية قومية . انه الخطوة الاولى نحو الحرية في الخارج والداخل .

ومنها ، ان القيادة السياسية والفكرية في عزلة عن روح الشعب . والقيادة في العالم العربي نتيجة لمردود اقتصادي مضطرب ، او طبقي منحرف ، بل القيادة الفكرية التي اتخمتها الثقافة المجردة من طابع الزمان والمكان وسير التاريخ القومي . وكل انحراف في اتجاهات القيادة الفكرية المذهبية او الانهزامية منها ، لتعطيل جوهر الابداع في العقل العربي وما يمكن ان يقدمه لحاضر الامة ، ويوطده من اسس لنهضتها وتطورها . ولا قيادة حقة ، سياسية فكرية ، ما لم يقض على كل مقومات مثل هذه القيادات المريضة ، بتعديل مضمون الثقافة وجعله قوميا بحتا ، وتوحيده ، وضبط المشارب التي تمد الاجيال الصاعدة بمعين الفكر الحديث واتاحة الفرص لنمو المجتمع في جو من الحرية والقومية والعدالة الاجتماعية والتربية العربية السليمة .

ومنها ، ان تعميق مضمون الحضارات القديمة في ذاكرة الشعب العربي ، من جراء السماح للدعايات المسمومة والتوجيه الخاطىء ، ببث افكارها المريضة ، قد يؤدي الى ربط مضمون هذه الحضارات الفكري ومدلوله الحضاري ، بواقع المجتمع المادي الذي تعيشه هذه الاقطار المتباعدة ، بفضل تحالف الاستعمار مع الطبقة الرجعية الحاكمة . وبدعة الحضارة القديمة هذه ، لا يقصد منها غير قطع حقيقة الامة عن التاريخ الصحيح الخاص بها . ووصله بأفكار غفا عليها الدهر ولم يستيقظ بعد . وهي رغم انها لا تمثل لغة متداولة او تاريخا قائما ، او عادات متداولة او قيما اجتماعية مرعية ، او حتى شعبا حيا يتبناها ويدافع عنها ، فان سياسة الاغراق الرامية الى فصم عرى الترابط التاريخي بين ماضينا وحاضرنا ، تريد ان تمضي في خطتها المزدوجة : محاربة اللغة العربية واحياء ماضي الحضارات الغربية معا، مما يؤدي بالتبعية الىتنكر من يشب للغته الام وتاريخه الصحيح،وايمانه بما يقدم له من زاد الفكر والروح . ولذلك فان رفع راية النضال ضد عدوى التجزئة ، ونصرة اللغة العربية بصفتها الترجمان الوحيد عن الوجدان القومي والتاريخ القومي ، والسير في ركاب شعار : (وحدة اللغة ووحدة التاريخ) كفيل بقبر انصار التجزئة ، والانتصار على اللغات العادية ، والحضارات الشمعية القائمة في بعض المتاحف ، وتوكيد لوجدان الامة وما ينعكس عن هذا الوجدان من احاسيس ومشاعر تربط الارض بالشعبعبر الماضي والحاضر والمستقبل في عروة وثقى لا انفصام لها .

ومنها ان العالم العربي يشكل وحدة ، وليس كيانات مبعثرة . ودليل هذه الوحدة : وحدة اللغة ، ووحدة التاريخ ، ووحدة مصائب الماضي وانتصاراته ، ووحدة الطريق عبر المستقبل . وفي حركة ثورية لا تضع في اعتبارها ازالة الاستعمار واعوانه ، والاطاحة بالقيادة السياسية

المنطقة عن طريق الدعاية لبعث حضارات زائفة على مثال : الفينيقية في الزيفة وتقويم انحراف القيادة الفكرية لتلتصق بالشعب وتاريخه ومعاركه النضالية ، وتصحيح مفهوم الديمقراطية بتمكين الشعب من اسباب الرقي والعدالة الاجتماعية والحرية البناءة ، والسعي كل السعي نحو الوحدة الشاملة ، وخوض المعركة السياسية للخلاص من الاستعمار اولا ، والمعركة القومية لتحقيق الوحدة ثانيا ، انما هي حركة انحرافية لا تمثل وجدان الامة العربية ولا تؤمن بماضي الامة النبيل ولا مستقبلها العظيم .

ومنها ان الروح العربية روح بناءة تؤمن بالحرية والسلام . فهي ضد الحروب وضد التحلفات ، ايا كان مصدرها او نوعها . ولكنها لا تساوم على حريتها وكيانها وشخصيتها المستقلة اذا كانت الحرب طريقها لتوكيد الحرية واقرار السلام .

مضمون القومية العربية

ان هذه العناصر الاساسية الهادفة الى احياء الوجدان القومي باعلاء شأن اللغة العربية والتاريخ القومي ، والمحافظة على الشخصية العربية فلا تتجزأ من جراء عدوان الحضارات والدعايات الانحرافية والمذاهب المادية ، عليها ، وتحقيق سيادة الامة العربية بطرد الاستعمار ورسم الطريق للقيادة السياسية المعبرة عن روح الامة وحاجاتها واهدافها المثلى واتاحة الفرص لان تكون القيادة الفكرية موجهة للمجتمع حريصة على اشادة بنياننا الفكري من واقع ماضينا وحاضرنا ومستقبلنا كسلسلة لا انفصام لها ، وتقليل الفروق بين الطبقات وفق روح العدالة وتكافؤ الفرص واشاعة المناهج الاشتراكية ، لخلق مجتمع تقدمي اشتراكي النزعة والاسلوب ، ومحاربة عدوان التجزئة ومحو الكيانات الهزيلة القائمة ، وخط تطور المجتمع العربي نحو الوحدة الشاملة والقيادة الواحدة والتجربة الاجتماعية الكبرى ، ذلك كله ما نعبر عنه عندما نقول : (القومية العربية) عقيدة كل عربي مخلص من المحيط الى الخليج . وكل محاولة لتعطيل هذا النهج سواء بالانحراف عن معركة الوحدة الى التجزئة ، او صبغ مضمون القومية العربية بصبغة تخرجها عن هذا المضمون ولونه الصريح، لما تأباه طبيعة المعركة النضالية التي ينبغي على العرب ان يكرسوا كافة جهودهم لتحررهم من الاستعمار ، وخوض معركة الوحدة الشاملة ،ليجد المجتمع العربي الواحد من المحيط الى الخليج سبيله في التعبير عن الذات العربية واتخاذه الوضع الاجتماعي الذي يفرضه واقعه الداخلي وحده .

ثورة مصر العربية عام ١٩٥٢

كان العرب قبل ثورة مصر العربية عام ١٩٥٢ يؤمنون بافكار عديدة ، كلها تتفق ومضمون القومية العربية . ولكن الذي ينقصهم كان بدء تنفيذ هذه الافكار في دنيا الحياة والناس . كانوا بحاجة الى من يمزق ستار الديمقراطية الكاذب ويكشف معدن الحياة الحزبية الرخيصة . وكانوا بحاجة الى من يشنها حربا صريحة على الاستعمار واعوانه في داخل البلاد وخارجها ، ليؤكد السيادة القومية . وكانوا بحاجة الى من يوقف القيادة السياسية المريضة عند حدها ويوجه القيادة الفكرية في الطريق المؤدية الى بعث تاريخنا القومي العربي الاصيل وتثقيف الجيل بثقافة عربية خالصة ، ويمنع انحراف الوجدان القومي نحو اليمين واليسار . وكانوا بحاجة الى من يخوض معركة الوحدة ، ويعلنها حربا صريحة على التجزئة والكيانات المبعثرة ، ويدخل معركة المصير الواحد والقيادة الواحدة ، والمجتمع الواحد . فكانت ثورة مصر العربية في تموز عام ١٩٥٢ .. ثورة اضحت بعد ست سنوات مجندة في خدمة القومية العربية ومضمونها في السياسة والحكم ، في بعث روح التطور الاجتماعي الجديد في حياة المجتمع العربي . وكان هذا التلاقي بين مصر وسوريا ، دليلا على ان العروبة اصالة ، والقومية العربية رسالة ، والوحدة مخاض الحرية والبناء في عالم جديد يشرق على العرب من المحيط الى الخليج .وكان من هذا التلاقي بين الاقليمين ، جمهورية عربية متحدة ، هي اشبه باللؤلؤة الواحدة في عنق العروبة الخالي من اللآلىء منذ خمسة قرون او اكثر . جمهورية عربية ليست رجعية لانها تؤمن بالتطور ، وتؤمن ببعث القوى الدفينة في المجتمع وتفسح لها سبيل التطور نحو الاشتراكية والديمقراطية والتعاونية ، وترسم خط سير المجتمع في طريقه القومي الصحيح فلا ينحرف نحو اليمين ، حيث الاحلاف والرجعية والانخراط في حماة الاستعمار . ولا ينحرف ايضا نحو اليسار ، نحو تعطيل وجدانه القومي وتاخيره عن خوض معركة الوحدة الشاملة ، وتعطيل شخصيته العربية المبدعة وتشويه وجدانه القومي الاصيل . شعارها في ذلك حياد مادي عن الغرب ، ومذهبي عن الشرق ، دون ان تغلق نافذة الاخذ والعطاء مع العالم كله ، لمد الحياة العربية والفكر العربي بما يصدر عن حس سليم وطواعية حرة مبدعة .

علي بـدور
من الاصدقاء

حلـب



الشاعر القروي من خلال شعره

بقلم وديع فلسطين

الى احضان الشام عاد الشاعر القروي رشيد سليم الخوري بعد هجرة امتدت اكثر من اربعين عاما قضى اغلبها في البرازيل ، فالتقى أبر الابناء بأكرم الاوطان ، وتحقق له الحلم الذي طالما مر بخياله في اليقظة وفي المنام ، وكان حنينه الى ألوطن قد شمل كل حياته ووجدانه وعاطفته وآماله ، فقضى ايام شبابه وسني كهولته يبكي الغربة ويتحرق الى « بربارته » الراقدة في حضن الجبل الاشم شوقا ، ويذوب تحنانا الى اهله وعشيرته . فلما طالعه ساحل بلاده لاول مرة بعد هذا البين ، انهمر الدمع في مآقيه وعيناه تصافحان أديم موطنه ومرابع طفولته ، وأنشد قائلا :

بنت العروبة هيئي كفني انا عائد لاموت في وطني
من جاد من خلف البحار له بالروح ، كيف يضن بالبدن ؟

وكان الى جواره صديق يعرف عن القروي زهادته وفناءه في حب عروبته وبلاده ، فعاتبه قائلا : افلا كان الاحجى ان تقول :

بنت العروبة هيئي سكني انا عائد لاعيش في وطني ؟

نعم ، عاد القروي كما يعود الرسول الى متكئه بعد أداء رسالته بما يرضي ضميره ويطيب وجدانه . عاد لا يحمل من بدر المال يزهو به على انداده ، ولا برفد من ثراء المادة يهيىء له حياة الترف ، بل عاد وفي يمناه كتاب جليل باذخ قلبا وقالبا ، هو ديوان شعره الموسوم « ديوان الشاعر القروي » الذي يقع في اكثر من الف صفحة والذي يجيش بعاطفة الشاعر القومية والانسانية ويعمر بآماله وآلامه واحلامه ورؤاه في مدى نصف قرن .

قال عنه الامير مصطفى الشهابي (١) انه من الشعراء الذين كانوا يسمعون صوتهم في المواقف الوطنية سواء في الدفاع عن الحرية المسلوبة في عهد الدستور او في الدفاع عن حقوق العرب . وقال كذلك ان روائع الشاعر القروي في مختلف الاحداث القومية مشهورة لانه لا يحتاج الى من يذكي فيه نار الحنين الى الوطن الاصلي ولا الى من يعلمه واجب الدفاع عن ابناء قومه . وقال ان للشاعر القروي قصائد ونفثات مشجية في فجائع الثورة السورية وغيرها .

وقال عنه الدكتور احمد زكي ابو شادي : « علم قد شرف العربية في القرن العشرين باكثر مما شرفها انداد نابهون من الشعراء ألفطاحل في معظم العصور » (٢)

ووصفه المجاهد اكرم زعيتر بقوله : « لو جاز ان يكون للوطنية قديسون لكان الشاعر القروي احدهم » (٣) .

وقال فيه زميله الشاعر المهجري جورج صيدح : « لم تعرف العروبة مثله شاعراً أمينا على عزتها وكرامتها ، ثابتا على مبادئها ، زاهدا في مالها وحطامها ... عرفت القروي وكأني عرفت روح غاندي في جسم غير جسمه وزي غير زيه » (٤) .

وشهد له محمد عبد الغني حسن بانه « شاعر يمثل فحولة الشعر العربي في المهجر » (٥)

وقال فيه صديقه وصفيه ورصيفه نظير زيتون : « ولد مع الاعاصير في الغابات ، ومع الزلازل في الجبال ، ومع الصواعق في البحار . ولد مع الندى في الفجر ، ومع الازاهير في الربيع ، ومع البلابل في الجنان ، ومع الجمال في نشوة نيسان . ولد مع الاسطورة في عبقر ، ومع الانبياء في الوادي المقدس ، ومع الرؤى في ومضة الروح ، ومع السحر في أهداب العذارى . ولد مع الدمع الاخرس اللاهب في غصة اليتيم ، وزفرة المنكوب ، وعثرة الكريم ، وكربة المظلوم . ولد الشاعر القروي مع أمته في شروقها وغروبها ، ومدها وجزرها ، وخمرها وخلها » (٦)

ونعته زميله الشاعر الصحفي المهجري عبد اللطيف الخشن بانه « ثالث العمرين بعد عمر الخيام وعمر بن الفارض، فذلك في حكمته وهذا بزهده وصوفيته » (٧)

فقد عاش القروي أمينا على رسالته ، يشيد بكل نبيل من الاهداف والغايات ، وينطق بلسان عربي فصيح رصين لا برطانة أعجمية ولا بلسان عليه مسحة العجمة . تغنى أكثر ما تغنى بوطنه الصغير ووطنه العربي الكبير ، وهام بأمته هياما نابعا من فطرة سليمة ووفاء كريم ، وردد أنغام الحرية في كل صقع ، وكان دائما الناصح الناضج الرشيد الذي يمحض قومه الرأي القويم ويستنفر همتهم الى

(١) القومية العربية : تاريخها وقوامها ومراميها — للامير مصطفى الشهابي — ص ١٠٢ و ١٠٤ و ١٥٢

(٢) شعراء العرب المعاصرون — لاحمد زكي ابي شادي — تقديم ومراجعة رضوان ابراهيم — ص ٣٠٠

(٣) مهمة في قارة — لاكرم زعيتر — ص ٢٠

(٤) أدبناوأدباؤنا فيالمهاجر الاميركية — لجورجصيدح — ط ٢ — ص٣٢٨

(٥) الشعر العربي في المهجر — لمحمد عبد الغني حسن — ط ٢ ص٢٤٧

(٦) أدبنا وأدباؤنا في المهاجر الاميركية — ط ٢ — ص ٣٢٤

(٧) شعراء العرب المعاصرون — ص ٣٠٢

نتجنى ونفرط في ادانتها .

لو نظرنا الى الرواية على انها مثال الصراع ، جيل مع جيل ، لوجدنا دون شك انها مقصرة عن الغاية ، لا توفي هذا الصراع الحاد العميق حظه. ولو نظرنا اليها على انها وصف الانسان مع ذاته ومع قيمه في طـور المراهقة ، بغية اكتشاف قيم جديدة ، لرأينا ايضا ان الرواية لا تستغرق هذا الجانب ولا تنعم في دقائقه . اما اذا نظرنا اليها كحادثة واقعية ، تصف وصفا طبيعيا الصراع المزدوج الذي يقوم في نفس المراهق حين يريد ان يكون ذاته اولا وحين يريد ان يقوم الجيل القديم ثانيا ، لاستطعنا ان ندرك بعض الفتور الذي فيها .

فسامي مراهق يقبل على الحياة ، ويريد ان يرسم فيها جديدة لنفسه، ولكنه مغمور في الوقت نفسه بقيم تفوقه وتفوق سنه، قيم المجتمع من حوله، قيم تلك الاسرة المفرطة في المحافظة . وعسير عليه ان يتلكأ ، وعسير عليه ان يقف موقف البطل الواعي . ان نزوعه الانساني الى التحرر معطل بنزوعه الانساني ايضا الى ان يتقمص اسرته ومجتمعه ...

وظني ان هذا الضعف الذي يراود سامي ، نتيجة لتنافي هذين العاملين واضعاف احدهما الاخر ، هو جوهر القصة ، وهو حقيقتها . وهو على اية حال ضعف واقعي عرفه اكثر مراهقينا . ولا يغير الواقع في شيء ان نخرج من سامي بطلا يجاوز كل الحدود التي رسمت له وينطلق من حدود عمره وحدود مجتمعه مجاوزا في هذا كله حدود الممكن . ان قيمة هذه الرواية في صدقها وواقعيتها ، في صدق تعبيرها عن ضعف سامي امام مهمته الجديدة ، عن قلقه ، عن ترجحه بين ذاته ومجتمعه والانسانية. هذا هو الجانب الاصلي الذي رايته جديرا بالبحث في هذه الرواية . اما الجوانب الاخرى فلا سبيل الى الحديث عنها في هذا المجال . ومن الغلو حقا ان ادع في هذا المقام مقال الكاتب الكبير ميخائيل نعيـمه ، لاستطرد هذا الاستطراد الطويل . ان كاتبنا يبارك هذه الخطوة الجريئة التي اقبل عليها الدكتور سهيل اذ اقبل على كتابة روايته . ويرى فيها وجها من اوجه انطلاق جيلنا الجديد نحو المعرفة والحرية باوسع ما فيها ، ومثالا عن التوق العميق والاشواق الملحة الى القيم الانسانية بكل ما فيها من حرية وجراة وحياة . انها عنده ـ وهو في قلب الصواب ـ رمز لانطلاق الحياة ، والحياة العارمة الحرة ، في صدور ابناء الجيل .

والحق ان الاقدام على مثل هذه الترجمة الذاتية مغامرة صادقة ، وتلمس جدي للحقيقة ، ولعل قسوة المغامرة هي التي اكرهت الدكتور سهيل على ان يقصر عن مداها ، فلم يذهب فيها الى النهاية ، ولم ينس التقية والحذر ، ولم يطل التحليل والتامل ، وهو معذور في ذلك اشد العذر .

٣ ـ الخندق الغميق ومدى تعبيرها عن تمرد الجيل :

وهذه النقطة الاخيرة تنقلنا مباشرة الى ملاحظات الاستاذ محيي الدين صبحي . ومن العسير ان اعرض لكل ما جاء فيها . واعتقد انني قدمت فيما سبق جوابا على كثير من تساؤلات الاستاذ محيي الدين . واعود فاقول ان الرواية ليست في نظري تعبيرا عن تمرد الجيل الجديد ، بقدر ما هي تعبير عن واقع الموقف النفسي لجيل مراهق يتلمس الحقيقة من خلال ضباب مجتمعه واسرته ونفسه . ولهذا لم يكن هذا التمرد تمردا بالمعنى الصحيح للكلمة . والاستاذ محيي الدين على حق حين يأخذ على الرواية انها لم تعن بالتمزق الفكري والصراع الداخلي والشكوك التـي عصفت في قلب المراهق ، ولكن مرد ذلك الى ما ذكرته منذ حين ، اي الى قسوة المغامرة واضطرارها الى الوقوف عند حدود لا تتعداها . كما ان مرد ذلك الى شيء اخر اكثر ايجابية ، وهو ان المراهق نفسه ضعيف ، ضعيف ضعف كل انسان في موقفه ، تشده مؤثرات متباينة متنازعة ،فلا يقوى على مواجهتها ، ويفر الى نوع من السلوك العملي الذي يتجنب طرح المشكلة على الصعيد الفكري ويكتفي بحلها عن طريق حدسه وذوقه السليم ، وعن طريق بذور الافكار التي ستتفتق فيما بعد ، عندما يعي ذاته وعيا اعمق ، ومن هنا كان « الحي اللاتيني » تتمة طبيعية « للخندق الغميق » .

٤ ـ « في قضية الدكتور جيفاغو »

لقد عرفت الضجة التي قامت حول كتاب « باسترناك » في قلب اوربا ، اذ كنت خلال تلك الفترة بباريس . وقرات الكثير مما كتب حول هذا المؤلف ، واشتريته ولكنني لم اجد الوقت اللازم لقراءته حتى الان . ومن هنا كان نقدي ناقصا يعوزه العنصر الاساسي من عناصر البحث .

اما الاستاذ رئيف خوري فينصب حديثه على جانبين اساسيين :

الاول انه يرى في منح باسترناك جائزة « نوبل » نوعا من الدعاوة السياسية ، ويتمنى ان يتخلص مقدرو مثل هذه الجائزة الانسانية الكبرى من هذه المؤثرات البعيدة عن الانسانية .

والثاني انه يستنكر موقف الادباء السوفياتيين حين استعدوا الدولة على باسترناك ، ويرى في ذلك طعنا لحرية الفكر وحربة في اساليب جلاء الحقيقة . ويعتقد ان مثل هذا الموقف « اثر مترسب من ذهنية تكونت في الامس ثم فقدت اليوم سببها وظهر ضررها ».

وهو في حديثه كله يبدو وكما هو دوما ، نصيرا للحرية الفكرية ، ويتمنى ان يجاوز الاتحاد السوفياتي هذه المرحلة من تقييد الحريات ، ويأمل ان ياتي يوم في ذلك البلد « يستطيع فيه كاتب بملء الحرية ،في جريدة سوفياتية او مجلة او كتاب ، ان ينقد الحكام السوفياتيين وهم في سدة الحكم » .

ونحن جميعا معه عند هذا الرجاء . والعالم كله يرتقب منذ امد طويل مثل هذه الامنية . ولكن من حقنا ان نسائل الى اي حد يمكن ان تتحقق مثل هذه الامنية ضمن البنية العامة للنظام القائم في الاتحاد السوفياتي؟ وهل تقييد الحرية في ذلك البلد عرض زائل ام جزء لا يتجزأ من منطق نظام بكامله ؟ ان الشيوعية تنظر دوما الى المرحلة التي هي فيها على انها مرحلة سوف تجاوزها الى مرحلة الشيوعية الحقة ، وتعد التدابير المتخذة في المرحلة الحالية ضرورات مؤقتة لا بد منها للوصول الى المجتمع الشيوعي المطمئن . ولكن من حقنا ان نسائل الى اي حد ما يزال الامل قائما في ان تستطيع الشيوعية الخلاص من كل التطور الحي الذي مرت به ، لتعاود ادراجها الى شيوعية مكتوبة موضوعة على الرف . وان صح ان هذا ممكن ، من حقنا ان نتساءل : هل من الجائز التضحية بانسانيـة حاضرة ، بانسانية حية ، في سبيل الوصول الى انسانية جديدة ، انسانية مزعومة ، لسنا واثقين البتة من امكان الوصول اليها ، واغلب الظن انها غدت مبررا لارتكاب كل الاخطاء مع الانسانية الحالية ؟ وهل من الممكن ان نصل الى حرية الانسان على انقاض حريته ؟

ان بناء الانسان الاكمل تربية جاهدة ، لا يمكن ان تترعرع الا في جـو الحرية .

٥ ـ « يقظة العرب وامل البشرية »

في هذا المقال المدروس العميق يتحدث الاستاذ ذوقان قرقوط عن

موقف العرب تجاه المعسكرين المتناحرين ، وعن اصالة موقفهم حين اتخذوا الحياد الايجابي قدرا لهم .

وهو يتحدث حديثا دقيقا عن مناعة القومية العربية على الاستعمار ومغرياته وعن عوامل هذه المناعة . ثم ينتقل الى الحديث عن المعسكر الشرقي ونظامه ونشأة هذا النظام وتطوره ، مبينا تلك الحقيقة وهي ان ماركس لم يكن « نبيا » ولا « عاميا » في كل ما قال ، مشيرا الى عدم تحقق النبوءات الماركسية المتصلة خاصة بالانقسام المطلق الذي تصوره بين طبقة الرأسماليين وطبقة العمال . وقد بين بيانا جميلا كيف وقع الماركسيون انفسهم في احبولة المغالطات نفسها التي اخذوها على اصحاب المذاهب الغيبية ، فحاولوا بكل الوسائل التدليل على عصمة ماركس ، وقسروا الاشياء قسرا لتدخل في اطار النبوءات الماركسية .

ويبين الكاتب في النهاية كيف ان مصير الانسانية اليوم ان كان بين ايدي المعسكرين المتنازعين ، فان انقاذ الانسانية بات بعيدا عنهما . وقد اجتازت الانسانية مرحلة المفاضلة بين النظامين الشرقي والغربي وتقدير عدالة احدهما على حساب الاخر » .. وان الخطأ كل الخطأ في ان نحسب اننا بين قرني الاحراج ، وحربتي القدر : فاما شرق واما غرب . ومن هنا يأتي معنى الموقف الحي الذي تتخذه البلاد العربية اليوم ومعها كتلة الشعوب الاسيوية الافريقية ، موقف الحياد الايجابي . فهذا الموقف تعبير اصيل اولا عن طبيعة القومية العربية وعن معنى تاريخها ، وهو ثانيا تعبير عن تجربة الانسانية كلها ، بل تعبير عن نزعة البقاء نفسها ، هذه النزعة التي تدفع فكرة الحياد الايجابي بين المعسكرين الى الوجود ..

ومن العسير ان نوفي المقال حقه من التحليل والتلخيص ، وهو بحق جدير بالتأمل والدرس ، فيه وصف دقيق لتجربتنا العميقة امام المعسكرين وللبواعث الانسانية والقومية الاصيلة التي ولدت فكرة الحياد الايجابي .

٦ — الامير عبد القادر : بطولته وشعره :

في هذا المقال يكشف صاحب كتاب « الثورة الجزائرية » عن جانب مجهول من حياة البطل العربي الامير عبد القادر الجزائري . فالقليل يعرف عن الامير انه شاعر وناثر . والقليل يعرف حظه من الثقافة وباعه في التأليف . وهذا ما يحاول ان يستدركه صاحب المقال . وهكذا يحدثنا عن ثقافة الامير على يد والده في كلية وهران ، وعن كتابه الفلسفي « المواقف في علم الحقيقة » الذي فقد من كتب الامير حين هاجم الفرنسيون قصره واحرقوا مكتبته الثمينة ، كما فعل « هولاكو » التتري بمكتبة بغداد . ثم ينتقل الى الحديث عن شعره الذي لم يجمع كله والذي يقسمه الى اربعة اقسام : شعر ما قبل الحرب التحريرية وهو شعر مفقود تماما التهمه الحريق ، وشعر الحرب التحريرية وفيه قصائد قصصية او حماسية يصف فيها مواقعه مع العدو ، وشعر المنفى الذي كتبه يوم نفاه الفرنسيون الى « امبواز » غدرا ، وهو شعر يغلب عليه الطابع الصوفي والتشوق ، واخيرا شعر ما بعد المنفى ، وهو الذي كتبه في مقامه الاخير بدمشق ، وفيه ينث قصائد الشوق الى اهله وبلده .

والاستاذ احمد الخطيب يستحق شكر القراء اذ يكشف لهم عن جانب من جوانب عبقرية الامير الكثيرة ، وعن طرف من حياة هذا العملاق الضخم . ولا غرابة ، فلطالما كان العمالقة في التاريخ مجيدين في اكثر الفنون ، تستوي عندهم صناعة السيف وصناعة القلم . اليست الحياة كلا لايتجزأ؟ او ليست تتفتح جميعة ؟ او ليست العبقرية اخيرا غرفة من نبعها ؟

٧ — الفن مادة الحياة :

هذا المقال الذي تعاود نشره الاداب جدير في الواقع بالنشر مرات . فهو استعراض عميق للمذاهب الفنية ، وللمذهب الذي يأخذ به الكاتب الاستاذ شاكر حسن سعيد .

وقوام هذا المذهب الحديث ، اوقل النظرة الحديثة للفن ، ان العمل الفني فعل مرتبط بالحياة ، وموقف يقفه الفنان من الحياة . وخلال هذه النظرة تزول المشكلات الجزئية التي كانت تطرقها المذاهب الفنية القديمة من التكعيبية والتعبيرية والسوريالية . فالتكعيبية كانت تعتبر المشكلة مشكلة البحث في الشكل الذي يتبدى فيه الشيء ، البحث في المناظر على حد تعبير ابن الهيثم . والتعبيرية تعتبر المشكلة على العكس مشكلة البحث في مضمون الشيء لافي حقيقة ظهوره ومنظره وابعاده . والسوريالية تبدأ بداية التعبيرية ولكنها تعتبر مضمون العمل الفني تجسيدا للاشعور .

اما النظرة الجديدة ، فتنكر هذه المشكلات جميعها ، وتعتبرها تزول من تلقاء ذاتها ضمن الموقف الحيوي الجديد الذي يعتبر العناصر التي تبحث فيها المذاهب السابقة وسائط ووسائل وادوات في خدمة الغاية الاصيلة وهي تجسيد حياة الفنان ومن خلالها حياة الاشياء . فالالوان والخطوط والموضوعات الخارجية كلها تغدو وسائل تشكيلية يبني الفنان منها الحياة .

وهكذا تمزق الحياة الظاهرية ويعاد تنظيمها من قبل الفنان تنظيما يعبر عن موقفه الذي يريد ان ينقله . وهكذا ايضا يحطم « الظهور الطبيعي » للاشياء ليتعقد في اطار جديد وهو اطار تجربة الفنان الحية التي يبغي التعبير عنها .

وبقول موجز ترى النظرة الحديثة ان الاشكال الطبيعية المرئية ليست سوى اجزاء واشلاء تكتسب معناها عندما نضعها في كيان عضوي جديد ، هو موقف الفنان من الحياة .

والمقال كما نرى مقال عميق ودقيق ، يعوزه بعض الوضوح وينقصه الاداء الطيع والاسلوب العربي المبين .

دمشق — **عبدالله عبد الدائم**

القصائد

بقلم يوسف غصوب(1)

احرج صديقي الدكتور سهيل ادريس ، موقفي عندما طلب مني ابداء رأيي في القصائد المنشورة في العدد الفائت من مجلته « الآداب » . انا افهم ان يقرأ القارىء قصيدة تثير اعجابه فيتحمس لها ولا يسعه ان يكتم تحمسه فيشيد بها بين اصحابه او في مجتمعاته او يتناول القلم من تلقاء نفسه ويدبج ثناءه ويرسله الى صاحب المجلة لحسن اختياره او الى الشاعر ليفضي اليه بما وجد من اللذة في تلاوة قصيدته . اما ان ياتيك صاحب المجلة ويقول لك : هذي قصائد اسألك ابداء رأيك فيها . فهذا مازق لا تخلص منه الا بالقبول او بالرفض . فاذا كان صاحب المجلة عزيزا عليك اضطررت الى مجاراته . وهذا ما كان بيني وبين صديقي سهيل . على ان الراي في الشعر نسبي كما هي الحال في سائر الفنون الجميلة . فكل راي فيه يظل موقتا الى ان ينقضي الزمن الذي شهد ولادته . فان الزمن غربال قاس اذا وضع فيه الصنيع الفني تحرك وراح يعزل عنه جميع العوامل التي اسهمت لحين في تحبيذه او شجبه ، فلا يبقى منه الا العنصر الشعري الخالص . والعوامل التي تجعل من الشعر ، يوم نظم رائعة نادرة او بضاعة رخيصة ، هي كثيرة لا بد من ان تؤثر في الناقد ما لم يكن هذا الناقد مجردا منها جميعا وهذا ما يندر وجوده . ومن تلك العوامل البيئة والزمن اللذان صنع فيهما الشعر ، والحوادث التي رافقته واستعداد القارىء لتلقيه والمستوى الثقافي والفني عند الشاعر والقارىء وغيرها كثير نجتزىء بما ذكرنا منها . اما البيئة والزمن فقد يكون الشاعر من بلد غير بلد القارىء او من زمن غير زمنه فلا تجتمع لديه العناصر الكافية لتذوق الشعر على افضل وجوهه فما ينظم في الصين مثلا او في اميركا او العراق او مصر قد لا يكون له صدى في لبنان لعدم تلاؤمه وجو لبنان الطبيعي والثقافي. اما الحوادث الجارية في بلد من البلدان فقد تهيج شعورا في الشاعر والقارىء لا تهيجه في بلد اخر مما يذهب بكثير من قيمته الحالية ويضعضع الرأي فيه . وكذلك استعداد القارىء فقد يكون غير متاهب لتلاوة الشعر من جراء مشاغله النفسانية او المادية او لانصرافه الى امور لا شان للشعر فيها ، فلا بد لمن يريد التلذذ بالشعر من جو هادىء تجتمع فيه الاسباب الداعية التي تذوقه والتمتع بايحائه وموسيقى الفاظه . ثم هناك المستوى الثقافي والفني ، فالقراء ولاسيما في عصرنا هذا يختلفون جدا ، فمنهم من ربي على الادب الكلاسيكي او التقليدي فلا يستطيب سواه ومنهم من اقتصر على علم النفس او الفلسفة او العلوم الطبيعية او السياسية او التاريخية فلا يرى متعة الا بما يمت بصلة الى الفرع الذي اختاره لنفسه . فلكل هذا ولغيره من العوامل الكثيرة التي لم اذكرها والتي تؤثر في القارىء وفي رأيه عندما يطالب منه ابداؤه في قصيدة او شعر ، قد ترددت في النزول عند رغبة صديقي سهيل . لكنهقال لي : انت شاعر وهذا حقلك ...

هذا حقلي ، لكن ليس من شيء ادعى الى الشبهة من رأي شاعر في اخر . فلكل شاعر حقل ينبت فيه ازهاره ورياحينه ، ويعنى بها عناء يشغله عن حقول غيره . فاذا اطل عليها اطلالة ورأى فيها ما ينسجم مع منتجاته رضي عنها وقد يغتبط بها لاعتقاده انه من الذين يقتدى بهم، او ان طريقته هي الطريقة المثلى . اما اذا رأى فيها ما يشذ عن قاعدته او يناقضها اغتم ونفر وربما داخله شك في شعره او وجد في شعر غيره ما هو جدير باعجابه. فاذا لم يكن على خلق متين ولم تكن لـه الجرأة الكافية على الاعتراف به اغفله او تجاهله او حاول الحط من قدره بما يختلق من المزاعم وما يدلي من الادلة والحجج . فكيف يطلب والحالة هذه ، من شاعر ابداء رايه في شعر غيره ؟ اليس من الاجدر ان تعطى القوس باريها فلا يلجأ في النقد الا الى الاختصاصيين بـه فانهم كرسوا نفوسهم للنظر في الصنيع الادبي واظهار حسناته او سيئاته وارشاد القارىء في قراآته ، لا يرمون الى المناقشة ولا الى التحيز . هذا ما يفرض فيهم مبدئيا ، فان اخاوا خانوا مهمتهم ولا يلبث نفوذهم ان يضؤل والثقة فيهم ان تضعف .

وبعد هذا ، يقول قائل :

ـ لم تكلفت هـذا العناء ؟

فاجيب : تكلفته لارضاء صديقي سهيل ثم للادلاء بهذه الاراء ، فاحط عني ثقلها . وقد يكون فيها ، على علاتها ، بعض الفائدة . ثم للاعراب عن نظرات في الشعر الحديث والقديم ، فاطيل هذا المقال ليصبح لائقا « بالآداب » هذه المجلة الضخمة ، المفرطحة الصفحات ، الدقيقة الحروف ، فان المادة الشعرية التي طلب مني نقدها ضئيلة لا تتطلب ، اذا حصر البحث فيها ، كلاما مسهبا . هكذا اذا لم يكن الناقد هو رجاء النقاش الذي تكلم في العدد الاخير من « الآداب » على ديوان « مدينة بلا قلب » فهذا الناقد لو كلفته نقد قصيدة لوضع لها كتابا برأسه جمع فيه كل ما يعرف عن الشعر منذ بدء الخليقة حتى يومنا هذا ، فذكر سقراط ومن عاصره من الفلاسفة والقدامى من الشعراء وطريقتهم في النظم وتحدث مليا عن الرومانسية والرمزية والسريالية وحللها جميعا، وتطرق الى تطور الشعر وتدرجه من مرحلة الى مرحلة واستشهد بالشعراء من اغراب واعراب وبسط لك مدى اطلاعه وغزارة مادته حتى لا يفوتك شيء من علمه . انا لا الومه في ذلك فهو غني ينبغي لكل قارىء ان يطلع على ثروته الادبية ليقدره حق قدره ويقيم وزنا لكلامه ، غير انه، في نهاية حديثه الممتع ، قد ابدى اراء شخصية في شكل الشعر القديم والحديث فقارن بينهما وانتهى الى القول بان للشكل الحديث ميزات لا يسع الشكل الكلاسيكي العربي التحلي بها . ومن هذه الميزات « التشخيص » وهو كما يقول الاستاذ محمود العالم « التعبير بالصور » ومنها وحدة القصيدة ومنها الحوار . فالتشخيص بزعم النقاش « ان هذا العنصر لم يكن في الامكان ان يظهر عن طريق القصيدة العربية القديمة ، وهي في مجملها شكل فني بدائي محدود الطاقة والابعاد ...» فكيف سيغ لنفسه القول بأن القصيدة القديمة « بدائية » على ما فيها من التنوع والفن وحسن الصياغة واختلاف الاوزان وعلى ما مرت به من العصور وما اجتازت من مراحل التطور وعلى ما تركت لنا من الروائع . اما ان شكلها محدود الطاقة والابعاد فهذا ما لا نرضاه للقصيدة الكلاسيكية ، فالشواهد على بعد مداها ونزعتها الانسانية اكثر من ان تحصى ، ففي الشعر العربي القديم والحديث ، بالرغم من شكله التقليدي ، روائع لا يحول وزنها ولا قافيتها الموحدة دون احلالها في مرتبة عالمية . اما التعبير بالصور فان قصر فيه اصحاب الشكل

---

(1) هذا رأي شاعر لبناني كبير في قضية الشعر الجديد بالاجمال . وكما طلبت « الآداب » من الاستاذ غصوب ان يبدي رأيه في الشعر الجديد عامة وقصائد العدد الماضي بصورة خاصة ، فانها تفسح المجال طبعا للرد عليه .

التقليدي ـ وما اراهم قصروا ـ فهل يعزى التقصير الى الشكل ام الى الشاعر . ألا يستطيع الشاعر الشاعر ان يقول بشعر موزون مضبوط ما يستطيعه غيره في نثر شعري ؟

ويورد النقاش مثالا ، يدعم به زعمه ، قصة فتاة وفتى صورت فيها نفسيتهما وتباين المرمى بينهما ويقول : « لم يكن الشاعر القديم يستطيع ان يفعل اكثر من نظم هذا المعنى في مجموعة من الابيات المحدودة المباشرة » ولماذا لا يستطيع ؟ هذا ما يفوق ادراكنا .

ثم يقول ان التشخيص هو التعبير بالصور لا بالافكار وهذه الطريقة « تميز شعرنا الجديد عن الشعر القديم تمييزا جوهريا » قد يكون الشعر تطور في مراميه واهدافه ، على ان ذلك لا يجعل الشكل علة هذا التطور . فالشكل ليس امرا جوهريا في الشعر انما الجوهري ان يكون شعرا .

اما الوحدة في القصيدة فامر مفروغ منه منذ مدة بعيدة . الا يرى الناقد ان الشكل الكلاسيكي قد تعرى من كل شيء لا علاقة له بموضوع القصيدة . واذا كان من شذوذ عن هذه القاعدة فمعظمه يكون في الشكل الحديث اذ يرخي الشاعر العنان لخياله « فيحشر » في قصيدة كل ما عن له غير آبه لغموضه او غرابته . وقد تغريه صورة فيدرسها حيث لا مكان لها .

ثم ينعي النقاش على الشعر القديم عجزه عن الحوار ولاسيما الذاتي منه فهذي بدعة ما سمعنا بها من قبل فمعظم الشعر العربي القديم حوار ذاتي .

اما وحدة القافية التي يقول انها تقيد الشاعر فما اهون حل هذا القيد فكثير من الشعراء الكلاسيكيين لا يلتزمون القافية الواحدة بل يتفننون في مزج القوافي وتداخلها وتنويعها دون الخروج على عمود الشعر الذي هو الهيكل الحقيقي له .

وعلى كل حال فانا لا ادافع عن الشكل القديم ولا عن الشكل الحديث بل ادافع عن الشعر ذاته ، فهات شعرا واجعل شكله كيف شئت . وقوام الشعر روعة الاداء واصالة النزعة الانسانية فيه ، فاذا تبقى شيء من هذا بعد نزع الطفيليات التي ترافقه من مرام سياسية واهداف دعائية واغراض خاصة ، كان شعرا والا ذهبت قيمته بذهاب اسبابها .

اما الان ، ولا مفر من نقد « القصائد » فاقول ان اول ما لفت نظري هو خلو « الاداب » الاخيرمن الشعر اللبناني ، الا اذا كان خليل حاوي لبنانيا ، غير ان قصيدته آتية من ضباب كيمبردج . وسائر القصائد الاخرى من القاهرة ونابلس وبيروت . غير ان قصيدة بيروت لشاعر غريب عن لبنان . ومما استرعى انتباهي ايضا ان الشعر يرتدي الشكل الجديد الا قصيدة واحدة التزم فيها صاحبها الوزن والقافية ، فهل ضؤل الشعر في لبنان ام ان الشاعر اللبناني ضنين بصنيعه لا يلقي به الى القراء الا بعد صقله وادماجه ورضاء نفسه عنه ؟ ومن الغريب ان الشكل الشعري الحديث لا يلاقي في لبنان الرواج الذي يلاقيه في مختلف الاقطار العربية ، على ان الشعر المنثور بدأ في لبنان من زمن بعيد مع جبران والريحاني ايام لم يكن له اثر في الادب العربي . فهل زهدفيه اللبنانيون لسهولته وقرب متناوله اذ لا يقتضي جهدا كثيرا ولا يضطر الى الامعان في الاختيار والضبط والاقتضاب وحصر الصور والمعاني في الكلام الوجيز ، ام ان الشاعر اللبناني لا يرى الفن الا في الصعوبة ؟ على ان الشعر المنثور ، اذا كان شعرا حقا ، هو شاق، وعر ، لانه لا يرتكز على ايقاع الوزن والفة القافية ، بل يتكيء على روعته الذاتية ومتانة تعبيره . اما اذا لم يتوخ فيه الناظم الا السهولة وامكانية التوسع فلا يأتي الا بمقال صحفي كتبت جمله المقفاة او غير المقفاة على انفراد كل جملة في سطر بدلا من تتاليها كالنثر على السطر الواحد . فان كانت القافية المميز الوحيد من النثر كانت مقالات بديع الزمان والحريري من الشعر .

قلت ان هذه الطريقة سهلة ما لم يكن متبعها حريصا على الشعر فيها . فالشعر ليس له حدود معروفة ، فرب جملة تكون شعرية من غير وزن ولا قافية ولا كتابة على سطر مستقل ، فنشيد الاناشيد في التوراة شعر لا اشكال فيه مع انه منقول الى العربية ولم يحد الناقل عن معانيه الاصلية غير انه انغمس في جوه وجاء فيه بالجملة الشعرية التي لا تكسب روعتها من الوزن ولا القافية بل من الصورة والنفس والاقتصاد في الكلام وحسن اختياره .

وقد عن لي الان وانا اكتب ان اعطي مثلا على سهولة القول في شكل الشعر الجديد وخطر على بالي بيت من الشعر العربي هو كاف بذاته ليكون قصيدة وموضوعا للتأمل :

وهذا البيت الذي لا ادري من قاله هو :

ما مضى فات والمؤمل غيب ولك الساعة التي انت فيها

فلو اردت ان اتوسع فيما يوحي الي هذا البيت لقلت مثلا :

مالك تفكر في الامس وفي الغد ؟
مالك والامس والغد ؟
انت ، وان كنت في شرخ الشباب
انت ، وان كنت في اهاب العافية
لا تدري ما يكون غدك
لا تدري ما كتب لك .

قد تدركك الساعة فتهوي .
ألا أغفلت غدك ونظرت في ساعتك
ألا ملأت عينك بنور الشمس ؟
ألا ملأت عينك بأزهار الربيع ؟
ألا نشقت النسيم العاطر الصاعد من الوادي
ألا تمتعت بكل ما وهبك الله ؟
فاغتنمت كل سانحة وبارحة
والتقطت الجوز حين ينثر
وتناسيت البغضاء والحسد والانانية
واغتبطت بالجمال حيث كان
انت تسعى وراء الظل وتهمل ما تحت يدك من لذة ومتعة .. الخ..

هذا ضرب من التوسع قد يكون سخيفا . وقد يأتي غيري فينظر الى البيت غير نظرتي فيجعل منه موضوعا لعظة او حافزا على الجد والنشاط او اغراء بالمغامرة والمخاطرة . ففي هذا البيت مجال واسع للخيال غير انه بحد ذاته شعر مرح لم يمنعه اقتضابه ومتانة حبكه من حمل القارىء الى آفاق مختلفة بعيدة .

ولنعد الى القصائد . وقبل الخوض فيها ارى ان لا يحزن اصحابها او يفرحوا لرأي قد يكون مصيبا او مخطئا .

الناي وريح الرمل

هذه القصيدة لا ترضي لاول وهلة لكنك كلما عاودت قراءتها وانغمست في جوها تبينت من خلالها نفسا قلقة قد ارغمت على شيء وهي تأباه فتتصور ان قائلها طالب في جامعة يقضي نهاره بين الكتب والاوراق والمحابر والاقلام وهو لا يعلق عليها كبير جدوى انما همه ان لا تسطو عليه فتفقده ذاتيته وتقيد افكاره وتضعف ثقته بنفسه . فاحب شيء اليه التملص منها والتملص من الكذب على نفسه فيترك هذه الهنات التي هي كالمومياء لا حياة فيها ويعود الى الحياة الحقيقية حيث يجري الدم في العروق . وحيث حبيبته التي تغلي في راسه ذكراها وتعزف له لحنا كئيبا تمثل معه الصور الفاجعة المؤلمة فيخيل اليه ان الحبيبة تقضي او كادت ولم تتمتع به ولا بملذات الدنيا ، وكل ذلك من جراء غيابه وانصرافه عنها الى مضاجعة الدفاتر والكتب التي لا حياة فيها . ومن تكون هذه الحبيبة ؟ اترى هي الشرق الذي يرزح تحت اعباء الماضي والخرافات البالية واصحاب المساخر الذين يرتدون ريش الطاووس ليستروا ما بهم من قباحة وضعف والتقاليد الواهية وغير ذلك مما يقيد الشرق ويرفع في وجهه السياجات دون الرقي والحرية الصحيحة فيود الشاعر لو كان بيده ريح غضوب يتصرف بها كما يشاء ، ريح يثيرها من الصحراء فتهب على الشرق وتقتلع كل ما فيه من رواسب ومفاسد وتفسح المجال لبناء جديد على تراب « بكر يزهو باعمدة الجباه ، يزهو بغابات المدن الصبايا ، لبن ارصفة وجاه » لكن بينه وبين الباب الذي ينطلق منه ليقبض على الريح الغضوب « صحراء ن الورق العتيق وخلفها ، واد ن الورق العتيق وخلفها ، جبل من الورق العتيق . »

هذه القصيدة المشحونة بالصور تتاجج نارا وتلتهب حربا بين شرف المرمى وبعده وقصر اليد عن بلوغه فهي صراع لا هوادة فيه يعانيه كل شاعر وكل انسان تؤلمه البشرية في حالتها الحاضرة . وارى ان الشاعر يامل ان تكون العبارة اي الكلمة سلاحا له لخوض هذه المعركة العنيفة ، العبارة التي تخرج من قلبه وانسانيته وعقله لا العبارة التي يوحي بها الجن ، فقد ذهب عهد الجن وانقضى .

ويلي هذه القصيدة قصيدة ثورية ايضا انما ثورتها على الشعراء الذين « ينمو القمل في اشعارهم » وعلى المتاجرين بالديانة الذين يبيعون الله في المزاد . ويكتنف هذه القصيدة غموض كثير جاء عن قصد ، فان الشعراء الذين يذكرهم صاحبها فيها انقرضوا او كادوا الا اذا عنى بالشعراء كل متزلف متاجر بضميره كبعض الصحفيين الزائفين ومن لف لفهم .

اما « سيمفونية الزحف » فقصيد حماسي اقرب الى الفن الشعبي منه الى الشعر . ولا ادري ،عند تلاوتها ، كيف تصورت صاحبها يتقدم جمعا غفيرا فيلتفت اليهم من حين الى حين ويقول : رددوا ، يا شباب : من الف نهار .. فيرددون : من الف نهار .. الخ . وذكرتني هذه القصيدة باغنية لحنين كان لها في وقتها نجاح عظيم وهي :

شدوا الحبال ، يا ريس ..

والبحر جبال ، يا ريس ..

« الى نجمة الغروب » قصيدة كئيبة تشكو صاحبتها ملك عبد العزيز الى نجمة الغروب ما قاست من الالم لعدم تمكنها من البكاء لكن الله الرحمن الرحيم قد الهمها ان تاتي الى ضفة النيل فما ان وصلت الى الشاطىء الغربي ورأت الماء يجري حتى سرت الى عينيها عدوى جريان الماء فجرى دمعها بغزارة .

« اسطورة الوفاء » اول ما يتبادر الى الذهن عند تلاوة عنوان هذه القصيدة ان الشاعرة فدوى طوقان تورد لنا اسطورة كان للوفاء قسط وافر فيها . فاذا الامر عكس ذلك فان الشاعرة ضعيفة الثقة بالوفاء . فكان الاحرى ان تعنون قصيدتها « الوفاء اسطورة » فياتي العنوان اشعر واكثر ايحاء للكآبة التي تغمر القصيدة وتشيع فيها لحنا محزنا .

« الشمس خلف غيمة الخريف » حوار بين حبيب وحبيبته مما لا يشغل بالنا كثيرا الا اذا كان حسن فتح الباب يرمز في حواره الى شؤون خطيرة فاتنا ادراكها .

« الى عابرة » يخبرنا كمال نشات في هذه القصيدة عن رؤيته صباح يوم جمعة من شهر مارس (لماذا مارس لا اذار ؟) فتاة جميلة بالقرب من قصر النيل . وقد بسط لنا كل هذه التفاصيل ليقول لنا اخيرا ان يديه خوتا من النقود فلا يستطيع التزوج بها . هلا فتش عن مكسب غير الشعر فربما استغنى وفاز بامنيته ؟

والقصيدة الاخيرة « زواج شاعر » قد نظمت على الشكل الكلاسيكي اي لها وزن وقافية ، لكن صاحبها يقضي معظم وقته مع القافية ويهمل زوجه فتلومه وتعتب عليه ونحن نرى ان الحق بجانبها .

يوسف غصوب

النشاط الثقافي في الوطن العربي

الجمهورية العربية المتحدة

لمراسل الآداب في القاهرة

- ١ -

مفكر جامعي

أصدر السيد ثروت عكاشه وزير الثقافة والارشاد التنفيذي للاقليم المصري قرارا بتعيين الدكتور لويس عوض مديرا عاما لادارة الثقافة بالوزارة .. وقد كان هذا الاختيار على جانب كبير من التوفيق ، ويهمنا فيهذه الدراسة القصيرة ان نحدد دور لويس عوض في مجال الثقافة العربية في مصر ، مع تأكيدنا لاهمية ذلك القرار الذي اتخذه وزير الثقافة في الاستعانة بمثل هذا المفكر الذي يستطيع ان يؤدي دورا نافعا في تخطيط حياتنا الثقافية .

- ٢ -

كان الجيل الاول من ادبائنا يحمل على عاتقه عبئا رئيسيا هاما هو : فتح نوافذ الثقافة العربية على ثقافة الغرب ، واخراجها من ذلك الاطار المحدود الذي وضعت فيه وهو اطار الثقافة العربية القديمة ، فقد كانت ثقافتنا خاضعة لذلك الاطار حتى اوائل القرن العشرين خضوعاكاملا على التقريب .. وبدأ الجيل الاول يناقش مشاكل ثقافتنا وادبنا مناقشة جديدة ، على ضوء مناهج جديدة لم يألفها العقل العربي من قبل .. كان لطفي السيد ينادي بالديموقراطية وكانت كلمة الديموقراطية غريبة غير مألوفة بالنسبة لنا ، وهي وان كانت معروفة في بعض الاوساط فلم تكن معروفة بمعناها العلمي الصحيح ، ولكن لطفي السيد اخذ يشرح معناها العلمي الفلسفي ، وينادي به ، ويدعو الى تحقيقه ، اما طه حسين وهو تلميذ لطفي السيد ثم زميل له ، فقد اعلن التمرد على اليقين المطلق والايمان الكامل بما ورثناه من افكار وعقائد ، فدعا الى « الشك » الذي دعا اليه الفيلسوف الفرنسي « ديكارت » في عصر النهضة الاوروبية ، والذي كان بداية حقيقة للحضارة الحديثة لانه اعاد الى « العقل الانساني » وايقظ ما فيه من امكانيات على التفكير والابتكار ... وكان العقل الانساني عاجزا يتلقى الاشياء التيتركها الاباء والاجداد دوناعتراض، ودون رفض، ودون تفكير فيما هو صالح وما هو ناقص ، او عديم الصلاحية .

دعا طهحسين الى الشك ودعا الى التفكير ايضا ، فلا يمكن ان يشك ذلك الذي لا يفكر ،وانما يتلقى افكار الاخرين ويطيعها .. وبدأ طه حسين يطبق دعوته الى الشك والتفكير تطبيقا عمليا ، فعاد الى دراسة الشعر الجاهلي دراسة جريئة ، ونظر نظرة متحررة الى «القرآن» فحاول ان يفكر فيه تفكيرا عقليا حرا ... والقرآن والدين عموما كانا اكبر المقدسات في حياتنا العقلية ، ولكن قداسة القرآن والدين بلغتا في نفوس الناس واذهانهم مبلغ الجمود ، فكان من المحرم على الناس ان يفكروا في القرآن او الدين ، وان يجتهدوا في تفسير النصوص الدينية، وان يلائموا بين مناهج العلم والحياة العصرية وبين الدين « وضرب » طه حسين ضربته، فدخل بمنهج «الشك» وبمنهج التفكير المستقل المتحرر الى عالم القرآن وعالم الدين ... وكانت لديه حجة كبيرة من قلب القرآن نفسه .. هي ان القرآن يثبت قيمته بطريقة اروع لو فكرنا فيه تفكيرا عقليا حرا وحاولنا ان نتأمله بدقة ووعي وجرأة .. لكن فكرة طه حسين بالطبع اثارت ضجة كبيرة ، لانه كان يتحدىعالما تعود على التسليم ، وتعود على الطاعة وتلقي الافكار دون مناقشة او بحث .. وقام الكثيرون يهاجمون طه حسين بعد ان صدر كتابه « الشعر الجاهلي » والذي كان يعبر عن وجهة نظره المتقدمة المتحررة ، وصودر كتاب طه حسين ، واضطر المفكر الجريء ان يخفف من حدة كتابه وعنفوان منهجه الجديد ، واصدر الكتاب نفسه بعد التعديل واسماه « الادب الجاهلي » وكان الكتاب المعدل يحمل الافكار الرئيسية للكتاب الاول .. وقد اصدر المفكرون الذين كانوا يمثلون قمة الجمود العقلي في ذلك الحين ، وان حاولوا ان يضفوا على هذا الجمود شكلا عقليا منطقيا .. اصدر هؤلاء المفكرون عدة كتب لنقد طه حسين والهجوم عليه هجوما عنيفا مرا ، وكان على راس هذه الكتب كتاب « تحت راية القرآن » لمصطفى صادق الرافعي.

ومن الغريب انـنا اليوم عندما نقرأ كتاب طه حسين الذي أثار كل تلك المعركة ، فاننا نجده يعبر عن افكار نؤمن بها جميعا ، ويكاد الجيل الجديد كله يعتبرها بديهيات عقلية لا تحتاج الى معارضة او مناقشة ، بل ان بعض ابناء الجيل نفسه يرون في هذه الاراء افكارا متخلفة عن العصر ، ويرون اننا في حاجة الى ان نسبقها ونتقدم عليها ، ويرى البعض فيها صورة من افكار سبق طه حسين اليها مستشرقون من علماء الغرب ، وعلى الاخص المستشرق المعروف « مرجليوث » .

وعندما ظهر توفيق الحكيم احدث ضجة كبيرة هو الاخر ، وذلك لانه تربى على الثقافة الغربية ، ثم جاء الى بلادنا ليقدم اليها شكلا ادبيا جديدا لم تألفه من قبل ، هذا الشكل هو « المسرحية» .. لقد كان عندنا قبل توفيق الحكيماشياء تشبه المسرح ، ولكن لم يكن لدينا مسرح أدبي حقيقي ... كان عندنا ممثلون عظام امثال عزيز عيد ، وكان عندنا مترجمون لهم شخصيتهموطابعهم الخاص مثل عثمان جلال الذي نقل الى العربية عددا هاما من مسرحيات موليير ، وكان عندنا مسرحيات شعرية كتبها احمد شوقي.. ولكن كل هذه الاشياء لم تكن مسرحا ادبيا كاملا ، كان النقص واضحا فيها اشد الوضوح ، ولذلك لا يمكن ان نقولان المسرح الادبي قد وجد عندنا قبل توفيق الحكيم .. وعندما جاء توفيق الحكيم وقدم الى عالمنا الادبي مسرحية « أهل الكهف » ثارت ضجة اعجاب كبيرة وثارت الى جانبها مظاهر دهشة واستنكار من اصحاب الافكار التقليدية المتخلفة، وان كانت الدهشة والاستنكار لم يبلغا حدا كبيرا ، لان العمل الفني يستغرق وقتا حتى يفهمالناس ما وراءه منافكار ، اماالعمل النظري المباشر مثل كتاب « الشعر الجاهلي » فلا يستغرق ذلك وقتا .. لانه يقدم نفسه ظاهرة ، ولا يحتاج الى تفسير .

كذلك اثار العقاد ضجة كبيرة في تغيير الفكرة الشائعة عن الشعر والادب بوجه عام وقد تعرضنا لموقف العقاد من الحياة الادبية في مقال سابق .

وهكذا .. كان الجيل الاول من الادباء يحطم الجمود العقلي ، ويحطم الخضوع الكامل للافكار التقليدية القديمة ، ويفتح آفاق الثقافة العربية ، حتى تتفاعل مع الثقافة الاوروبية ، وتستفيد من تقدمها وعمقها وتنوعها .. ولذلك دخل الجيل الاول من ادبائنا معركة عريضة من اجل دفع ثقافتنا خطوة الى الامام ، واتاحة الفرصة امام العقل العربي حتى يستمد افكاره

النشاط الثقافي في الوطن العربي

ليس فقط من ثقافتنا القديمة ، وانما ايضا من ثقافة الغرب القديمة والحديثة على السواء .

بعد هذا الجيل ، كان لا بد من ظهور جيل جديد ، يؤدي وظيفة جديدة ... لقد استطاع الجيل الاول ان ينشيء الجامعة ، وان ينشيء الصحف، وان ينشر التعليم والثقافة العامة في صفوف الشعب .. وكان على الجيل الجديد او الجيل الثاني ان يقوم بتنظيم هذه الاشياء كلها والمحافظة عليها والاستمرار في تنميتها .. لقد كان الجيل الاول هو الجيل الذي كافح حتى خلق « الثروة » وكان على الجيل الجديد ان يعمل الاول على تنظيمها وتوزيعها توزيعا مثمرا ، والمحافظة عليها ، والعمل على ان تؤدي هذه « الثروة » اهدافها المنشودة وجاء الجيل الجديد ، ربما جاء في ظروف اشق ، وربما جاء والدنيا اكثر تعقيدا ، والمشاكل فيها كثيرة متعددة .. لكن جاء ليؤدي دوره ، وليقوم بواجبه ، وقد ساهم الجيل الاول في تربية هذا الجيل الجديد وتهيئة الفرصة له على مسرح الحياة .

وكان لويس عوض واحدا من انبغ ابناء الجيل الجديد ، وكان من المع من ظهروا في صفوفه .

وشخصية لويس عوض مثال واضح بارز للجيل الثاني من ادبائنا، وقد ولد لويس في الصعيد ، وكان ابوه فيما اظن تاجرا ، وقد اراد له ابوه بعد ان انتهى من تعليمه الثانوي ان يدخل كلية التجارة، فهذا هو « مزاج » والده وذلك ما يتمناه لابنه : ان يصبح علما من اعلام الاقتصاد في بلده.. ودخل لويس كلية التجارة بالفعل وبقي فيها فترة غير قصيرة ، ثم فوجيء ابوه ذات يوم بابنه يهرب من كلية التجارة ويدخل كلية الاداب ..وثار الاب ثورة عنيفة ، وحدثت بين الابن وابيه مشكلة كبيرة من تلك التي تحدث دائما بين الاباء والابناء في مجتمعنا بسبب من الاختلاف الجوهري بين وجهات نظر الجيل الماضي ووجهات نظر الجيل الجديد ، مما قد لا نجده في مجتمع متجانس متقارب الافكار مثل المجتمعات الاوروبية ، فقد يكون هناك خلاف بين الاب وابنه .. ولكن هذا الخلاف لا يمكن ان يتسع ويتعمق الى حد التناقض .. ان التقارب كبير بين الاجيال المختلفة هناك .. اما عندنا فقد تجد ابا مسرفا في التدين وابنا مسرفا في الانفصال عن الدين ، وقد تجد اما تلبس الحجاب اما بنتها فتلبس « الشوال» وبين الحجاب والشوال ما بين عصر يؤمن « بالخاطبة » والقيود الحادة المفروضة على المراة ، وعصر يؤمن بالاختلاط وحرية المراة في التعليم والعمل والعاطفة

دخل لويس عوض الآداب وتخرج منها شابا متفوقا في دراسة الثقافة الانجليزية .. درسها في مصر على يد اساتذة انجليز ثم ذهب الى اوروبا وامريكا حيث اتم تعليمه الجامعي ، وعاد معه شهادة « دكتوراه » في الادب الانجليزي ليصبح اول رئيس مصري لقسم اللغة الانجليزية .

ومنذ تخرج لويس عوض من الجامعة حتى اليوم وهو يحاول ان يؤدي دوره في ميدان الثقافة العربية .. دور التنظيم والتفصيل والمحافظة على الثروة التي كسبناها على يد الجيل الاول

وسجل لويس عوض عدة نتائج عامة في ميدان كفاحه الثقافي .

ففي ميدان الترجمة قدم الى المكتبة العربية عددا من الآثار الفنية والنقدية .. ونقف هنا لحظة امام منهجه في الترجمة الذي يعتبر بحق اضافة هامة الى المكتبة العربية ، فقد كان من الشائع المعروف ان يقدم المترجم العمل الذي يترجمه دون مقدمات ، او بمقدمة صغيرة تتحدث عن ذلك العمل الادبي حديثا مباشرا .. وجاء لويس عوض فجعل من الترجمة عملا فكريا كبيرا ، عندما يترجم لا يقدم النص الادبي وحده ، وانما يقدم الظروف التي ظهر فيها النص والمدرسة التي ينتسب اليها، والقيمة التي حققها بالنسبة للادب .. واوضح مثال على ذلك ما فعله في المسرحية الشعرية التي ترجمها للشاعر الانجليزي « شيلي » اذ قدم الترجمة مصحوبة بدراسة واسعة هامة عن الحركة الرومانسية والانقلاب الصناعي في انجلترا ، فالشاعر «شيلي » من اعلام المدرسة الرومانسية الانجليزية ، وتقديم نص ادبي له ينبغي ان يكون مصحوبا بمعرفة الظروف الكاملة التي ظهر فيها هذا العمل والخصائص الفنية الاساسية له ..

هذا العمل الذي قدمه لويس عوض ، يوضح الطريقة الصحيحة للاستفادة من المنهج الجامعي في الدراسة ، انه يتيح فرصة للمنهج الجامعي ان يقدم للناس خارج الجامعة افكارا مدروسة ونصوصا ادبية مفهومة على وجهها الصحيح ، فليست وظيفة العالم الجامعي هي التدريس لطلبته وحسب انما هي ابعد من ذلك واوسع ، انها استخدام المنهج الجامعي في افادة الثقافة العامة وتقديمها بصورة سليمة الى الناس ..

وفي ميدان النقد الادبي استطاع لويس ان يتوصل بوعي الى فكرة « الواقعية في الادب » .. لقد حاول ان تكون الافكار الادبية منبثقة عن نظرية ، بدلا من ان تكون افكارا عامة منفصلة عن بعضها ، على ان تكون هذه النظرية ذات وجه ادبي ووجه انساني.. فليس المهم فقط ان يكون الادب جميلا ومثيرا ، بل لا بد ايضا ان يؤدي « وظيفة انسانية» واستطاع لويس عوض ان يقدم اول تقديم علمي واسع الافق لفكرة «الواقعية في الادب » وذلك في كتابه « في الادب الانجليزي الحديث » ... فقد درس عددا من الفنانين الانجليز المحدثين ولكن منهجه في الدراسة كان واحدا ، وفهمه للادب كان محددا .. كان يصدر عن نظرية متكاملة ... على ان هذه النظرية لم تضع على عينيه ستارا كثيفا يزيف الواقع او يرى فيها جزءا دون جزء .. كلا بل كان يحاول ان يعرض كل اجزاء الصورة ثم يحكم عليها حكما يتيح للقاريء ان يدلي برأي .

فلويس من ابرز النقاد اصحاب النظريات الادبية .. حقا .. وقد يقال عن هذه النظرية الادبية العامة انها ليست مبتكرة ، ولكنها ليست نظرية شائعة في الغرب .. هذا صحيح فعلا .. ولكن لويس عوض اجاد الفهم والتمثل ، ثم اقتنع بهذه النظرية ونقلها الى افضل صورة واروعها واعتقد ان كتاب « في الادب الانجليزي الحديث » هو واحد من المراجع العربية القليلة التي تشرح الفكرة الاجتماعية في الادب شرحا دقيقا سليما مقنعا لا تطرف فيه ، ولا عنف ولا انكار للروح العلمية اللازمة في عرض هذه القضايا ، بالاضافة الى توفر رصيد ثقافي كبير يقدم للكاتب مادته دون تعسف او تقصير .

— ٣ —

وقضية اخرى كان لويس عوض رائدا سباقا فيها فهو الى جانب وعيه الجامعي ومحاولته العلمية للصدور في افكاره الادبية عن « نظرية متكاملة » فانه قد احس بضرورة احداث ثورة في ميدان الشعر ، وساهم في هذه الثورة مساهمة غريبة من نوعها بحق .

ففي سنة ١٩٤٧ اصدر ديوانا شعريا بعنوان « بلوتولاند » كتب على

غلافه « من شعر الخاصة » ولم يسمح ببيعه في المكتبات ، وانما كان يوزعه على اصدقائه ومعارفه من المهتمين بالادب والفن ، وكتب مقدمة لديوانه هذا عنوانها « حطموا عمود الشعر » وكانت مقدمة عنيفة حارة ثائرة تنادي بصورة جديدة للشعر . يقول في هذه المقدمة :

« اني اعلم انجيلنايحس الشعر اكثر مما احسه جيل شوقي ، فجيلنا معذب وجيلنا ثائر ، وجيلنا عاش في الارض الخراب التي انجلت عنها الحربان ، ورقص حول شجرة الصبار ، وجيلنا لم يولد بباب احد ، وجيلنا يكسب قوته بعرق جبينه ، وجيلنا يكافح الاستغلال والاستبداد، وجيلنا لا يشتري القيان من سوق النخاسة كما كانوا يفعلون ، وجيلنا عزيز لا يعفر الجباه لاحد وجيلنا سخي يتسع قلبه للانسانية جمعاء .

ومرت سنوات واذا بدعوة الشعر الجديد تثمر ثمارا ناضجة ، ولا اقول ان ذلك كان بفضل لويس عوض ، ولكن الذي لا شك فيه ان لويس كان واحدا من الذين وضعوا البذور الاولى لهذه الحركة .

وفي مقدمة الديوان يكرر لويس عوض انه ليس بشاعر ، ولكنه ثائر فهو يتحدث عن نفسه قائلا انه « لو ترك له الامر لاستبعد كل ما في الديوان من قصائد فهويسيء الظن بكل ما يكتب وله في ذلك عذره فاكثر شعره رديء » هذا ما يقوله عن نفسه .. فما هو اذن السبب الذي دعاه الى نشر هذا الديوان؟ هناك سببان لا سبب واحد .

اما السبب الاول فهو ضيقه بالركود والجمود فهو يقول في المقدمة « آه من الاسس . قتلني الركود » .. انه يتلفت حوله فيجد العقل العربي جامدا يتلقى الافكار القديمة ويقلدها ، وهو كذلك يجد الوجدان العربي يعيش على الشعر القديم ايضا ، فاذا كان هناك تجديد في الشعر فهو تجديد محدود ... التجديد القديم الذي اضافه الاندلسيون لم يغير من جوهر الشعر العربي ، انه تنويع في « القافية » بدلا من اخضاع القصيدة لقافيةواحدة ، او لنغم رتيب واحد .. وتجديد في الصياغة ، فالاندلسيون قد عرفوا جمال الطبيعة ورقة الحياة .. فرأوا البساتين الخضراء وعاشوا على ضفاف الانهار السائلة العذبة .. اما قدماء العرب فقد عاشوا حياة بدوية جافة خالية من جمال الطبيعة خالية من تنوعها.. وهناك محاولة اخرى للتجديد تلك التي تبعت موت « احمد شوقي » وجيله ... فقد ظهر جيل جديد مثل شعراء المهجر ومثل علي محمود طه وابراهيم ناجي وابو القاسم الشابي ... ولكن هذا التجديد ايضا لم يبلغ مدى بعيدا ، ولم يحدث ثورة كبيرة هائلة في الشعر العربي.

الجمود اذن هو السببالاول الذي جعل لويس عوض يفكر في اصدار ديوانه . انه يريد ان يرى في الحياة من حوله حركة وتجديدا ، بدلا من ذلك الموقف الصلب الذي يقتل كل مظاهر الحياة في الاشياء فتصبح كانها اشياء محنطة وليست مظاهر حياة حقيقية .

اما السبب الثاني فيقول لويس عوض في المقدمة : « لا امل للويس عوض الا ان يقرأ هذاالديوان شاعر ناشيء مطبوع فيتأثر بما فيه من تجارب ويجدد لنا الوان الحياة والحانها ، ويسلخ جلود الشيوخ.»

فما هي التجارب التي يقدمها هذا الديوان الطريف الغريب ؟ سوف نشير الى اهم هذه التجارب دون ان نحصيها ، فكل قصيدة في الديوان هي بلا شك تجربة تحتاجالى مناقشة ودراسة .

اما التجربة الاولى فهي محاولة لويس عوض لفت النظر الى الشعر الشعبي والى قيمته الفنية ، كان يريد الاعتراف باللهجة المصرية وكتابة الشعر بها ، فمصر منذ ان دخلها العرب لم تقدم الى العربية شاعرا كبيرا على الاطلاق وذلك لان مؤرخي الادب لم ينظروا الى الادب المكتوب بالعربية الفضيحة ولم يهتموا بالادب الشعبي او يشجعوه .. ويرى لويس عوض انه « لا يوجد ما يمنع من قيام الادبين جنبا الى جنب ، اللهم الا اذا شككنا في جدارة اللغة العربية والادب العربي وقدرتهما على الحياة » .

ولقد حققت الايام فكرة لويس عوض ، فظهر ادب شعبي مكتوب له قيمته ، ففي ميدان الشعر اصدر صلاح جاهين ديوانا من الشعر الشعبي هو « كلمة سلام » ..وهذا هو الديوان الوحيد الذي كتب باللهجة الشعبية فيالفترة الاخيرة واستطاعان يكسب احترامجمهور القراءوالنقاد. والغريب ان هذا الديوان لم يجد جمهوره الا بين المثقفين الذين يقرأون الشعر الفصيح ، وكان المفروض ان يكسب جمهورا اوسع ، من بين الذين لا يجيدون قراءة العربية الفصيحة .. فلم يحدث هذا .. والسبب في نظري ان الشعر ليس لغة وصياغة فحسب ، بل هو الى جانب ذلك فكر ومشاعر .. والافكاروالتجارب الشعورية التي يعبر عنها صلاح جاهين في ديوانه لا يقل عمقا عن الافكار التي يعبر عنها الشاعر الذي يكتب باللغة الفصحى .. ومن هنا كان جمهور الشاعر الشعبي المخلص هو نفسه جمهور الشاعر الذي يكتب باللغة الفصيحة ..

ومن الاشياء التي حققها الادب الشعبي ايضا دخوله ضمن البناء الفني للون من القصص القصيرة والطويلة على السواء. فقصص يوسف ادريس تعتمد في معظمها على الحوار الشعبي ، ولكن بدقة وقدرة على الاختيار كذلك لا بد من ان نشير الى عمل سابق في ادبنا العربي هو : « عودة الروح » . لقد كان الحوار فيها ايضا باللهجة العامية ، ولكنه كان حوارا جيدا ممتعا .. ولقد قال زميل لبناني مثقف ذات يوم :ان من اكبر عناصر المتعه في عودة الروح ان هذا الحوار مكتوب بالعامية ... ورأي هذا الزميل اللبناني هام ، فهو من ناحية يدل على امكان فهم اللهجة العامية بين ابناء الوطن العربي على اختلاف اقطارهم .. وزميلي هذا من المؤمنين المتحمسين لفكرة القومية العربية .. وهذا معنى اخر .. فالاحساس الصادق بالفكرة العربية ، لا يضيق بتفتح الزهور المتنوعة على النطاق العربي على ان نراعي عدم المبالغة في استخدام اللهجات المحلية عندما تملي ذلك ضرورة فنية حاسمة

ولناخذ مثلا لا من الشعر الشعبي الذي قدمه لويس عوض في ديوانه. انه في قصيدة شعبية تحت عنوان « لعنة » يقول لويس :

خمسين سما فوق راسي
ما فيهاش اله يسمع لي
اديني اي كنيسة
يا رب اصفح عني
ادوسها تحت نعلي
اللعنة راح ترجع لي

هذا مثال من الشعر الشعبي الذي قدمه .. وهو يعبر فيه عن فكرة عميقة هي « القلق » الذي يشعر به الانسان في بعض لحظات الحياة فيسخط ويبلغ سخطه ابعد مداه ثم يعود مرة اخرى الى الهدوء .. الى حالة يطلب فيها الغفران .

والديوان يشتمل على عدد من التجارب الاخرى في ميدان الشعر

الشعبي والتجربة الهامة الثانية التي قدمها لويس عوض في الديوان هي تجربة « الشعر القصصي » .. والشعر القصصي شيء غير الملاحم .. وكما ان الشعر العربي قد خلا من الملاحم فقد خلا ايضا من الشعر القصصي .. ومحاولات عمر بن ابي ربيعة في بعض قصائده ، والعقاد في قصيدته « ترجمة شيطان » ، وشوقي في بعض قصائده ايضا .. كل هذه المحاولات لا يمكن انتخرج عن نطاق من الشعر الغنائي الى الشعر القصصي .. فالشعرالقصصيلا بد ان يعتمد على نغمشعري هاديء، تصبح الموسيقى فيه غير واضحة .. انها موسيقى تنبعث من الداخل حتى لا تشغل القارىء عن القصة اذا ما كانت موسيقى خارجية ظاهرة .. والموسيقى التي اعتمد عليها الشعراء الذين اشرنا اليهم موسيقى خارجية .. ومثال ذلك ما قاله العقاد في قصته الشعرية :

صافة الرحمن ذو الفضل العميم
غسق الظلمة في قاع سقر
ورمى الارض به رمي الرجيم
عبرة ، فاسمع اعاجيب العبر

هنا موسيقى شعرية واضحة عالية اما الموسيقى المناسبة للشعر القصصي فهو موسيقى « بحر الايامب » عند الاوروبيين وهو ما يقابل عندنا « بحر الرجز » .. فالنغم في بحر الرجز هادىء يلائم الطابع القصصي والقصة الشعرية التي كتبها لويس عوض هي التي جعل منها عنوانا للديوان وهي قصة « بلوتولاند » او « ارض الذهب » .. ويقول في بداية هذه القصيدة الطويلة :

ثلاثة رموا عصا التسيار
ذات اصيل في حمى الاهرام
يا طيبة من كنف للساري
ما زال موئلا على الايام

واستمرت القصيدة تحكي قصة هؤلاء وصراعهم في العالم .. واحد منهم شاعر حالم ، والثاني طموح يريد ان يصل الى « المعالي» وثالثهم يريد « ان يهدى الناس».. وتنتهي القصة واذا بهؤلاء يتحطمون لانهم انحرفوا عن طريقهم عندما وجدوا ان الناس لا يحبون الاشياء المثالية ولا يفكرون الا في الواقع وفي الاشياء القريبة ... لقد اصطدموا بعالم مادي لا يقدس الا الماديات

وقد استطاعت حركة الشعر الجديد ان تقدم نماذج طيبة من الشعر القصصي وذلك بعد ظهور لويس بسنوات ، ونحب ان نذكر على سبيل المثال الشاعر بدر شاكر السياب الذي كتب اكثر من قصة شعرية ناجحة مثل « حفار القبور » و « المومس العمياء » .

اما التجربة الثالثة الهامة التي قدمها لويس عوض في ديوانه فهي دعوته الى الشعر المرسل حيث يقول : « ان محنة الشعر العربي على وجه التخصيص هي نظام القافية الواحدة » كما اناكثر شعرائنا « لا يعرفون متى يحسن الصمت ويحسبون ان الشاعر لا يكون شاعرا الا اذا اطال وامل واوفى على مائة بيت على غرار الاولين ولكن هذا تحد للوحي وتزوير للالهام وتقول على ربات القريض »

لقد دعا لويس عوض الى التخلص من القافية ودعا الى « وحدة القصيدة بدلا من وحدة البيت » وكانت هذه الدعوة هي اهم ما اشار اليه الديوان ، واهم حدث فني وقع في عالم الشعر العربي بعد صدورهذا الديوان ، تحت تأثير عوامل متعددة من بينها هذا الديوان نفسه .. لقد بدات حركة الشعر الجديد تشيع وتنتشر .. وكان من اهم ما فعلته ان قضت على وحدة القافية وقضت على وحدة البيت في سبيل وحدة اهم هي « وحدة القصيدة » والنماذج الجيدة من الشعر الجديد فيها ماخ الشعر القديم من عناصر الجمال والروعة ولكنها تزيد عليه بعناصر جديدة لم تكن في الشعر القديم ولم يعرفها في عصر من عصوره .. لقد ظهرت القصة الشعرية في ميدانالشعر الجديد ، وهي في معظمها قصص رمزية لا تفصح باسرارها على العقل المتأمل ، والوجدان المستنير .. انها قصص تحكى لنا تجربة الحياة ، وصراع الانسان معها في صورة فنية اوسع وارحب ، وفي الامكان ان تظهر المسرحية الشعرية عندنا ، وانا اميل الى الراي القائل بان زمن المسرح الشعري قد انتهى ولكن انتهاء هذا العصر يعني بالتحديد ان الانتاج الفني الشائع لن يكون هو المسرح الشعري كما كان الامر ايام شكسبير وموليير وراسين وكورني .. ولكنه لا يعني ان المسرح الشعري قد مات تماما .. انه موجود ، وسيظل موجودا ، وقد ظهر في المانيا فنان عظيم الشان « برتولدبريخت » الذي مات منذ سنوات قليلة .. وقد كتب هذا الفنان مسرحا شعريا لا يزال يهز الوجدان الانساني كله بصورة واضحة وخاصة في اوروبا وبالنسبة للادب العربي فان ذلك الادب في حاجة الى المسرح الشعري بمعناه الجديد العميق ، وهذا المسرح لم يولد بعد عندنا ، والشعر الجديد هو وحده الشكل الفني الذي يمكن ان يسمح بميلاد المسرح الشعري بصورة ناضجة مكتملة .

يقول لويس عوض عن نفسه .. « هذا مجمل ما فعله لويس عوض وما لم يفعله وهو لم يقصد بنشر هذا الديوان ان يفتح فتحا بل ان يخلق دوامة صغيرة من دوامات الفكر وسط هذا الاسن الادبي »

وقد كان ديوانه ممتعا في كل سطر منه ، ولم تكن المتعة مصدرها انه شعر جيد مكتمل فنيا ، ولكن مصدرها الحقيقي هو ان الديوان،محاولة للابتكار والتجديد .. محاولة تشير الى عالم جديد في حياتنا الفنية وقد كان هذا الديوان احد العوامل التي تأثر بها شعراء الجيل الجديد يحاولون ان يفتحوا للشعر العربي افاقا اخرى غير تلك التي عرفها في ماضيه .

هذه خطوط عامة لشخصية لويس عوض في حياتنا الثقافية ... انه واحد من ابرز اعلام الجيل الثاني في ادبنا الحديث ، فغلب عليه طبيعة « المعلم » المتخصص العميق الفكر والثقافة ، وقد خلق ليكون جامعيا لا ليعلم الطلاب وحسب ، ولكن ليعيش في الجو الجامعي ويقدم الى الحياة الثقافية انتاجه الفكري من الجامعة ، فالبيئة الجامعية هي انسب بيئة لازدهار نشاط هذا المفكر الناضج .

لقد سافر الى « دمشق » ليعمل استاذا بالجامعة هناك .. ولعل في ذلك تجربة حكيمة بالنسبة لهذا الرجل .. فالشيء الذي كنت احس باستمرار انه في حاجة الى تعديل ومراجعة في افكار لويس عوض هو رايه في الفكرة القومية ، اذ ان هذه الفكرة عنده ذات طابع محلي الى حدما وسوف تتيح تجربة دمشق لهذا المفكر فرصة عميقة طيبة حتى يراجع فكرته ، وانا واثق من انه سوف يضيف الى الفكرة ويعدل منها بما يتيح له ان يقدم الى وطنه مزيدا من التجارب الثقافية الهامة .

على ان وزارة الثقافة قد دعمها انضمام مفكر عربي اخر اليها ، هذا

النشاط الثقافي في الوطن العربي

المفكر هو الاستاذ سامي الدروني والى العدد القادم حيث نتحدث عن سامي الدروبي في هذا المكان .

واهتمام « الاداب » بهذه الشخصيات انما يرجع الى الدور الكبير الذي تقوم به في حياتنا الثقافية ... ان في يد امثال هؤلاء المفكرين مصير جزء كبير من مستقبلنا الثقافي .

الاقليم الشمالي

لمراسل الآداب محي الدين صبحي

معنى (اتحاد طلاب) في جامعة دمشق

تقوم الجامعات في كل بلاد العالم ، بدور طليعي تقدمي . فهي تستشرف المستقبل وتعمل على تركيزه وبلورته وتحديد اهدافه وتوجيهها نحو الواقع العملي لتتفاعل معه وتؤثر فيه . وكان الدور الطليعي الذي قامت به جامعتنا ، التبشير بسياسة استقلالية في عهد الانتداب ، وسياسة أصلاحية في عهد الاستقلال .. ويدين العهد الحالي ، الدكتاتوريات الانقلابية « الزعيم ، الشيشكلي ، سلو .. الخ » ، كما كان لطلاب الجامعة فضل كبير في مقاومة عهد الرجعية الذي فرضه برلمان ١٩٥٤ . ويعود اغلب وعي الشارع الى نشاط طلاب الجامعة التي كانت بمثابة برلمان آخر لا تستطيع أية وزارة ان تظل في الحكم ما لم تضمنه الى جانبها .

واليوم ، وقد انحلت أزمة الحكم بوجود زعيم ملهم يثق الشعب باخلاصه ، وحكومة يتشكل اعضاؤها من اختصاصيين وصلوا الى الوزارة بكفاءاتهم العملية لا عن طريق الخطابات والدجل السياسي . اليوم اذن يجب ان تتغير طبيعة العمل الجامعي ، وتتجه الى اهداف ايجابية ، تساهم في بناء المجتمع وتحريره من خرافات الماضي وعقد الجنس وبقايا التكايا . وطبيعة هذا التغير تتضمن اولا صون القدرات فلا تهدر في الشوارع والمقاهي ، وتتضمن ثانيا تدريب الافراد على التعاون بخلق جو مشجع على العمل الاجتماعي ، وبذلك يخرج الافراد عن عزلتهم الموروثة ، ويستقبلون العمل بنفوس متفتحة على الحياة الايجابية .

وقد بدىء فعلا بتنظيم الحياة الرياضية والاجتماعية والفكرية بتنظيم اتحاد طلاب الجامعات بالجمهورية العربية المتحدة ، وجاء في المادة الثالثة من قرار رئيس الجمهورية ان اغراض الاتحادات هي :

أ ـ تنمية الروح الجامعية السليمة بين الطلاب وتوثيق العلاقات الطيبة بينهم وبين اساتذتهم .

ب ـ تنمية الوعي القومي العربي على اساس من المبادىء الاشتراكية التعاونية الديمقراطية .

ج ـ العمل على رفع مستوى الحياة الرياضية والاجتماعية والعسكرية والفكرية بين الطلاب .

د ـ تنظيم الاستفادة من نشاط الطلاب واوقات فراغهم بما يعود على الوطن وعليهم بالنفع .

هـ ـ منح الطلاب الحق في حرية التعبير عن آرائهم واثبات ذاتيتهم بالبت في مقدراتهم ضمن نطاق واختصاصات الاتحاد .

و ـ توفير اسباب الراحة ووسائل المعيشة لاعضاء الاتحاد من الطلاب داخل الجامعة وخارجها في حدود امكانياته .

وقد نص القرار على تشكيل لجان رياضية وثقافية واجتماعية وفنية وعسكرية ، ينتخب الطلاب اعضاءها من بينهم ، وبذلك يمارس الطلاب حرياتهم ويتعودون على الديمقراطية وتحمل المسؤوليات فتتقارب مسافة الخلف بين الحياة الجامعية والواقع العملي ، وتكون ممارسة الطلاب اعباءهم جزءا هاما من التربية الصحيحة الحرة .

ولا بد ان اشير الى ان مسابقات المجلس الاعلى لرعاية الفنون ـ وبخاصة المسابقات الفكرية ـ لا تشكل حافزا مباشرا لاثارة النشاط بين الشبان ، لكونها بعيدة عنهم بعض الشيء ، وحبذا لو تقام باسم كل جامعة مسابقات فنية وادبية لا على كؤوس واوسمة وجوائز « تذكارية » ! بل على مكافآت مالية وتشجيع حقيقي يقوم بتعهد النشاط الجامعي باصدار مجلة يكون الاشتراك فيها جبريا لكل طلاب الجامعة ، ومن ريع المجلة يمكن نشر اعمال الشبيبة الجامعيين .

ويجب افساح المجال لبقية نواحي النشاط الاجتماعي في مختلف صوره ، من حيث القيام برحلات وحفلات ومشروعات تتعدى نطاق الجامعة وتمتد الى المدن والارياف ، كتعليم الاميين والتدريب الصحي والعمل في المراكز الثقافية ، وبذلك تصبح الجامعة منطلقا طليعيا لحياة تقدمية في جمهوريتنا الفتية ، ولا تبقى ، كما هي الان ، بؤرة متجمدة لشبان بورجوازيين متبطلين واساتذة لا يعرفون سوى القاء محاضراتهم والانصراف الى أعمالهم الخاصة ... كما ان مثل هذه المشروعات كفيلة بتطوير رسالة الجامعة من المشاركة في العمل السياسي الى المشاركة في العمل الاجتماعي .

المغرب العربي

لمراسل « الاداب » في المغرب

حول تعريب التعليم

عندما احتلت فرنسا هذا القسم من الوطن العربي سنة ١٩١٣ وجدت المدارس والكتاتيب القرآنية منتشرة في جميع انحاء البلاد من مدن وقرى ، تؤدي رسالتها التعليمية على أكمل وجه ، بلسان عربي مبين ، وبروح اسلامية حية . يتلقى الطلبة فيها زيادة على مبادىء الدين ، فنون البلاغة والاصول والمنطق وتاريخ الاسلام الخ .. ويخرج الى ميدان

الحياة مشبعا بروح وطنية بناءة ، وبرغبة اكيدة في العمل لما فيه خير هذه البلاد العزيزة .

وجاء المستعمر ، فعرف ان هذه المدارس والكتاتيب هي مصدر قوة هذا البلد ، حيث يتخرج منها الدعاة للاصلاح ، وابطال الوطنية فكان ان وجه ضربته القاسية نحو هذه المدارس فقضى عليها في القرى اولا ، ثم في المدن بعد ذلك.

وعندما طالب المغاربة بفتح المدارس ، قام المستعمر بفتح مدارس فرنسية في ادارتها ، فرنسية في تعليمها ، فرنسية في روحها . تلقن اول ما تلقن : تاريخ فرنسا ، وجغرافية فرنسا ، وطبعا لغة فرنسا . اما حصة اللغة العربية فكانت في بعض المدن تخصص نصف ساعة للقرآن الكريم ، بينما جعلت في مدن اخرى وفي بعض البوادي تحاول ان تقيم اللهجات المحلية عوض اللغة العربية ، بدعوى ان السكان يرغبون في ذلك ، وانهم يكرهون اللغة العربية . ومن هنا فهم يكرهون القرآن ! بل يكرهون الدين الاسلامي الذي فرض عليهم !! وبمثل هذه الدعايات الاثيمة كانت تمهد لحملة تنصير القبائل البربرية المغربية . تلك الحملة المشهورة في تاريخ الاستعمار الفرنسي بالمغرب ، والتي قام المغرب ضدها قومة رجل واحد مؤيدا من العالم العربي والاسلامي ، والتي جندت لها فرنسا آلاف الرهبان وبنت لهم عشرات الكنائس في القرى والمداشر المغربية .

وفشلت فرنسا في محاولة التنصير ، ولكنها استمرت في سياسة التجهيل ، تجهيل ابناء الشعب ، بلغتهم ودينهم . وقامت الحركات الوطنية تطالب باعطاء اللغة العربية حصتها كاملة في المدارس الرسمية ، ولكن المستعمر أصر على تغافله . فما كان من الطبقة الواعية في الامة الا ان كتلت جهودها واخذت تنشىء المدارس العربية الحرة ، وتنفق عليها مما تجود به اريحية المخلصين من ابناء الشعب .

ومرة اخرى احس المستعمر بفشله ، فقام ليزيد في حصة اللغة العربية بالمدارس التابعة له ، ولكن اللغة الفرنسية مع ذلك بقيت تمتلك حصة الاسد ، زيادة على ان ما كان يدرس بالعربية لم يكن ذا أهمية ، بالنسبة للمواد المدروسة باللغة الفرنسية . فالجغرافية ، والتاريخ ، والحساب ، والهندسة ، والرسم الخ ... هذه كلها مواد لم يكن ذهن المستعمر يستسيغ ان تدرس باللغة العربية .

واستقلت البلاد ، وكان من حسن حظها ان ولي امر وزارة التهذيب الوطني رجل عرف بوطنيته الصادقة وغيرته على اللغة العربية ، هذا الرجل هو الاستاذ محمد الفاسي الذي اخذ يعد العدة لتعريب التعليم ، والاستغناء عن هذا الجيش العرمرم من المعلمين والمعلمات ذوي الجنسية الفرنسية . وبالفعل وضع تصميما لخمس سنوات وشرع في تعريب السنة الاولى التحضيرية ، واخذت بعض المواد في الاقسام الاخرى تدرس بالعربية . ولكن ضجة مفتعلة قامت ضده ، واخذت تعمل على عرقلة مشاريعه الاصلاحية وتدعي ان مستوى التعليم قد انحط ، وان التعليم يسير الى الوراء ، وانه اصبح رجعيا ! (*)

وفارق الاستاذ محمد الفاسي وزارة التهذيب الوطني ليشغل مهام اخرى ، فماذا فعل الذين خلفوه ، وكانوا ينتقدون مشاريعه ؟ لقد وضعوا برنامجا جديدا أهم نقطه :

١ — عدم تسجيل تلاميذ جدد بدعوى عدم وجود اقسام جديدة .

٢ — جعل مدة الدراسة في الطور الابتدائي ست سنوات بدل خمس .

٣ — ضياع سنة لكل من تلاميذ السنوات الخامسة والرابعة والثالثة .

٤ — العودة الى ما يقرب من برنامج ايام الاحتلال في فرنسة التعليم ، بدعوى أن معلمي اللغة العربية عندنا لا يستطيعون تدريس بعض المواد باللغة العربية .

وهكذا اخذنا نشاهد من جديد سيلا من المعلمين والمعلمات يفدون على المغرب . وبعضهم في مستوى أقل ما يقال فيه انه دون المستوى الذي يحتاج اليه المغرب ! اما عن المعلمات الفرنسيات ، فيكفي ان اذكر ان جريدة مغربية كتبت منذ عدة شهور مقالا تحت عنوان : « أمعلمات أم بائعات هوى ! » وذلك في حديثها عن بعض المعلمات الفرنسيات !

وطبعا لم يرض الشعب عن هذا البرنامج . فالشعب الذي حارب الاستعمار من اجل برنامجه في التجهيل والتفقير ، لم يرض أن يحرم ابناؤه من نور التعليم في عهد الاستقلال . ولذر الرماد في العيون قالت الحكومة انها ستقبل زهاء ستين الفا ، ولكن على شرط ان يخصص القسط الاوفى من هذا القدر لسكان البوادي !

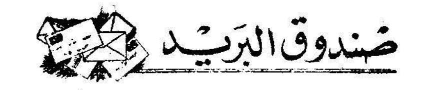
والان وقد تألفت حكومة جديدة ، وشغل منصب وزير التهذيب الوطني رجل مقتدر هو الاستاذ عبد الكريم ابن جلون ، فما هي البرامج الجديدة ؟ ان السنة الدراسية ٥٨ — ٥٩ ستمر بويلاتها . واننا ننتظر بفارغ الصبر العمل الذي ستقوم به الحكومة الجديدة . فهل ستندفع في التعريب ، وذلك ما يطالبه الشعب ، أم ستستمر في تطبيق هذا البرنامج على ويلاته ؟

لقد سمعنا الافواه تردد من جديد فكرة تعريب التعليم . ونحن نباركها من كل افئدتنا ، وبكل اخلاص ، ونهمس في اذن وزارتنا الموقرة : لماذا لا تتناسين باريز وتولين وجهك نحو الشرق العربي ، حيث الاساتذة الاكفاء الذين يستطيعون تدريس كل المواد بلغة القرآن .

انبقى دائما نستجدي فرنسا ؟ أم اننا ... رحم الله امير الشعراء شوقي في قصة « الحمار والجمل » .

ادريس ابن جلون

(*) كما في المغرب ، كذلك في لبنان ! « الاداب »



قضية باسترناك

اني اتفق مع الاستاذ رئيف خوري (١) على ان منح جائزة نوبـل لباسترناك كان لونا من الوان الدعاوة السياسية او هو جزء من الحرب الباردة بين المعسكرين الشرقي والغربي على الصعيد الادبي ...

ولكن هذا الجانب من القضية ليس بالمهم وليس هو الذي يوضح ما تثيره من امور هامة تتعلق بالنظرة الى العلاقة بين الفرد والمجتمع ... تلك المشكلة الابدية التي هي محور الاختلاف بين كل النظم السياسية والاجتماعية ، والدليل على ذلك ان الاتهامات التي يتبادلها المعسكران تعود – بعد مقارنتها – لتشكل اتهامات مشتركة على كلا المعسكرين !.. ولنأخذ قضيتين لعملية المقارنة هذه ، قضية باسترناك – الاديب الروسي – وقضية هوارد فاست التي اثيرت منذ سنتين حين منح جائزة ستالين !.

فالدعاية التي تثيرها الولايات المتحدة وتتهم فيها الاتحاد السوفياتي بانه يمنع حرية التفكير والحريات الفردية بضغطه على الكاتب الروسي ومنعه من قبول جائزة نوبل (بدليل انه رجع «فاعتذر» عن قبولها بعد ان وافق قبلا) ان هذا الاتهام يرجع ليصيب في القضية الثانية الولايات المتحدة ذاتها صاحبة الاتهام حين اتهمت الكاتب الاميركي فاست بمناهضة النظام القائم يوم منح جائزة ستالين !..

كذلك فالاتحاد السوفياتي ذاته الذي يردد بان الغرب استغل جائزة ادبية للدعاوة السياسية هو نفسه الذي منح جائزة ستالين لهاورد فاست ثم هو نفسه الذي هاجم الكاتب هجوما قاسيا عنيفا ردده كل الكتاب الشيوعيين بعد ان ارتد فاست عن يساريته ايام حوادث المجر المشهورة .

والنتيجة ان الاتهامين يشترك فيهما كلا المعسكرين !..

والذي يعنيني من هذه النتيجة كونها ظاهرة فكرية تعبر عن الازمة الحادة المشتركة التي يعانيها كلا النظامين رغم تناقضهما الهائل ...

ما هي هذه الظاهرة ؟ وما دليل هذه الازمة ؟

العلاقة بين الفرد والمجتمع واسبقية الواحد منهما على الاخر ، مشكلة حاولت معظم الانظمة السياسية والاجتماعية حلها ، والمعروف ان النظامين الشيوعي والرأسمالي حاولا حل المشكلة على طرفي نقيض ، فكان المجتمع هو الطرف الغالب في النظام الشيوعي وكان الفرد هو الوسيلة والغاية في النظام الرأسمالي وليس هنا مجال تفصيل فلسفة كل منهما .. ومع ذهاب كل منهما الى نقيض الاخر فلقد دلت التجربة العملية في كلا المجتمعين اللذين يطبق فيهما النظامان بان هناك صفة مشتركة بينهما تعطي الدليل العملي على فشلهما الذريع في حل المشكلة .... هذه الصفة المشتركة هي ما يسمى « بالطابعية » في المجتمع (الكونفورميزم) .. والطابعية تعني طبع الناس بطابع واحد مما يقضي على الاصالة الفردية وحرية الراي والفكر ومنع اي فرد ان يعبر عما يريده بواسطة ضغط السلطة والدولة وبما تضعه من قوانين واجهزة تجعل فرص التعبير عن الرأي غير متوفرة ولامتاحة للفرد ...

ففي المجتمع الرأسمالي مثل مجتمع الولايات المتحدة رغم اخذه فلسفيا الجانب المتطرف من حرية الفرد فالتطبيق جعل هذه الحرية الفردية ليست الا حرية الاحتكاريين الراسماليين ، حرية الاستغلال وحرية استعمار الشعوب .. واصبح المجال الوحيد للتعبير عن الراي هو مجال دعم الاحتكارية وما ينبع منها من نظريات وسياسات تؤدي لفائدتها وقوتها .. وكل من يخرج عن هذا المجال الوحيد المفتوح يقضي عليه بكل الطرق وعلى الاسلوب المكارثي ..

اما في المجتمعات الشيوعية فلقد اصبح المجتمع الشيوعي سجنا كبيرا للفرد ليس له فيه الا حق الموافقة الدائمة المستمرة ، وقتل هذا السجن – بما له من قوى اجتماعية هائلة تملكها الدولة – امكانية التفكير الذاتي الصادق عند الفرد .. وحتى اذا ما حاول الفرد ان يقفز عن هذه العقبات والقوى – كما حاول باسترناك – فمصيره احكام كالتي اصدرها اتحاد الكتاب السوفياتيين على باسترناك اخفها الخيانة والانانية . وبودي هنا ان اقتطف فقرة من الحكم الذي اصدره الاتحاد على باسترناك : « ... ونظرا التدهور باسترناك السياسي والاخلاقي ولخيانته الشعب السوفياتي وقضية الاشتراكية والسلام واستهدافه خدمة الحرب الباردة مما ادى الى منحه جائزة نوبل فان مجلس اتحاد الكتاب السوفيات لا يعتبره منذ الان كاتبا سوفياتيا ويفصله من اتحاد الكتاب السوفياتيين » .

وليس اتحاد الكتاب السوفييت شيئا منفصلا عن الدولة او النظام المطبق كما حاول الاستاذ رئيف ان يظهره ، فكلنا يعرف انه ليس الا احد اجهزتها فليس هو اذن الذي استدعى الدولة على باسترناك ... فحكمه هو حكم الدولة وحكم الحزب الشيوعي السوفياتي – وهنا اختلف مع الاستاذ خوري حين حاول ان يفرق بين الدولة واتحاد الكتاب ليطلع بنتيجة بان الدولة تسمح بحرية التفكير ..

لقد حكم التطبيق اذن في كلا النظامين على كونهما وصلا في مشكلة العلاقة بين الفرد والمجتمع الى نتيجة واحدة وهي عدم تمتع الفرد فيهما بحرية التفكير وان المجتمع عندهما يتصف بالطابعية المتسمة بالقضاء على كل تعبير صادق عند الفرد .. وهذه هي احدى الازمات الهامة التي يعانيها النظامان على الصعيد التطبيقي ... ما هي حدود العلاقة بين الفرد والمجتمع الى نتيجة واحدة وهي عدم تمتع الفرد افراد المجتمع بحرية التفكير وما هي حدود هذه الحرية ؟ ... ابحاث دقيقة وهامة تتطلب مجالا غير مجال هذا الموضوع ولعلها تكون في رأيي احدى المشاكل الكبرى التي تجابه فكرنا القومي الحديث ...

ولا بد من عودة لباسترناك ، لقد حاول الاستاذ خوري ان يظهر الاتحاد السوفياتي بانه يتمتع بحرية التفكير ، وبودي هنا ان اناقش موضوعيا وعلى ضوء (النتيجة) التي وصلت اليها هذا الحكم ... ان باسترناك اديب – مهما اختلفنا في الحكم على القيم الجمالية لفنه – ويحق له كما يحق لاي انسان ان يفكر كما يشاء وان يختار المنهج الفكري الذي يرضاه .. واظن ان الاستاذ خوري يوافقني على ان باسترناك ليس مدفوعا من قبل الغرب في انتاجه الادبي رغم ان الغرب استغل انتاجه ومنهجه الفكري لدعاوته السياسية ولكن المسؤولية لا تقع على باسترناك كما سابين فيما بعد .. ويتلخص منهج باسترناك الفكري (وبرأيي ان من اهم اسباب تطرفه في اعتناق هذا المنهج ازمة الحرية التي يعانيها المجتمع السوفياتي) في عتناقه وايمانه بالقوة الالهية كمسيرة للتاريخ وبان الثورة ليست ضرورية وان الانسان يجب ان يعيش للحظة الحاضرة لا ليفني عمره في التحضير للحياة ... وهذا المنهج هو نفس منهج كامو ولعل هنا يتضح اعجاب كامو بباسترناك وتفضيله اياه على كل الكتاب الروس ... وهذه الفقرة من رواية الدكتور زيفاجو تلخص كل منهجه الفكري بهذه الكلمات :

ان هذا النظام يناصبنا العداء .. وفلسفته غريبة علي .. فان احدا لم يأخذ رايي فيما اذا كنت موافقا على هذه التحولات .. الماركسية علم ؟ ان العلم شيء اكثر اتساقا ... اتتكلمون عن الماركسية الموضوعية ؟

(١) : « في قضية الدكتور جيفاكو » في العدد الاخير من الاداب

انا لا اعلم مذهبا اكثر ذاتية وابتعادا عن الواقع من الماركسية ... لماذا كل هذه التحضيرات من اجل حياة المستقبل ؟ ... لقد خلق الانسان ليعيش لا ليفنى عمره في التحضير للحياة .. »

لا شك ان هذا المنهج الفكري يناقض المنهج الماركسي ، ولكن هل فرض على كل فرد يولد في الاتحاد السوفياتي ان يكون ماركسيا ، هل من الخيانة والاجرام ان يؤمن روسي بغير ما أتى به ماركس ؟؟ .

من هنا تنبع الازمة ... صحيح ان الدولة شيوعية وان الحزب الحاكم يؤمن بمنهج ماركس ... ولكن هذا لا يمنع ابدا اي فرد حر في اختيار منهجهالفكري شرط ان يكون صادقا صدقا ذاتيا في اختياره وان يعبر عن اختياره بكل وسائل التعبير عن الراي ..

ولا بد هنا من توضيح الفرق بين الاختيار الصادق للمنهج الفكري ونوع اخر نستطيع ان نسميه بالمؤامرة الفكرية المدفوعة من الخارج .. ان الاختيار الصادق ينبع من ذات الفرد .. من عملية التفكير الذاتي حيث يتوصل الفرد الى منهجه دون اعتبار لاي عامل خارجي يدفع به الى هذا المنهج بوسائل غير فكرية ... اما المؤامرة الفكرية المدفوعة من الخارج فهي عملية مخططة مدروسة من الخارج القصد منها بلبلة المجتمع والنيل منه وتحويل ارائه بالضغط الى اراء لا تنبع من ارادته ، ومثال هذه العملية ما نشاهده من نشاط مؤسسة « فرانكلين » الاميركية التي «جندت» مجموعة كبيرة من المفكرين والادباء لنشاطها قصد محاربة عقيدتنا القومية العربية وتشكيك العرب بها وتحويلهم عن منهجهم الذي اختطوه لانفسهم تجاه كثير من القضايا ، فهؤلاء « المجندون » لمؤسسة « فرانكلين » لم يختاروا بصدق منهجا فكريا ... انما هم متآمرون - الى حد الخيانة - على ثقافتنا القومية وسيرنا التحرري الصاعد .. ففي النوع الاول على المجتمع واجب افساح المجال للتعبير عن الرأي ويترك للصراع الفكري الموضوعي اصلحية اية فكرة او منهج للبقاء ... اما في النوع الثاني فطبيعي ان حماية المجتمع منه واجب قومي وخاصة في فترات الانتقال .

والان اين يقف باسترناك ؟.. لاشك - وكل الدلائل تشير - الى ان اختياره كان صادقا وليس مدفوعا من الخارج ، فمن حقه اذن ان يعبر عن رايه وان ينشر هذا الراي ... فماذا حصل ؟ ... لم يسمح له اتحاد الكتاب السوفييت بنشر روايته ، والنشر هناك منوط فقط بالاتحاد ، ولم يكن عدم السماح بسبب ضعف الناحية الفنية في الرواية وانما في المنهج الفكري كما اشار الى ذلك الاتحاد في رسالته الى باسترناك حين قدم له الرواية ، وتقول الرسالة : « انك رأينا في اصول روايتك وما اثارته فينا من قلق وحيرة والامر لا يقف عند اختلافنا في تذوق القيم الجمالية او تقدير الكفاءة الفنية فهو يتعدى ذلك الى الاتجاه العام للرواية ، الى منهجك الفكري باكمله » ..

هل هي مسؤولية باسترناك بعدئذ اذا حصل على الرواية ناشر ايطالي (وهو شيوعي ايضا) لينشرها في الغرب ويستغلها الغرب في دعاوته السياسية ذلك الاستغلال الذي انتهى بمنح باسترناك لجائزة نوبل ؟ .. .

ان قضية باسترناك اعمق من ان تؤخذ من ناحية ارتباطها بالحرب الباردة والدعاوة السياسية بين المعسكرين ... انها قضية فكرية بالدرجة الاولى .

محمد كشلي

جامعة القاهرة

رئيف خوري وحرية الفكر

الاستاذ رئيف خوري من المعروفين بحبه وسعادته بتجربة الاتحاد السوفياتي الاشتراكية (الكبرى) وهو على ذلك مضطر للدفاع عن تصرفات هذه الاشتراكية بحكم حبه لها ، ونحن هنا لا نلومه في هذا فللناس فيما يعشقون مذاهب ، ولكننا نحاول ان نعطي رأينا فيما جاء به الاستاذ خوري حول قصة بورس باسترناك الذي شغلت قصته الدكتور زيفاغو الحقلين السياسي والادبي العالميين شهورا ولا تزال ، فمما لا شك فيه ان قول السيدة اللبنانية في ان الدكتور زيفاغو قد رحل الى بيروت وافتتح له عيادة فيها تخلصا من ظلم حكام الكرملين لا اساس له من الصحة وانه لا يمثل الا رأي السيدة نفسها ، وليس من الوارد الصحيح ان يتخذ الاستاذ خوري ذلك دليلا على شيء ما . اما مسألة استعمال قصة باسترناك ككماشة غربية لاظهار الاتحاد السوفياتي بمظهر ما ... مظهر يريده الغرب له متخذا ، ما كتبه باسترناك دليلا على ذلك فهو صحيح ونحن نوافق الاستاذ خوري على ذلك .. اما حكاية الحرية والديموقراطية التي يحاول الاستاذ رئيف ان يثبت لنا انها موجودة في الاتحاد السوفياتي بفضل ثورته الاكتوبرية - فهذه مسألة فيها نظر بالنسبة لنا نحن الكتاب العرب لان ظروف نشر قصة باسترناك قد جعلت حكام الكرملين يتخذون هذا الموقف المتراخي بالنسبة لباسترناك الذي قال الحق ولا شيء الا الحق بالنسبة لـه .

فالشيء الصحيح ان سكان روسيا قبل ثورة اكتوبر كانوا يرحبون باية حركة تخلصهم من ظلم القيصرية واقطاعها المخيف واستبدادها المقيت وقد ساندوا ثورة الدوما على هذا الاساس ، وعندما قام لنين بثورته بمساعدة الدول الغربية العدوة للقيصرية رحب بها الشعب مبدئيا ولكنا لا نستطيع القول انه لا زال كذلك .. صحيح ان مستواه المعاشي قد ارتفع وانه قد بدأ يسمن ويأكل الشحم واللحم ولكن الحرية التي ارادها زمن القيصرية وسعى اليها .. لازالت بعيدة عنه وهو في عصر خروشوف، وما فضيحة ستالين وحكمه الاستبدادي ورائحتها التي تزكم الانوف التائقة الى الحرية ببعيدة عنا .

يحاول الاستاذ خوري ان يثبت لنا بان موقف حكام الكرملين تجاه باسترناك بعد منحه جائزة نوبل (التي لم يمنحها الغرب الا لغرض في نفسه) كان صحيحا وانه دليل على وجود الحرية الادبية في الاتحاد السوفياتي بحيث ان حكام الكرملين لم ينصتوا الى الاصوات الصادرة من اتحاد الادباء هناك التي طالبت باخراج باسترناك من روسيا واسقاط الجنسية عنه ، فمن المعروف ان الاضواء العالمية (المحايدة والمغرضة والدائرة في الفلك البلشفي) قد سلطت على باسترناك وقضيته ومن المعروف كذلك ان خروشوف قد وقع في الفخ فارسل برقيته المشهورة الى باسترناك طالبا منه ايضاح موقفه بالنسبة لهذه الضجة التي افتعلها الغرب تجاه قصته ومن المعروف كذلك ان باسترناك قد ارسل رده الى حاكم الكرملين مؤكدا - ولم نكن معه في صحة ذلك ام لا - اخلاصه للثورة البلشفية العظمى و ... وقد اكتفى خروشوف بهذا من باسترناك ولم يستطع ان يتخذ منه موقفا تعسفيا لان العالم كله كان يرقب - ولا يزال - رد الفعل الرسمي الذي سيتخذ بالنسبة لباسترناك وان خروشوف قد حاول ان يقيم الدليل على وجود الديموقراطية والحرية في بلاده ، ونظنه قد نجح في ذلك لانه او كان الامرهكذا لنشرت القصةاولا في روسيا قبل ان تهرب الى ايطاليا ، فان الشيء الذي حدث ان باسترناك قد كتب قصته وارسلها الى مجلة (العالم الجديد) السوفييتية التي ردته ردا عنيفا ورفضت نشر قصته ، وكانت القصة قد وصلت ايطاليا انذاك فترجمت الى الايطالية ونشرت بعد ذلك بمختلف اللغات الاوروبية ثم استغلتها الدعاية الغربية واعلنت مؤلفها فائزا بجائزة نوبل فهل ترى الاستاذ رئيف خوري قد اقتنع بصحة ما اقول من ان الشيوعية بعيدة كل البعد عن الديموقراطية بل انها تحاربها كحربها لاية حركة قومية ؟ والدليل على ذلك قائم في كل مكان يرفض ان يكون سائرا في الفلك الغربي او الفلك الشرقي ؟.

بغداد **باسم عبد الحميد حمودي**



الشاعر القروي من خلال شعره

بقلم وديع فلسطين

الى احضان الشام عاد الشاعر القروي رشيد سليم الخوري بعد هجرة امتدت اكثر من اربعين عاما قضى اغلبها في البرازيل ، فالتقى أبر الابناء بأكرم الاوطان ، وتحقق له الحلم الذي طالما مر بخياله في اليقظة وفي المنام ، وكان حنينه الى الوطن قد شمل كل حياته ووجدانه وعاطفته وآماله ، فقضى ايام شبابه وسني كهولته يبكي الغربة ويتحرق الى « بربارته » الراقدة في حضن الجبل الاشم شوقا ، ويذوب تحنانا الى اهله وعشيرته . فلما طالعه ساحل بلاده لاول مرة بعد هذا البين ، انهمر الدمع في مآقيه وعيناه تصافحان أديم موطنه ومرابع طفولته ، وأنشد قائلا :

بنت العروبة هيئي كفني انا عائد لاموت في وطني
من جاد من خلف البحار له بالروح ، كيف يضن بالبدن ؟

وكان الى جواره صديق يعرف عن القروي زهادته وفناءه في حب عروبته وبلاده ، فعاتبه قائلا : افلا كان الاحجى ان تقول :

بنت العروبة هيئي سكني انا عائد لاعيش في وطني ؟

نعم ، عاد القروي كما يعود الرسول الى متكئه بعد أداء رسالته بما يرضي ضميره ويطيب وجدانه . عاد لا يحمل من بدر المال يزهو به على انداده ، ولا برفد من ثراء المادة يهيىء له حياة الترف ، بل عاد وفي يمناه كتاب جليل باذخ قلبا وقالبا ، هو ديوان شعره الموسوم « ديوان الشاعر القروي » الذي يقع في اكثر من الف صفحة والذي يجيش بعاطفة الشاعر القومية والانسانية ويعمر بآماله وآلامه واحلامه ورؤاه في مدى نصف قرن .

قال عنه الامير مصطفى الشهابي (١) انه من الشعراء الذين كانوا يسمعون صوتهم في المواقف الوطنية سواء في الدفاع عن الحرية المسلوبة في عهد الدستور او في الدفاع عن حقوق العرب . وقال كذلك ان روائع الشاعر القروي في مختلف الاحداث القومية مشهورة لانه لا يحتاج الى من يذكي فيه نار الحنين الى الوطن الاصلي ولا الى من يعلمه واجب الدفاع عن ابناء قومه . وقال ان للشاعر القروي قصائد ونفثات مشجية في فجائع الثورة السورية وغيرها .

وقال عنه الدكتور احمد زكي ابو شادي : « علم قد شرف العربية في القرن العشرين باكثر مما شرفها انداد نابهون من الشعراء ألفطاحل في معظم العصور » (٢)

ووصفه المجاهد اكرم زعيتر بقوله : « لو جاز ان يكون للوطنية قديسون لكان الشاعر القروي احدهم » (٣) .

وقال فيه زميله الشاعر المهجري جورج صيدح : « لم تعرف العروبة مثله شاعراً أمينا على عزتها وكرامتها ، ثابتا على مبادئها ، زاهدا في مالها وحطامها ... عرفت القروي وكأني عرفت روح غانـدي في جسم غير جسمه وزي غير زيه » (٤) .

وشهد له محمد عبد الغني حسن بانه « شاعر يمثل فحولة الشعر العربي في المهجر » (٥)

وقال فيه صديقه وصفيه ورصيفه نظير زيتون : « ولد مع الاعاصير في الغابات ، ومع الزلازل في الجبال ، ومع الصواعق في البحار . ولد مع الندى في الفجر ، ومع الازاهير في الربيع ، ومع البلابل في الجنان ، ومع الجمال في نشوة نيسان . ولد مع الاسطورة في عبقر ، ومع الانبياء في الوادي المقدس ، ومع الرؤى في ومضة الروح ، ومع السحر في أهداب العذارى . ولد مع الدمع الاخرس اللاهب في غصة اليتيم ، وزفرة المنكوب ، وعثرة الكريم ، وكربة المظلوم . ولد الشاعر القروي مع أمته في شروقها وغروبها ، ومدها وجزرها ، وخمرها وخلها » (٦)

ونعته زميله الشاعر الصحفي المهجري عبد اللطيف الخشن بانه « ثالث العمرين بعد عمر الخيام وعمر بن الفارض، فذلك في حكمته وهذا بزهده وصوفيته » (٧)

فقد عاش القروي أمينا على رسالته ، يشيد بكل نبيل من الاهداف والغايات ، وينطق بلسان عربي فصيح رصين لا برطانة أعجمية ولا بلسان عليه مسحة العجمة . تغنى أكثر ما تغنى بوطنه الصغير ووطنه العربي الكبير ، وهام بأمته هياما نابعا من فطرة سليمة ووفاء كريم ، وردد أنغام الحرية في كل صقع ، وكان دائما الناصح الناضج الرشيد الذي يمحض قومه الرأي القويم ويستنفر همتهم الى

(١) القومية العربية : تاريخها وقوامها ومراميها ــ للامير مصطفى الشهابي ــ ص ١٠٢ و ١٠٤ و ١٥٢

(٢) شعراء العرب المعاصرون ــ لاحمد زكي ابي شادي ــ تقديم ومراجعة رضوان ابراهيم ــ ص ٣٠٠

(٣) مهمة في قارة ــ لاكرم زعيتر ــ ص ٢٠

(٤) أدبنا وأدباؤنا في المهاجر الاميركية ــ لجورج صيدح ــ ط ٢ ــ ص٢٢٨

(٥) الشعر العربي في المهجر ــ لمحمد عبد الغني حسن ــ ط ٢ ص٢٤٧

(٦) أدبنا وأدباؤنا في المهاجر الاميركية ــ ط ٢ ــ ص ٢٢٤

(٧) شعراء العرب المعاصرون ــ ص ٣٠٢

في الحب . اما الحب الانساني الشامل ، فان صدر القروي ليتسع فيه للدنيا بأسرها لانه هو القائل :

غرست الحب في قلبي صغيرا ... واطلقت السلام به غديرا
أارجع اذ غدا روضا نضيرا ... فاجعله ببغضكم سعيرا
واقطف منه جمر الحزن قطفا ؟ (٣٩)

وهو القائل ايضا :

الا كل دين ما خلا الحب بدعة ... الا كل علم ما عداه توهم
هو الحب حتى ليس في الارض مجرم ... ولا مدفع يجري عليها ولا دم (٤٠)

والفكاهة في شعر القروي قليلة ، ولكنها تدل على لمعة من الذكاء وومضة من مرح الروح . وديوان القروي ديوان جاد الا في بضعة مواضع موزعة في انحاء معرضه الشعري . ولعل اجمل قصيدة فكاهية ساخرة في ديوانه هي التي نظمها عن شاربيه غب حاقهما ، قال :

قالوا حلقت الشاربين ... ويا ضياع الشاربين
فاجبتهم بل بئس ذان ... ولا رات عيناي ذين
الشاغلين المزعجين ... الطالعين النازلين
ويلي اذا ما ارهفا ... ذنبيهما كالعقربين
ان ينزلا لجما فمي ... او يصعدا التطما بعيني
واذا هما بسط الخوان ... تراهما بسطا اليدين
فاذا اردت الاكل ... يقتسمان بينهما وبيني
واذا اردت الشرب ... يمتصان كالاسفنجتين
فكأنني بهما وقد ... وقفا بباب المنخرين
عبدان من اشقى العبيد ... تقاضيا ملكا بدين (٤١)

ومن شعره الفكه قوله :

جراة الحلمتين خلف الصدار ... علمتنا في الحب خلع العذار
خبئي هذه المفاتن عنا ... انما الصدر مخبأ الاسرار
كيف لا تطمع الاكف بكنز ... دافع نفسه الى النظار (٤٢)

وكذلك قوله :

لم أنس حين غشوت خدر لمية ... والليل يغمرنا بجلبابين
عالجت زر الكهرباء بصدرها ... فانرت في العينين مصباحين (٤٣)

ان ما قدمناه من نماذج مقتبسة من شعر الشاعر القروي رشيد سليم الخوري انما يطوع لنا ان نقول ان هذا الشاعر الاصيل المكين الرصين قد حافظ على عمود الشعر وصانه من كل عبث ، وذاد عن الضاد وزادها بشعره غنى فوق غنى ، وكان في المهجر لسانا لقومه وصدى لاحداث وطنه . وقد كان القروي في صخبه وهدوئه وثورته وهدأته ، شاعرا مجيدا صريحا منطلقا ، وكان شجاعا حتى حين يتكلم عن وطنه الثاني وعن خلانه ورفاقه . وكان الى ذلك ماحنا يلعب بالعود فينسج الانغام ويطرب الاسماع . وكان في كل ذلك رشيداً كاسمه ، سليما كلقبه . وحق له ان يقول : « ان شعري واحده بيت القصيد » . وحق له ايضا ان يقول : « انني شاعرهم رغم الجحود » .

القاهرة ... **وديع فلسطين**

---

(٣٩) **الديوان ـ ص ٨٠٨**
(٤٠) **الديوان ـ ص ٨٢٩ ـ ٨٣٠**
(٤١) **الديوان ـ ص ٦٠**
(٤٢) **الديوان ـ ص ٧١٨**
(٤٣) **الديوان ـ ص ٧١٨**